تفسير
القرآن الكريم

الجزء التاسع والعشرون

مؤسسة البلاغ

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

تفسير القرآن الكريم

الجزء التاسع والعشرون

■ تفسير القران الكريم (الجزء/٢٩).
تأليف ونشر: لجنة التأليف ــ مؤسسة البلاغ .
عدد النسخ : ١٠٠٠٠ نسخة .
الطبعة : الاولىٰ ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .
المطبعة : معراج .
الترجمة جائزة للجميع بعد عرضها علىٰ المؤسسه .
الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران ص . ب : ١٩٣٩٥/ ١٩٧٧
P.O. BOX: 1977/ 19395. ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

تفسير القرآن الكريم

الجزء التاسع والعشرون

مؤسسة البلاغ

(RECAP)
BP130
.4
.B343
1990
juz' 29

« الفهرس »

السورة	رقمها	الصحيفة
الملك	٦٧	٧
القلم	٦٨	٢٣
الحاقّة	٦٩	٤٣
المعارج	٧٠	٦٠
نوح	٧١	٧٢
الجنّ	٧٢	٨٤
المزّمل	٧٣	٩٧
المدّثر	٧٤	١٠٦
القيامة	٧٥	١٢٢
الانسان	٧٦	١٣٠
المرسلات	٧٧	١٤٣

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
C101 029276690

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كلمة المؤسّسة

« إنّ هذا القرآن يهدي لِلّتي هي أقوم »

(الإسراء / ٩)

القرآن كتاب الله .. ومصدر الهداية ومنبع المعرفة .. ومنهج الحضارة والسلوك .. ورسالة الخير والاصلاح في هذه الأرض .. وتلاوته عبادة .. والنظر فيه عبادة .. ولا خير في قراءة بلا فهم ولا تدبّر .. فآيات القرآن كما ورد في الحديث الشريف خزائن ، فهي وعاء المعاني والمفاهيم والأحكام والقوانين التي لا يمكن لمفسّر أن يحيط بها تمام الإحاطة إلّا من علّمه الله ذلك .. فآيات القرآن معجزة لا تنتهي ، و بحر لا يدرك قعره .. ونبع لا ينضب عطاؤه ، لذا فالقارئ للقرآن ينبغي أن يتأمّل في معانيه ، و يفهم محتواه ، و يدرك أغراضه وأهدافه .. لذلك ذمّ القرآن أولئك الّذين لا يقرأون قراءة فهم ووعي وتدبّر فقال :

« أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ..

(محمد / ٢٤)

لذا فقد كرّس العلماء والمفسّرون جهودهم لتفسير القرآن ، وكشف معانيه ، و بيان ما فيه من أحكام ، ومفاهيم ، ومعرفة ، وتربية ، وهداية ..

إنّ من أهم أسس التفسير هو الفهم اللّغوي الجيّد لألفاظ القرآن ، والالتزام بمنهج سليم للتفسير والتأويل ، والابتعاد عن فهم القرآن وتأويله وفق هوى النّفس

والاتّجاهات الذّاتية الخاصّة ..

بل لا بدّ من الاعتماد في التفسير على القرآن والسُّنّة .. فالقرآن يفسّر بعضه بعضاً .. والسُّنّة قد تعهّدت ببيان القرآن وتفسيره .. واتّخاذ هذه الأُسس :

الفهم اللغوي السليم ، والقرآن والسّنّة أساساً في الفهم والتفسير واستنباط المعاني القرآنية ، يجنّبنا الزّيغ والانحراف ، و يكشف لنا محتوى القرآن وأهدافه .. ونظراً لكثرة ما يرد (لمؤسّسة البلاغ) من طلب لتفسير القرآن الكريم بأسلوب مدرسي .. ميسّر ومبسّط .. خصوصاً لطلبة المدارس المتوسطة والثانوية .. فقد شرعت هذه المؤسسة بوضع تفسير ميسّر للقرآن الكريم ، وقد تمّ بتوفيق الله سبحانه الفراغ من تفسير **(جزء عمّ)** ، وطبعه وتوزيعه .. كما تمّ تفسير **(جزء تبارك)** الذي هو بين يدي القارئ الكريم ..

ونسأل الله أن يوفّقنا لإتمام ما تبقّى من كتابه العزيز ، إنّه سميع مجيب .. والحمد لله ربّ العالمين .

مؤسسة البلاغ

سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٢

تَبارَكَ : كَثُرَ صُدورُ الخَيراتِ والبَرَكاتِ عنهُ .

بِيدِهِ الملكُ : لَهُ السَّيطرةُ على العَوالِمِ يُسَيِّرها كيفَ يشاءُ .

لِيَبْلُوَكُمْ : لِيَختَبِرَكُم ، أيُّكُم يُطيعُ أوامِرَهُ ، وأيُّكُم يَعصيهِ .

العَزيزُ : الذي لا يُغلَبُ .

طِباقاً : ألواحدةُ فَوقَ الأُخرى ، أو : مُتَشابِهةٌ في الإتقانِ والانتظامِ .

ما ترى في خَلقِ الرَّحمنِ مِن تَفاوتٍ : لا تَجِدُ تَناقُضاً في نِظامِها وغاياتِها .. بل كُلُّها مُنسجِمَةٌ في اتجاهِ عَمَلِها وغاياتِها ، يُكَمِّلُ بعضُها بعضاً .

فارجعِ البَصَرَ : أُنظُر مَرَّةً ثانيةً الى هذا العالَمِ ، أيْ أُنظُرْ الى هذا العالَمِ بِدِقَّةٍ وإمْعانٍ وتَأمَّلْ فيهِ .

هَل ترى مِن فُطورٍ : هلْ ترى مِنْ نَقصٍ ، أو خَلَلٍ في النِظامِ والتَكوينِ .

كَرَّتَيْنِ : مَرَّتَيْنِ .. أي أُنْظُرْ الى هذا العالَمِ مرَّةً بعدَ أُخرى ، وَفَكِّرْ فيهِ .

يَنقَلِبْ : يَرجِعْ ، أو يَعودْ .

خاسِئاً : خائباً ، او مَهيناً .

حَسِيرٌ : عاجزٌ ، خائبٌ . والمعنى يَرجِعُ إليكَ البَصرُ ، وَهُوَ خائبٌ ، عاجزٌ عنِ اكتشافِ أيِّ نَقصٍ ، أو اختلالٍ في نظامِ الكونِ ، أيْ ليسَ في الكونِ نَقصٌ حتى تَكتَشِفَهُ العُقولُ ، مَهما تُفكِّرُ وتُدقِّقُ النظرَ والتأمُّلَ .

بِمَصابيحَ : بِكواكِبَ .. وسَمّاها بالمصابيحِ ، لأنَّها مُضيئةٌ ، كالمصابيحِ .

وَجَعَلناها رُجوماً لِلشَياطينِ : يعني بذلكَ الشُهُبَ الَّتي تَنفَصِلُ من الكواكبِ فَتمنعُ الشَياطينَ الَّذينَ يَستَرِقونَ السَّمعَ .

أعتدنا : هَيَّأنا لِلشياطينِ ــ وَهُمْ أشرارُ الجِنِّ ــ عذابَ النارِ المشتَعِلةِ .

بئسَ المصير : ألمصيرُ السَّيِّئُ ، ألمذمومُ .

إذا أُلقوا فيها : إذا أُلقِيَ الكُفّارُ في جَهنَّمَ .

شَهِيقاً وهي تَفُورُ	: صَوتاً فَظيعاً ، مُرعِباً ، مِثلَ صَوتِ غَلَيانِ القِدْرِ تَغلي ، كَما يَغلي القِدْرُ .
تكادُ تَمَيَّزُ مِن الغيظِ	: تَكادُ تَتَقَطَّعُ ، وتَتَفرَّقُ مِن شِدَّةِ الغَضَبِ على الكُفَّارِ .
فَوْجٌ	: جَماعةٌ .
خَزَنَتُها	: الملائكةُ المُوكَّلونَ بِحِفظِ جَهنَّمَ .
نَذيرٌ	: رَسولٌ يُحذِّرُكُم مِنْ هذا العذابِ .
ما نَزَّلَ اللهُ مِن شيءٍ	: أيْ كَذَّبنا بِما أنزلَ اللهُ مِن وَحيٍ ونُبوَّةٍ .
لَو كُنَّا نَسمعُ	: لَوْ كُنَّا نَستَمِعُ الى ما جاءَ بِهِ النبيّونَ ، ونَتَّبِعُ بِذلكَ .
نَعقِلُ	: نَفهَمُ ونُدرِكُ ما جاءَ بِهِ النَبيّون مِن حَقٍّ وَهِدايةٍ .
ما كُنَّا في أصحابِ السَّعيرِ	: ما صِرْنا مَعَ أهلِ جَهنَّمَ .
فَسُحقاً لأصحابِ السعيرِ	: السُّحق : التَفتيتُ .. والمقصودُ هنا هو الدُّعاءُ عليهم بالدَّمارِ ، وعَدمِ الخُروجِ مِنَ النارِ ، والبُعدِ عنِ الرَّحمةِ والنَجاةِ .
يَخشونَ رَبَّهُم بالغيب	: يَخافونَ مَعصِيَتَهُ ــ أيْ يُطيعونَهُ ــ . ويُؤمنونَ بِهِ ، وهُمْ لَمْ يَرَوهُ بأعيُنِهِم ، بل هو مُحتَجِب عنهم بِحُجُب الغَيبِ .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١٢

في مطلعِ هذه السورةِ ، في الآيةِ الأُولى بعد البسملةِ ، ثناءٌ على اللهِ سبحانَهُ ، وتعريفٌ بأنّه مصدرُ الخيرِ ، والبركاتِ في هذا العالمِ ، وأنّه المهيمِنُ ، والموجِدُ للوجودِ بأسره ، والمالكُ للقوّةِ والقدرةِ ..

وفي هذه الآيةِ ربطٌ بين اتصافِهِ سبحانه بالخيرِ والبركةِ ، و بين ادارةِ العالَمِ وتسييرِهِ ، وتدبيرِ شؤونِهِ .. ليشعرَ الانسانُ أنَّ مالكَ الخلائقِ ، ومدبِّرَ شؤونهم ، هو مصدرُ الخيرِ

والبركةِ .. وكلُّ ما يصدرُ عنهُ خيرٌ وبركةٌ ..

وفي الآيةِ الثانيةِ ينتقل الى الحديثِ عن خلقِ الموتِ والحياةِ .. خلقِ عالمِ الدنيا والآخرةِ .. ويوضّح أنّ هذا الخلقَ هو لاختبارِ الانسانِ .. وليصنعَ الانسانُ حياتَهُ ، ويكشفَ عن حقيقتِهِ .. ليعرفَ المحسنَ والمسيءَ ، ومن هو أحسنُ عقلاً واختياراً وديناً ، فينال جزاءَهُ المناسبَ :

« الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً[1] وهوَ العَزِيزُ الغَفُورُ » ..

وفي هذه الآية وصف نفسهُ سبحانَهُ بأنّه : **« العزيزُ الغفورُ »** ، ليوضّح للانسان أنّ العاصيَ والمسيءَ والمجرمَ ، لن يغلبَ اللهَ بفعلِهِ هذا ، بل هو مهّلَهُ للاختبار ؛ لأنّ خالقَهُ عزيزٌ غالبٌ ..

وفي وصفِ اللهِ سبحانَهُ بانّه كثيرُ المغفرةِ ، توضيحٌ واشعارٌ ، بأنّ الذي خلقَ الانسانَ والوجودَ ، والذي بيدهِ الملكُ والقوّةُ ، وله الغَلَبَةُ ، هو فاتحُ بابِ العفوِ للعاصينَ ، ومفيضٌ للخيرِ والبركاتِ .. وهو حكيمٌ ، أتقن نظامَ الحياةِ ، حين خلقَ الموتَ والحياةَ ، كما أتقنَ خلقَ السمواتِ السّبعِ ، من غيرِ نقصٍ أو خَلَلٍ ..

إنّ بأمكانِ الانسانِ أن يفكّرَ في هذا العالَمِ ، و يتأمّلَ فيه ، و يُجيلَ نظرَهُ مراراً ، فهل يستطيعُ أن يكتَشِفَ نقصاً ، أو خَلَلاً .. ليس بوسعِهِ ذلكَ .. بل سيعودُ مُتصاغِراً أمامَ هذه العظمةِ والكمالِ في نظامِ الوجودِ ، الذي يدلُّ على كمالِ خالقِهِ ، الذي أفاضَ عليه الخيرَ والبركةَ ..

---

(١) عن ابن عمر عن النبي (ص) انه تلا قوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك .. الى قوله أيّكم أحسن عملا ، ثم قال : أيّكم أحسن عقلا ، وأورع عن محارم الله ، وأسرع في طاعة الله » / مجمع البيان / الطبرسي / ج (١٠) / ص (٣٢٢) ..

وعن أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) فسّر قول الله سبحانه : « ليبلوكم أيّكم أحسن عملا » .. قال : ليس يعني أكثركم عملا . ولكن اصوبكم عملاً . وانّما الاصابة ، خشية الله ، والنيّة الصادقة والخشية / تفسير الميزان / الطباطبائي ــ نقلاً عن الكافي .

ثم لفتَ نظرَ الانسانِ الى عنصرِ الاتقانِ والجمالِ والقدرةِ في السمٰواتِ ، وكيف نظّمَها ، وأسبَغَ عليها جَمالاً ، بنجومِها المضيئةِ ، وانتشارِها المنظّمِ الجميلِ .. وكما جعلَ اللهُ في هذهِ الكواكبِ الاضاءةَ والجمالَ .. جعلها مَصدراً للشّهُبِ .

بعدَ بيانِ قدرتِهِ واتصافِهِ بالبركةِ ، والمغفرةِ ، والغَلَبَةِ ، وخلقِهِ لنظامِ الموتِ والحياةِ ، وقانونِ الاختبارِ في الآياتِ الخمسِ الأولى .. تحدّثَ بعد ذلك عن الحقيقةِ التي سينتهي اليها النّاسُ ، وهي : الكفرُ أو الايمانُ ..

فتحدّثَ في الآيةِ السادسةِ حتى الآيةِ الحاديةَ عشرةَ عن الكافرينَ ووصفِ النارِ .. فصوّرَ عذابَها ، وهي تتلقّفُ الكافرينَ ، ورسمَ أمامَنا مناظرَ العذابِ ، ومشاهدَ جهنّمَ المرعبةَ المروّعةَ .. فصوّرها وهي تَغلي وتفورُ ، و يتعالى زَفيرُها ، وصوتُ حريقِها ، وهي تشتدُّ غيظاً وغضباً على الكافرينَ .. ليصوّرَ لنا بَشاعةَ الكفرِ وقُبحَهُ الذي يستثيرُ غضبَ جهنّمَ .. فالغضبُ في الناسِ يُنتجُ حالةَ نقمةٍ ورُعبٍ .. فكيف بغضبِ جهنّمَ التي هي بحدِّ ذاتِها غضبٌ وعذابٌ ..

فالقرآنُ يصوّرُ جهنّمَ بصورةِ غضبِها منتقمةً من الكافرينَ .. تكادُ تتمزّقُ وتتفرّقُ من شدّةِ الغضبِ .. وهي تلتَهمُهُم جماعاتٍ ، جماعاتٍ .. ثم يصوّرُ لنا القرآنُ مشهدَ الحوارِ بينَ المجرمينَ ، وخزنةِ جهنّمَ : « **سَأَلَهُم خَزَنَتُها أَلَم يأتِكُم نذيرٌ** » .. يسألونَهُم : ألم يرسلِ اللهُ لكم رُسلاً ، ينذرونَكُم ويحذّرونكم ، فَلِمَ ألقَيْتُم بأنفسِكم في هذا المصيرِ .. و يأتي جوابُ الكافرينَ : أسفاً ، ونَدَماً ، أنّهم كذّبوا الانبياءَ ، وأنكَروا أن يُرسلَ اللهُ رسلاً .. ثم تَحدّثوا عن تفاهةِ تفكيرِهِم .. وتخلّفِ إدراكِهِم .. فوجّهوا الإهانةَ واللومَ لأنفسِهِم ، وأنّهم لم يَستمعوا لكلمةِ الحقِ ، و يُدركوا حقيقةَ دعوةِ الانبياءِ .. ولو أنّهُم استمَعوا الى هذهِ الدعوةِ ، واستجابوا لها ، لما كانُوا مع أصحابِ جهنّمَ : « **وَقالوا لَو كُنّا نَسمَعُ أو نَعقِلُ مَا كُنّا في أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ** » ..

إنّهم يعترفونَ بجريمتِهِم ، و يشهدونَ على أنفسِهِم ؛ لذا يأتي دعاءُ القرآنِ عليهِم بالبعدِ عن النجاةِ ، وبالبقاءِ في جهنّمَ : « **فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِم فَسُحْقاً لِأَصحَابِ** »

ٱلسَّعِيرِ » ..

ثم تحدّثَ عن اولئك الذين يخشونَ اللهَ بالغيبِ .. يُطيعونَهُ ، ويخافونَ معصيتَهُ ، مندفعينَ بإحساسٍ ذاتيٍ ، و يقينٍ عقليٍ وروحيٍ : « **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ لَهُم مَّغفِرَةٌ وأَجرٌ كَبِيرٌ** » .. فقد آمنوا بما خَفِيَ عن سِواهُم ، واحتجبَ بحُجُبِ الغيبِ عنهم .. تصديقاً بالانبياءِ ، وٱتباعاً لهم ، فخافُوا اللهَ وأطاعوهُ .. لا يخشونَ غيرَهُ ، ولا يندفعونَ بدافعٍ ، سوى الخوفِ من معصيتِهِ وغضبِهِ ، والرّغبةِ في القربِ منهُ ، والحصولِ على ثوابِهِ .. أولئك يغفرُ اللهُ لهم ما وَقَعَ منهم ، من خطاءٍ وتقصيرٍ ، وأولئكَ قد بَلَغوا مراتبَ الايمانِ العُليا ، بعد أن أصبحَ الاحساسُ الروحيُّ ، هو المسيِّرُ لارادَتِهِم وتفكيرِهِم .. فأستحقُّوا المغفرةَ ، والأجرَ العظيمَ ..

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ

﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

شرح المفردات

من الآية ١٣ الى الآية ٢٤

أسِرُّوا قَولكُمْ : إسرارُ القَولِ : إخفاؤُهُ .

إجهَرُوا بِهِ : الجهرُ بالقَولِ : إعلانُهُ . والمعنى إنَّ اللهَ عالِمٌ بِحقيقَتِكُم .. سَواءٌ أخْفَيتُم قَولَكُم في نُفوسِكُم ، أو أعلَنتُموهُ .

ذاتِ الصُّدُورِ : ما تَحويهِ النُّفوسُ في باطِنِها ، وتَحمِلُهُ القُلوبُ .

ألا يَعلَمُ مَن خَلَقَ : كيفَ لا يَعلمُ بِما في نُفوسِكُم ، وَهُوَ خالِقُها .

اللَّطيفُ : العالِمُ بِدقائِقِ الأُمورِ .. النافِذُ في عِلْمِهِ الى بَواطِنِها .

الخَبيرُ : المُطَّلِعُ على حقائِقِ الأُمورِ .. المحيطُ بِها .

ذَلُولاً : سَهلة ، لا تَجدونَ صُعوبةً ، ولا مُقاوَمَةً ، في العَيشِ عَلَيها .

فَامشُوا في مَناكِبِها : سيرُوا في أرجائِها ، واطلُبوا الرِّزقَ .

إلَيهِ النُّشورُ : تُنشَرونَ يَومَ القِيامةِ ، لِتُرجعوا الى اللهِ للحساب .

تَمورُ : تَضطَرِبُ ــ أي ــ تَتَحرَّكُ حرَكةً مُضطَرِبةً غَيرَ مُتوازِنةٍ .

حاصِباً : ريحاً تَحمِلُ الحَجَرَ والحَصى فَتُصيبُكُم به .

كيف نذير : سَتَرونَ أيَّ إنذارٍ هذا الذي أُنذِرُكم بِهِ ، عندما أُنَفِّذُهُ فيكم ،

وأنزلُ العذابَ .

فَكَيفَ كانَ نَكيرِ : كيف كانت العُقوبَةُ ، وتَغييرُ النِّعمِ ، الَّتي أنزلتُها بالمُكذِّبينَ .. والمعنى لقد كان عِقاباً عظيماً .

صافّاتٍ : تَبسطُ أجنحتَها في الهواءِ عند الطَّيرانِ .

يَقبِضْنَ : يَقبضْنَ أجنِحَتَهُنَّ .. أي يَضمُمْنَها الى جوانبِهِنَّ .

بَصيرٌ : عَليمٌ بما يُصلِحُهُم .

أمَّن هذا الذي هُوَ جُندٌ لكم يَنصُرُكم من دونِ الرَّحمٰنِ : الجُندُ : الأعوانُ .. والمعنى لا يُوجدُ أحدٌ يَملِكُ القُوَّةَ التي يَدفعُ بها عنكم غَضَبي وَعِقابي ، إذا عَصَيتُموني .

أمَّن هذا الذي يَرزُقُكُم إن أمسَكَ رِزقَهُ : لا يوجدُ أحدٌ يستطيعُ ان يرزقَكُم ، إن منعَ اللهُ رزقَهُ عنكم .. ويقصدُ بالرزق في هذه الآية (المَطَر) .

لَجُّوا : أصَرّوا على كفرِهِم ولم يتَّعِظوا .

في عُتُوٍّ : بِتَكبُّرٍ ، وعنادٍ .

نُفُورٍ : ابتعادٌ عن الحقِّ وكَراهِيَةٌ له ..

يَمشي مُكِبّاً على وجهِهِ : مُنكَّساً رَأسَهُ الى الارضِ ، لا يرى الَّذي أمامه ، ولا ماحَولَه .. والمعنى إنَّ الكافِرَ لا يُبصر طريقَ الحقِّ ، لأنَّه ناكِسٌ رأسَه ، لا يَفحصُ طَريقَهُ ، لِذا فهو لا يَدري ، أعَلىٰ حَقٍّ هو ، أم عَلىٰ باطِلٍ ــ أي سائرٌ على غَيرِ هُدى ، ولا طَريقٍ واضِح ــ .

سَوِيّاً : مُستَوِيا ، قائما .. يُبصر الطَّريق ، ويُشخِّصه بِوُضوحٍ ، وهو المؤمنُ الذي يرى طريقَ المسيرِ ، ويُميِّزُ النافِعَ من الضّارِ .

الأفئِدَةَ : العُقول .

ذَرَأكُم : خلَقكم .

المعنى العام

للآية ١٣ الى الآية ٢٤

ثم يخاطب الانسان المنافق بقوله :

« وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »

(الملك / ١٣)

أيّها الانسانُ انّكَ مكشوفٌ أمامَ اللهِ سبحانَهُ ، يعلمُ سرَّكَ ومَا انطوى عليه ضميرُكَ .. سواءٌ أعلنْتَ ، ونطقتَ بما في نفسِكَ ، أو كتمتَهُ وأخفيتَهُ ، فالأمرُ بالنسبةِ للهِ سواءٌ .. وليسَ بوسعِ أحدٍ أن يخادعَ اللهَ .. فاللهُ مطّلعٌ على دقائقِ الأمورِ وخفايا الضمائرِ ، يعلمُ المخلصَ الذي يخشى ربَّهُ بالغيبِ ، من المنافقِ والمرائي .. و يعلمُ الصّادقَ من الكاذبِ ..

لذلك وصفَ نفسَهُ في هذا المقامِ بأنّه : **« اللطيفُ الخبيرُ »** أي العالِمُ بدقائقِ الأمورِ .. المطّلعُ عليها .. المحيطُ بها .. الذي لا يخفى عليهِ شيءٌ ..

ثم يخاطبُ الانسانَ و يدعوهُ الى أن يعرفَ قُدرةَ خالِقِه ، و يعرفَ عظيمَ نِعَمِهِ ، فيقولُ له :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » ..

ليعرّفَهُ بفضلِ اللهِ عليه ، و يُعيدَ الى ذاكرتِهِ تلكَ النّعمِ .. وكيف أنّه يعيشُ على هذه الأرضِ الميسّرةِ للعيشِ ، بكل أجوائِها ، وقوانينِها الطبيعيةِ ، من الحركةِ ، والجاذبيةِ ، وغيرِها ، وتمكينِ الانسانِ من حرثِها ، وزرعِها ، والبناءِ على سطحها ، والتنقّلِ فيها ..

أيّها النّاسُ اسعوا في أرجاءِ هذه الأرضِ ، فهي لكم ، وأنتم أبناؤُها .. وَكُلُوا من رزقِ اللهِ .. فانّه الرّبُّ المُنعِمُ الذي أفاضَ عليكم نِعَمَهُ ..

في هذه الآيةِ يقررُ القرآنُ مبدأ عالَميةِ التوزيع الاقتصادي، و يُحطّمُ القيودَ والحدودَ، التي صنعَها الانسانُ؛ ليَحرمَ أخاهُ الانسانَ من الرّزقِ، ويحتكرَ خيراتِ الأرض لفئةٍ دون فئةٍ، أو قومٍ دونَ قومٍ.. فالأرضُ وما فيها جميعاً لبني الانسانِ جميعاً.. ينتفعونَ بها، و يقتسمونَ خيراتِها: «**والأرضَ وضَعَها لِلأنامِ**»..

(الرحمن / ١٠)

ثم يربطُ بينَ عالَمِ الدنيا وعالَمِ الآخرةِ، بين ممارسةِ نشاطاتِ الحياةِ على هذه الارضِ.. و بينَ النشورِ يومَ القيامةِ.. ليوضّحَ للناسِ انهم في مهلةٍ على هذه الارضِ، الميسرةِ للعيشِ، يتحركونَ، و يسعونَ، و يأكلونَ من نِعَمِ اللهِ، ثم ينتظرُهم يومُ النشورِ، يومُ القيامةِ.. فالى اللهِ يُرجعون، وامامَهُ يُحاسَبون.. ليكونَ العملُ متوازناً بين عالَمِ الدنيا وعالَمِ الآخرةِ.. بين المَدنيةِ، والعُمرانِ المادي، والتطورِ الاقتصادي.. و بين العبادةِ، والالتزامِ بالقيمِ، والاخلاقِ والاحساسِ بالمسؤوليةِ، أمامَ اللهِ سبحانَهُ.

ثم انَ القرآنَ يخاطبُ الانسانَ، الذي ينسى رعايةَ اللهِ، مستنكراً غفلتَهُ ونكرانَهُ ليذكّرَهُ بهذهِ الرعايةِ، وتمكينَهُ منَ العيشِ، مطمئناً، مستقراً على هذه الارض، التي تحملُهُ كما تحملُ الامّ وليدَها الحبيبَ.. وهولا يدري كيفَ تتحركُ وتُسيَّرُ وتُنظَّمُ.. ليَبعثَ لديهِ الحسَ الكوني، فيعرفَ انهُ يعيشُ وسطَ مجموعةٍ من القوانينِ، والانظمةِ الكونيةِ، التي سخَّرها اللهُ له.. واللهُ سبحانَهُ قادرٌ على ان يسلُبَ منه هذهِ النعمةَ، فيخسفُ به الارضَ، و يُفقِدُها نظامَ الاستقرارِ والتوازنِ: «**أأَمِنتُم مَن في السَّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإذا هِيَ تَمُورُ**».. ليشعُرَ الانسانُ في كلّ لحظةٍ انه محمولٌ على سطحِ هذه الارضِ برعايةِ خالِقِه، كما تحملُ الطائرةُ ركابَها، برعايةِ قائدِها وربانِها.. فَيُديمُ الاعترافَ بالفضلِ، والاحساسِ باللطفِ، والحب للهِ..

ثم يخاطبُ هذا الانسانَ العاصيَ مرةً اخرى، مستنكراً غفلتَهُ عن نزولِ العذابِ، والعقابِ الالهي.. فيحذرُهُ من بعضِ صنوفِ العذابِ، التي يمكنُ ان يُنزلَها به.. كالعاصفةِ التي تحملُ الحصى والصخرَ، فتدمرُ الانسانَ والحيوانَ والمدنَ..

بعدها يعرف الانسان عاقبة التكذيب والنكران .. وقوة العقاب وشدة الانكار الإلهي لجريمته ..

في هاتين الآيتين هدد الانسان باستعمال قوى الطبيعة ضده ، ليفهمه ان الطبيعة الجامدة ، خاضعة مستجيبة لامر الله ، يسخرها كيف يشاء .. يسخرها لخير الانسان فيمرح و يعيش مطمئناً بين أحضانها .. وهي مهيأة بأمر الله لان تتحول الى غضب وانتقام مدمر ضده .. فلم هذا الجهل والتمادي في الغفلة عن ذكر الله وعدم السير على نهجه القويم ؟

ثم يلفت نظر الانسان ؛ ليتعظ بالتاريخ ، و يستفيد من احداثه ، وكيف كانت عاقبة الامم التي رفضت الاستماع الى كلمة الانبياء ؛ ليعرف تجربة الأمم المنقرضة و يتحاشى التكرار الخاطىء : « **وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كانَ نَكير** » .. لقد كذب اولئك العُصاة ، فتغيرت اوضاعُهم الاجتماعية والحضارية من سيىء الى أسوإ ، وتغيرت النِّعم ، ونزل بهم العذاب ، وانطوت صفحتهم ، وعلا التراب آثارهم ، ثم يوجه انظارهم الى آيات الله ، وسيطرته على قوانين الطبيعة ، وتصرفه بها .. كيف يطير الطائر سابحاً وسط الفضاء ، متغلباً على قوانين الارض بقدرة خالقه : « **أَوَ لَمْ يَرَوا اِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافّات ٍ وَيَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إلّا الرَّحمنُ إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصيرٌ** » .. ان الذي امسك الأرض أن تهوي في الفضاء السحيق ، وان تضطرب بالانسان ، هو الذي مكّن الطائر أن يحلق في الجوّ ، وان يتصرف وسط الفضاء بإرادة ومهارة ، وفهم مناسب لطبيعة وجوده ..

يعرض أمام الانسان هذه المشاهد من غرائب النظام والقدرة ؛ ليوقظ حسّه الذي ألفه واعتاد هذه المناظر ، فلم تعُدْ تؤثر فيه ..

ان كل ذلك من تدبير الخالق الذي وصف نفسه في هذا الموضع بالرحمن ، و بأنه بكلّ شيء بصير .. فالأمور والنعم التي ذكرها لا يُفيضها الا رحمان .. والا بصيرٌ ، عالِمٌ بما يناسب طبائع المخلوقات ، و بشؤونها وأوضاعها .. وبما يُحقّق نظام حياتها ..

ثم تحدث القرآن عن غرور الكافرين، وشعورهم الخاطئ بالاستغناء عن خالق الوجود، المسيطر على قوانين الطبيعة والحياة، واحساسهم بالقوة والهيمنة، فاستنكر أن تكون هناك أية قوة في الوجود، تستطيع أن تحمي الانسان وتمكنه، وتغنيه عن حماية الرحمن، الذي أفاض عليه الرحمة والعناية: «**أَمَّن هذا ٱلَّذي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ إِنِ ٱلْكافِرُونَ إِلَّا في غرور**»..

ثم ذكر الانسان بنعمة المطر، أحد مصادر الرزق، والعيش المستقر على هذه الأرض.. وما قدّر الله من نُظُم وقوانين طبيعية لانزاله، وخضوعها لارادته سبحانه، فلو شاء أن يمنعها عن الانسان، فمن يستطيع أن يتصرف بقوانين الطبيعة، و يُنزل المطر، بالشكل الذي يُفيض على الأرض بالرزق والبركات..؟: «**أَمَّن هٰذَا ٱلَّذي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**»..

ان هذا الانسان ينكر كلّ ذلك، و يغفل عن هذه النعم جميعها، و يصرّ على كفره، وعناده، وابتعاده عن الحق والهدى.. وكأنه لا يرى نفسه مُحاطاً بالنعم، ومظاهر القدرة، والقوة، والعظمة الالهية: «**بَلْ لَجُّوا في عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**»..

وهكذا يصوّر القرآن الارض والسماء والطبيعة، من حول الانسان داخل اطار من الحركة، والجمال، والأمن، والاستقرار، والنعم، والخوف، والقلق، والتهديد، والعذاب، والرحمة، والمغفرة.. ليُثير الاحساس، بالجمال، والحبّ الالهي في نفسه، و يُحرّك غريزة الخوف والضعف فيه، فيضرب غروره وكبرياءه الأجوف الخدّاع..

ثم يقارن القرآن بين صنفين من الناس.. و يتساءل: أيُّ الصنفين أهدى وأقوم سبيلا..؟ مَن يمشي مُكِبّاً على وجهه، أمْ مَن يمشي سوياً.. فذاك قد التصق بصره بمواطئ قدميه، لا يُبصر الطريق، ولا يدري ما حوله، فهو لا يدرك حقائق الوجود، والطبيعة، وأحداث التأريخ، وشرائع الهداية التي تحدث عنها القرآن، ولا يستطيع تشخيص المستقبل.. بل يعيش في دائرة التبعية.. والتقليد لآبائه الضالين، والركود في حيّز متحجّر من الرؤية والتفكير.. لذلك فهو لا يبصر الحق.. ولا يهتدي في مسيرة

الحياةِ..

ان هذا الصنف، لا يمكنُ أن يكونَ أهدى مِن ذلكَ الانسانِ الذي يسيرُ مُنتصباً، معتدلاً على طريقٍ واضحٍ ومستقيمٍ، قد أطلقَ عقلَهُ و بصرَهُ.. فهو يعرفُ ربَّهُ، و يشخّص مسيرَهُ.. ويملكُ القدرةَ على الفهمِ والتمييزِ، بين الخيرِ والشرِ، والحقِ والباطلِ: «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

انَ في ذلكَ لَتوجيهاً للانسانِ، وارشاداً له.. ليكونَ معتدلاً سائراً على صراطٍ مستقيمٍ.. ثم يستمرُ في الحديثِ عن نعمِ اللهِ سبحانَهُ، وتيسيرِهِ وسائلَ الهدايةِ والاستقامةِ للانسانِ في هذه الحياةِ، في الوقتِ الذي يذكرهُ فيهِ بالنعمِ والاحسانِ الالهي، و يلومُهُ لقلّةِ شكرِهِ، وقلةِ اعترافِهِ بهذا الجميلِ.. فيخاطبُ نَبيهُ الكريمَ، و يطلبُ منه أن يُحاورَ هذا الصنفَ من الناسِ، قائلاً له:

«قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ».

لِيُذكّرَ الانسانَ بنعمِ اللهِ و بالوسائلِ التي تمكّنُهُ من الفهمِ ومعرفةِ الطريقِ المستقيمِ: السمعِ.. والبصرِ.. والعقلِ.. والتي بها يرى الحَقَ و يسمعُ كلمةَ الهُدى، ويميّزُ بين الخيرِ والشرِ.. فهو مزوّدٌ بوسائلِ الاستقامةِ والهدايةِ، و يستطيعُ أنْ يختارَ السيرَ سوياً، فلا يمشي مكباً على وجهِهِ..

ويربطُ القرآنُ بقولِهِ: «قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».. يربطُ بين خلقِ الإنسانِ، وانتشارِهِ في هذه الأرضِ، وتيسيرِ سبلِ العيشِ والهدايةِ الاجتماعيةِ له، وبينَ الحشرِ والمعادِ، والرجوعِ الى اللهِ للحسابِ والجزاءِ.. لِيُشعِرَهُ بالمسؤوليةِ، ووجوبِ السيرِ على منهجِ الاستقامةِ، والتحررِ من التخلّفِ والانحرافِ بقوله: «قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»..

فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

شرح المفردات

من الآية ٢٥ الى الآية ٣٠

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً : عندما يُبعثون ويَرون العذاب قريبا منهم .

سِيئَتْ وُجُوهُ الذينَ كَفَروا : عَلَتها الكآبة والغمّ ، وأصابهم الخزيُ والسوءُ .

تَدَّعُونَ : تَستَعجلونَ .. اي كنتم تَقولونَ ساخِرينَ : إنْ كان اللهُ حقاً قد خَلقَ جَحِيماً وعَذاباً ، فَلْيُعجِّلْ علينا ، لِنرى هذا العذابَ .. وقيل : إنّ المعنى : انْظروا فهذِه الجنّةُ وهذه النّار اللّتان كُنتم تُنكرونَهما .

يُجيرُ : يَحمِي .

غَوراً : غائراً في الآبارِ والعُيون .. أي إذا غارَ في الأرضِ ونَضَبَ .

بِماءٍ مَّعين : بِماء ظاهِرٍ ، تنالُهُ الدِّلاءُ ، وَتشاهِدُهُ العُيونُ .. أي مُتيسِّر .

المعنى العام

للآية ٢٥ الى الآية ٣٠

ثم يستعرضُ سؤالَ المعاندِ، المكبِّ على وجهِهِ، المستهزئِ والمستبطِئِ ليومِ الحساب .. الذي يقولُ فيه : « **مَتىٰ هٰذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ** » .. متى يومُ القيامةِ والجزاءِ ان كنتم صادقينَ أيها الانبياءُ ..

و يضعُ الجوابَ على لسانِ نبيّهِ الكريمِ (ص)، و يأمرُهُ أن يقولَ لهم : « **... إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللهِ وَإِنَّما أَنا نَذيرٌ مُبينٌ** » .. انّي أحملُ اليكُمُ الرّسالةَ، وأوضّحُ الانذارَ، وأبيّنُ لكم طريقَ الهدى .. وانكم تملكونَ العقلَ والسّمعَ والبصرَ، وعليكُم تقعُ مسؤوليةُ الاختيارِ، وتحديدِ الطريقِ الذي تسيرونَ فيهِ ..

إنَّ هؤلاءِ الكفارَ سيلتقونَ بالجوابِ الذي طالما سَخِروا منه، وتساءلوا عنه : « **مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ** » .. عندما ينتقلونَ الى عالَمِ الآخرةِ، و يلتقونَ بمشاهِدِ العذابِ والعقابِ .. فَيُقالُ لهم : هذا الذي كنتُم بهِ تستعجلونَ وتَنكرونَ وجودَهُ : « **هٰذَا ٱلَّذي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ** » ..

ثم يأمرُ نبيَّهُ أن يردَّ القولَ على الكافرينَ الذينَ راحوا يتمنّونَ موتَ النبي (ص) وأصحابِهِ، مُتصوّرينَ انّ بموتِهِ يَستريحونَ منه، ومِن دعوتِهِ، ومما أوعدَهم به .. فقد كانوا يَظنونَ ان الدعوةَ التي خاطبَهُم بها الرسولُ (ص)، ليستْ من عندِ الله .. لذلك قال اللهُ لنبيهِ : « **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَهلَكَنِيَ ٱللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَورَحِمَنا فَمَن يُجيرُ ٱلكافِرينَ مِنْ عَذاب أَليمٍ** » ..

قلْ لهم يا محمدُ (ص) : إنْ أماتَنِيَ اللهُ، وأماتَ أصحابي، وعجّلَ آجالَنا، أو رحمَنا، فأخّرَ أعمارَنا، وأخّر آجالَنا، فما الّذي ينفعُكُم .. ؟ وما الّذي يدفعُ عنكم العذابَ .. ؟ لا أحدَ يستطيعُ ذلك .. إنَّ امانيّكم تعبّرُ عن الجهلِ، والحقدِ، وروحِ الانتقامِ، التي تتصفُ بها النفوسُ والمشاعرُ الجاهليةُ المريضةُ .. فهي لا تملكُ غيرَ الأماني

الحاقدةِ، وروحَ التخلّصِ من دعاةِ الهُدى والرّشادِ..

قل لهم يا محمدُ (ص): ان الذي ادعوكُم اليهِ، هو الرحمٰنُ الذي وَسِعتْ رحمتُهُ كل شيءٍ، فاستظِلّوا بظلِّ هذه الرحمةِ، فقد آمَنّا بهِ، وتوكّلنا عليه: «**قُلْ هُوَ الرَّحمٰنُ آمنّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا**».. وستعلمونَ أيّنا على الحقِّ..؟ ومَن هوَ في ضلالٍ واضح الانحرافِ والسقوطِ..؟

وفي خاتمةِ السورةِ، يُذكّرُهم ببعضِ نِعمِ الرحمٰنِ، وفضلِهِ عليهم، خُصوصاً وهم يعيشونَ في باديةِ العَطَشِ والجفافِ، لِيُثيرَ احساسَهُم، و يَلفِتَ نظرَهُم بقولِهِ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماءُكُم غَوْراً فَمَنْ يأتيكُمْ بِماءٍ مَعينٍ**»..

يدعوهُم الى التأملِ في هذه النعمةِ، في هذا الماء الظاهرِ في آبارِهِم.. من بواطنِ الأرضِ، فتنالُهُ دِلاؤهم، وتراهُ عيونُهُم، و يروي عطشَهُم، وزرعَهُم، وحيواناتِهم، ويُشكّلُ مصدرَ الحياةِ في مجتمعِهم.. فمَن غيرُهُ يستطيعُ أن يُمِدَّكُم بمصدرِ الحياةِ هذا، إنْ غارَ في أعماقِ الأرضِ وجَفّتِ الآبارُ.. وغابَ عن العيونِ..؟!

وهكذا يختتمُ القرآنُ السورةَ في الحوارِ بينَ النبي (ص)، والكافرينَ؛ لِيُثبّتَ المنهجَ العلميَ، والاسلوبَ العقليَ، و يُقيمَ الحجةَ والدليلَ، و يُخاطبَ العقلَ والوجدانَ.. فقد رأيناه يخاطبُ نبيَّهُ الكريمَ ويقولُ لَهُ:

قُلْ هُوَ ٱلَّذي أنشأَكُم...

قُلْ هُوَ ٱلَّذي ذَرَأَكُمْ...

قُلْ إِنَّما ٱلْعِلمُ عِنْدَ اللهِ...

قُلْ أَرَأَيتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ...

قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ آمَنّا بِهِ...

قُلْ أَرَأَيتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً...

كلُّ ذلكَ لِيختارَ الانسانُ طريقَهُ، وليكونَ مستقيماً في فَهمِهِ، وتَفكيرِهِ، ولِيَتخلّصَ من حالةِ الجمودِ والتقليدِ الأعمى (**الانكباب**) الذي دعا القرآنُ الانسانَ في هذه السورةِ الى التخلّصِ منها..

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٦

ن وَالقلَمِ وَما : اسمُ حرفٍ (١) .. وقدِ ابتدأ القرآنُ سوراً عديدةً بالحروفِ ، مِثل :

---

(١) قال بعض المفسّرين : انّ معنى (ن) هو الدّواة .. فالله سبحانه يقسم بالدّواة والقلم .. وقال بعضهم انّ معنى (ن) هو الحوت ، و يراد به الحوت الذي ابتلع يونس (ع) .

« ق والقرآن المجيد » ، « ص والقرآن ذي الذكر » .. وما زالَ المعنى المرادُ من الحروفِ في أوائلِ السّورِ سرّاً غيرَ واضح لنا .

يَسْطرونَ : يُقسِمُ اللهُ سبحانَهُ بالقلمِ .. أداةِ العلمِ والمعرفةِ ، كما أقسمَ بما يَسطرونَ ، أي بما يَكتبونَ .. لِدلالةِ الكتابةِ على العلمِ والمعرفةِ ، الدّالينِ على عظمةِ الخالقِ وتعليمِهِ للانسانِ ، وهو قَسَمٌ بنعمةِ اللهِ وفضلِهِ سبحانهُ على الانسانِ .

ما أنتَ بِنعمةِ رَبّكَ بِمَجنونٍ : المقصود بالنعمةِ هُنا ، هو النبوةُ ، والمعنى نفيُ الجنونِ عنهُ ، بدليلِ حملِهِ للنبوة ، المعبرةِ عن كمالِ العقلِ والخلقِ ، وقيلَ إنّ المعنى لستَ مجنوناً بحمدِ اللهِ وفضلِهِ .

وَإنَّ لَكَ لأجراً : وإنَّ لكَ ثواباً على قيامِكَ بمهمةِ النبوةِ ، والدعوةِ الى الاسلامِ .

غَيرَ مَمنونٍ : غيرَ مُنقطعٍ .. أي دائمٍ مستمرٍ .

وإنَّكَ لَعلىٰ خُلُقٍ عَظيمٍ : انكَ مُتّصفٌ يامحمدُ ــ ص ــ بالاخلاقِ والآدابِ والفضائلِ العظيمةِ وقيل أن المعنى : وإنكَ لعلىٰ دينٍ عظيمٍ .

فَستُبصِرُ : فستَرىٰ يامحمدُ مصيرَ الكافرينَ ، وانتصارَ دعوتِكَ .

وَيُبصِرُونَ : وسيرى الكافرونَ الذين يتهمونَكَ بالجنونِ ، مصيرَ عملِهِم في الآخرةِ ، وانتصارَ دعوةِ الهُدىٰ في الدنيا .

بِأيّكُمُ المفتون : أيّكُم المصابِ بالجنونِ ، وفقدانِ العقلِ ، أي سيعرفونَ مَنِ المَجنونُ .. ؟ أنتَ أم هُم ؟ .

ضَلَّ عن سَبيلِهِ : إنحرفَ عن طريقِ الحقِ ، وهو الاسلامَ .

فَلا تُطعِ المُكَذّبينَ : لا تُوافِقْ هؤلاءِ المُكذّبينَ لَكَ .

وَدّوا : أحَبّوا ، وَرَغبوا .

لَو تُدهِنُ : لوتَتَنازَلُ عن بعضِ دينِكَ ورسالَتِكَ ، وتقتربُ منهم .

فَيدهِنُونَ : فيتقرّبون منك ، ويُصالِحونَك .

لا تُطِعْ

كُلَّ حَلّافٍ : كثيرَ الحلفِ والقَسَمِ بالباطلِ .

مَّهينٍ : محتقرِ الرأيِ ، ذليلٍ عندَ اللهِ والناسِ ، لِكَذِبِهِ .

هَمّازٍ	: مُغتابٍ ، كثيرِ الاغتيابِ للناسِ .
مَشّاءٍ بِنَميمٍ	: كثيرِ النَّميمةِ بينَ الناسِ والنقلِ لما يُسيء ، ويوقعُ الفتنةَ والعَداوةَ بينهم .
مَنّاعٍ للخَيرِ	: شديدِ البُخلِ ، وقيل منّاعٌ قومَهُ عن الذي هو خيرٌ .
مُعتَدٍ	: متجاوزٍ عن الحقِ ، ظلومٍ .
أثيمٍ	: كثيرِ الاثمِ .. المواظبِ على فعلِ المعاصي والجرائمِ .
عُتُلٍّ بعدَ ذلكَ زَنيمٍ	: العتلُّ : الفاحشُ السيءُ الخلقِ ، الغليظُ الطباعِ ، والزنيم : هو ولدُ الزنا ، الملحقُ بقومٍ في النسبِ .
أن كانَ ذا مالٍ وبنينَ	: أي أنه اتصفَ بتلكَ الصفاتِ الرذيلةِ من البخلِ ولؤمِ الخلقِ ، والعدوانِ ، والاثمِ ، لانه كان ذا مالٍ وبنينَ فطغى بمالِهِ واعتدى .
سَنَسِمُهُ على الخُرطومِ	: الوسمُ : وضعُ العلامةِ .. والخرطومُ : الانفُ ، ويطلقُ على الخنزيرِ والفيلِ . والمقصودُ بالآيةِ هو الاستهانةُ والاستهزاءُ بأنفِهِ ، الذي ستكونُ عليهِ علامةُ الذلِ والمَهانةِ في جهنَّم يومَ القيامةِ .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١٦

واجهَ المشركونَ الدعوةَ الاسلاميةَ ، ونبيَّها الكريم (ص) بشتى صنوفِ الاذى والاتهامِ .. ومن جملةِ ما اتهموهُ به ، هو الجنونُ .. للتشكيكِ بشخصِهِ ، والنيلِ من مكانتِهِ .. بعد أن منعَهمُ العنادُ عن قبولِ رسالتِهِ ، وعجزت عقولُهُم المتخلّفةُ عن فهمِ دعوتِهِ بأساليبِ العنفِ والارهابِ ..

والباري جلّ شأنُهُ في هذه السورةِ ، يُسلي نبيه ، و يُطيّب نفسه ، و يُثبّته .. و يُقسمُ بالعلمِ والمعرفةِ الدالينِ على عظمةِ الخالقِ ، وتعليمِهِ للانسانِ ، ليُشعرَ من خلالِ المُقسَمِ به : « **ن وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** » ، العلاقةَ بين دعوةِ الرسولِ وما نزلَ عليهِ ، و بينَ العلمِ

والمعرفةِ ، التي لا يمكنُ أن يحملَها الا صاحبُ العقلِ الكبيرِ ، والخُلُقِ العظيمِ ..

يُقسِم : إنكَ يا محمدُ ، بفضلِ اللهِ ونعمتِهِ عليكَ ، لستَ مجنوناً .. وكيف تكونُ مجنوناً ، وأنت تحملُ العلمَ والمعرفةَ ، وتلك الرسالةَ الرائدةَ ، وتدعو الناسَ اليها .. انك تستحقُ على نبوتِكَ الأجرَ من ربِّكَ والجزاءَ غيرَ المنقطعِ ، والذي لا يشوبُهُ المَنُّ ولا يُكدِّرهُ قولٌ مزعجٌ .. فلا يؤذيكَ ما يقولونَ .. انك متصفٌ بكلِّ خُلُقٍ حميدٍ ، وبكلِّ صِفةٍ عظيمَةٍ ..

انتظرْ يا محمدُ عاقبةَ أولئكَ الذينَ يقفونَ بطريقِ الحقِ ، و يتهمونَ شخصَكَ الكريمَ ، لِيُبعِدوا الناسَ عنكَ ، فسترى مصيرَهُم المأساويَّ ، وسيرونَ هذا المصيرَ ، وستعرفُ و يعرفونُ : أن النصر لِدعوتِكَ ، والحقَ معكَ في الدنيا والآخرة ..

وقد حققَ اللهُ له النصرَ ، وأذلَّ معسكرَ الكفرِ والجاهليةِ .. وشَهِدَ المشركونَ ذلك المصيرَ الاسودَ ..

ستعرف يا محمدُ ، وسيعرفونَ ، مَنْ هو المجنونُ ، الذي لا يملكُ العقلَ .. الذي فتنهُ الشيطانُ ، وقادهُ الى الهلاكِ : « **فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ** » ..

ان الله يعلمُ الضالَّ من المهتدي ، وهو الذي يقررُ الحقَ والباطلَ ، وليس هُمُ الذين يقررونَ ذلك .. وها هو يَصفُكَ بأنكَ : « **لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** » و : « **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ** » ..

ثم ينتقلُ بعد ذلك الى دعوةِ الرسولِ الى الصمودِ ، والوقوفِ بوجهِ المكذبينَ ، الذين يكذبونَ بهذهِ الدعوةِ والرسالةِ ، و يريدونَ منهُ المساومةَ على مبادئِهِ ، والتنازلَ عن بعضِها ، وعندئذٍ يُظهرونَ له التقاربَ والمصالحةَ : « **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** » .. ان هذا المنهجَ الجاهليَ .. منهجَ المداهنةِ والنفاقِ ، والتنازلِ عن الحقِ ، مرفوضٌ في شريعتِكَ يا محمدُ ، فاحذرْ اولئكَ الضالينَ ..

إحذرْ هذا الكذابَ ، الذي يُكثِرُ من الحلفِ والقَسَمِ ؛ لِيُقنِعَكم بصدقِ قولِهِ [1] ،

---

(١) ذكر المفسرون أن المقصود هو الوليد بن المغيرة .. وهو من أشد أعداء الدعوة الاسلامية ، ومن كبار ←

هذا الذليلَ الحقيرَ الرأيِ والتفكيرِ، الوضيعَ الخلقِ والشرفِ .. المتصفَ بالقساوةِ والجفاءِ .. العَيّابَ للناسِ .. المغتابَ لهم .. الذي يسعى بينهم بالوقيعةِ والعداوةِ .. الذي لا يَصدُرُ عنه خيرٌ .. بخيلٌ، شحيحٌ .. متجاوزٌ على الحقِ .. ظالمٌ غشومٌ .. لا يعرفُ الاستقامةَ، ولا الالتزامَ بالخيرِ .. موغلٌ في الاثمِ والجريمةِ والعدوانِ والضلالِ ..

ثم ليست هذه صفاتُهُ السيئةُ وحسب، بل وهو جافُّ الطبعِ .. سيئُ الخُلُقِ، فاحشٌ، بذيءٌ، شديدُ التمسكِ بالباطلِ، متهمٌ بأصلِهِ، وانتسابِهِ لأبيهِ[1] ..

ان القرآنَ بهذا العرضِ، والتعريفِ بصفاتِ، وخلقِ الشخصياتِ التي تقودُ المجتمعَ الجاهليَ، أرادَ ان يوحيَ بالقولِ للرسولِ الهادي (ص) ولاتباعِهِ، إنَ الذينَ يتهمونَ الحقَ و يُكذبونَ به، و يُريدونَ المُداهنةَ، هم هذه صفاتُهُم، في حين أنك يا محمدُ (ص) على خُلُقٍ عظيمٍ، وتحملُ رسالةً عظيمةً ..

من ذلك تعرفُ مكانةَ دعوتِكَ وشخصيتِكَ .. وحقيقةَ دعوتِهم وشخصياتِهم، فواقِعُهم شاهدٌ على حالِهم ..

ان هذا العنادَ والقسوةَ والاصرارَ على معاداةِ الحق، ورفضِ دعوةِ الهدى من قبلِ هذا الخصمِ (الوليدِ بن المغيرةِ) وأمثالِهِ، لم يكن الا بسببِ امتلاكِهِ للثروةِ والمالِ والابناءِ؛ فسيطرَ عليهِ الغرورُ والطغيانُ، وحبُّ المالِ، وغرَّهُ الجاهُ والقوةُ: **«أنْ كانَ ذا مَالٍ وَبَنينَ»** ..

الرأسماليين في المجتمع المكي .. وقد عرض أموالاً على النبي (ص) ليقنعه بالتنازل عن دعوته المباركة .. وقيل أن المقصود هو الاخنس بن شريق .. وقيل ان المقصود هو الاسود بن عبد يغوث .. الا انه يظهر من سير التفسير أن المقصود هو الوليد بن المغيرة، حيث ذكر الطبرسي في تفسير السورة: أن ابن قتيبة قال: (لا نعلم ان الله وصف أحداً، و بلغ من ذكر عيوبه، ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة: لانه وصفه بالحلف، والمهانة، والعيب للناس والمشي بالنمائم، والبخل، والظلم، والاثم، والجفاء، والدعوة، فألحق به عاراً، لا يفارقه في الدنيا والآخرة) / الطبرسي / مجمع البيان.

(١) ذكر الزمخشري في الكشاف. وأبو البركات النسفي في تفسير القرآن الجليل: أن الوليد كان دَعِيّاً (ابن زنا)، ولم يكن من قريش؛ ادعاه أبوه، بعد ثمان عشرة سنة من مولده .. وقيل بَغَت أمه، ولم يعرف ذلك حتى نزلت الآية.

ان الذين يرفضونَ دعوةَ الحقِ ، هم أولئكَ الذينَ يخافونَ على أموالِهم وثرواتِهم ، التي جمعوها من الحرام ، ومكانتِهمُ الاجتماعيةِ ، فيخافونَ ضياعَ النفوذِ والسيطرةِ ..

انهُ يستخفُّ بهذهِ الدعوةِ ، و يتهمُها بأنها خرافاتٌ باليةٌ ، سطرها وكتبَها الاولونَ ، ليَنتقِصَ من شأنِها ، و يفتعلَ اسباباً للمعارضةِ والمقاومةِ .. « **إذا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ** » ..

ان هذا الطاغية ، المغرور بماله وابنائه .. إنّ هذا الصنف من الشخصيات المريضة المعقدة .. سيجد جزاء غروره .. بأن يُهان ، ويُذلّ ، ويُكوى على أنفه .. فتطبع عليه علامةِ الذل والمهانة يوم القيامة ..

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾

شرح المفردات

من الآية ١٧ الى الآية ٣٤

إنّا بَلَوناهُمْ : إنّا اَصبنا أهلَ مكةَ بِمُصيبةِ القحطِ والجوع .. وقيل إنّ المعنى .. إختبَرناهم وامتحَناهُم بما أعطيناهُم من مالٍ وبَنينَ .

أصحابَ الجنَّةِ : المقصود بالجنةِ هنا : البُستانُ ، وكان هذا البستانُ في اليمنِ ، ولأهلِهِ قصةٌ قصَّهَا القرآنُ ، وسنوضحها في الشرح ان شاءَ اللهُ .

إذ أقسَموا : حَلفوا (أهلُ هذا البستانِ) فيما بينهم .

لَيَصرِمُنَّها : لَيقطِفونَ ثَمَرَها .

مُصبِحينَ : يَدخلونَها عند حُلول الصباح ، بعد أن اتفقوا في ليلِ ذلكَ الصباح .

وَلا يَستَثنونَ : أي أطلَقوا قولَهُم ، ولَمْ يقولوا إنْ شاءَ اللهُ سنقطِفُ الثمارَ .. أي قرّروا أن يَقطِفوا ثِمارَ بستانِهم دون أن يَحسبوا أنّ للهِ ارادةٌ ومشيئةٌ فوقَ ارادَتِهم تمنَعُهُم من تنفيذِ ارادَتِهم .. وقيل إنّ المعنى اَنْ يقطعوا ثَمَرَها خالِصاً لهم ، ولا يَسْتثنونَ شيئاً منه للفقراءِ والمساكينِ .

فَطافَ عَلَيها طائِفٌ مِن رَّبِّكَ : نَزَلَ بتلكَ الجنةِ (البُستان) دمارٌ من ربِّكَ يامحمدُ ، ليلاً ، وهم نائمونَ وقبلَ أن يُنَفِّذوا ما أرادوا .

كَالصَّريم : سوداءُ مُحتَرِقة ، كاللّيلِ ، او كالرّمادِ الأسودِ (١) ، أو كالشجرِ الذي قُطِعَ ثمرُهُ ، ولم يبقَ عليهِ ثمرٌ .

فَتَنادَوا مُصبِحِينَ : نادى بعضُهُم بعضاً عندَ الصباح .

أنِ اغدُوا عَلىٰ حَرثِكُم : تَوَجّهوا مُبكّرينَ الى زرعِكُم وشَجَرِكم .

إن كُنتُم صارِمينَ : إن كنتم قد قررتم ، وعزمتم ، على قطف الثّمار ، وجنيها .

فانطَلَقُوا : فَذَهبوا ووجوهُهُم يَعلوها البِشرُ والسُّرورُ .

يَتَخافَتُونَ : يُكلمُ بعضُهُم بعضاً بصوتٍ مُنخَفِضٍ .

وَغَدَوا على حَردٍ قادِرينَ : حرد : مَنع .. والمعنى : خَرجوا مُبكّرينَ ، قاصِدينَ بِذلكَ مَنعَ الفُقراءِ .. بعد أن قَدّروا أنّهم قادرونَ على قَطفِ الثّمرِ ، وحِرمانِ

---

(١) الصريم : الرماد الأسود بلغة خزيمة / الطبرسي / مجمع البيان .

الفقراءِ من العطاءِ .

فَلمّا رَأوها : فَلمّا رَأوا جنتَهُم ، وقد حَلَّ بها الخرابُ والدَّمارُ .

إنا لَضالُّونَ : ضالُّونَ عن طريقِ الحقِ ، بما قَصَدنا وأردنا من حرمانِ الفقراءِ والبخلِ ، وعدمِ الإنفاقِ .. وقيلَ معناه : ضَلَلْنَا الطريقَ ، فليستْ هذه هي جنتُنَا ، لِما رأوا فيها من خرابٍ ودمارٍ .

بَل نَحنُ مَحرومونَ : لسنا ضالّين فقط ، وانما حُرِمْنا الرزقَ ، وخيراتِ هذهِ الجنةِ أيضاً .

قالَ أوسَطُهُم : اعدَ لَهُم قولاً .. أو أفضلُهُم وأعقلُهُم .

ألَمْ أقُل لَكُم لولا تُسبِّحونَ : ذكَّرَهُم بقولِهِ لَهُم انْ يُسبّحوا اللهَ .. أي يُنزّهوهُ عن الشريكِ في التأثيرِ وتقديرِ الأمورِ ، حينما كانوا يُقرّرونَ قطفَ الثمرِ وحرمانَ الفقراءِ ونسُوا ذكرَ اللهِ وأوامِرَهُ .. وقيل : إنّ المرادَ بالتسبيحِ هو الاستغفارُ وذكرُ اللهِ والتوبةُ مما عَزَموا على فعلِهِ عندما قَرّروا ذلك .. فقد ذَكَّرَهُم بِحَثِّه لهم على ذلك .

سُبحانَ رَبّنا : تَنزَّهَ اللهُ عن الشريكِ ، فهوا الذي يفعلُ ما يشاءُ ، ولا يكونُ إلاّ ما يُريدُ .

إنّا كُنا ظالِمينَ : اعترفوا بظلمِهِم ، ومَعصيَتِهِم .

يَتَلاوَمونَ : يلومُ بعضُهم بعضاً .

ياوَيلَنا : تعبيرٌ يعني الاستغاثةَ مما وقعَ عليهِم من شدةِ المَكروهِ .

إنّا كُنّا طاغِينَ : مُتجاوزينَ .. قد غَلَوْنا في الظلمِ وأفرَطْنا .

عَسَىٰ رَبُّنا أن يُبدِلَنا خَيراً مِنها : قالوا بعد تَوبَتِهِم ، لعلَّ اللهَ يُعوِّضُنا ما فَقَدناه في هذهِ الحديقةِ بِما هو خير منها .

إنا الى رَبّنا راغِبونَ : إنّا نرغبُ في التوبةِ ، والاستغفارِ والعودةِ الى اللهِ .

كَذلِكَ العذابُ : كذلك عذابُ اللهِ في الدنيا للعاصينَ .

المعنى العام

للآية ١٧ الى الآية ٣٤

بعد ذلك انتقلَ القرآنُ للحديثِ عن هذهِ الطبقةِ من المستكبرينَ ، طبقةِ اصحابِ المالِ والثراءِ والجاهِ من أهلِ مكةَ .. وتحدثَ عن الاختبارِ الذي يمرونَ به ، والامتحانِ الالهي .. وكيف أنهم سيتصرّفونَ بعدَ أن أُعطوا (الوليدُ وأمثالُه) هذا المالَ والابناءَ .. ان هذا الاختبارَ له مثيلاتُهُ في الشعوبِ والامم .. وان هذه الصورَ والاوضاعَ البشريةَ تتكررُ على مرِّ العصورِ ؛ لذا أوردَ شاهداً تأريخياً ؛ ليشرحَ هذه الحقيقةَ ، و يوضحَ عمقَها وأبعادَها الاجتماعيةَ والتأريخيةَ ، فذكرَ قصةَ أصحابِ البُستانِ الذينَ وَرثوهُ عن أبيهم ..

كانت تلك الجنةُ (البستان) في اليمنِ ، قربَ صنعاءَ ، لشيخٍ مؤمنٍ ، لا يجني شيئاً من ثمرهِ إلّا وأخرجَ حقَّ الفقراءِ ، وأعطاهُم منه .. ولما توفيَ الشيخُ ، ورثهُ أبناؤهُ الخمسةُ ، فسيطرَ عليهمُ البخلُ وحبُّ المالِ ، وقرروا أن لا يسيروا على نهجِ أبيهم ، وان يَحرموا الفقراءَ ، ولا يُعطوهم شيئاً .. لقد نضجتِ الجنةُ ، وأينعتْ ثمارُها ، وها هم يطوفونَ بها عصراً ، مُعجبينَ ، فرحينَ ، فدفعهُمُ الحرصُ والبخلُ الى ان يتفقوا على حرمانِ الفقراءِ .. غير أن أحدَهُم (وهو أخوهم) كان رجلاً متصفاً بالعقلِ والحكمةِ ومخافةِ اللهِ ، فرفضَ القرارَ ، وحذّرهُم من هذا الاتجاهِ الخاطِئ ، وطالَبَهُم بالاستغفارِ والتوبةِ ، ونَهاهُم من حرمانِ الفقراءِ ، ومَنعِهم حقوقَهم .. فانَّ غضبَ اللهِ سَيُصيبُهُم إنْ هم فعلوا ذلك ، فاستهانوا برأيهِ ، وقرروا أن يَخرجوا صباحاً ، مُستخْفينَ عن الانظار ، وراحَ بعضُهم ينادي بعضاً ، ويحثُّهُ على التبكيرِ ، والاسراعِ في الخروجِ .. فخرجوا « **وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ** » ، لا يتحدثونَ الا بصوتٍ خافتٍ ، لئلا يسمعُهُم أحدٌ .. أو يراهم أحدٌ من الفقراءِ .. لقد أقسموا أن يَجنُوا الثمارَ ، قبل أن يأتيَ مسكينٌ ، أو يشعرَ بهم فقيرٌ ، فيطلبَ منهم شيئاً .. أقسَموا أن لا يُعطوا من ثمرِهِم شيئاً ..

وهكذا ذهبوا صباحاً ، والفرحُ يعلو وجوهَهُم ، وهم يسيرونَ بِجِدٍّ ونشاطٍ

« فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ » ، لِما سَيَجْنونَ من ثمرٍ ، ويجمعونَ مِن خيرٍ .. وقد اقتنعوا بِقُدرَتِهم على جمعِ الثمارِ ، وحرمانِ الفقراءِ .. الا أنهم فوجِئوا بالحرمانِ ، ودمارِ المزرعةِ ، وبغضبِ اللهِ يُحيلُها خلالَ الليلِ رماداً : « فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ » ..

لقد أذهلَهُمُ المنظرُ ، واستولى عليهمُ الرعبُ فظنّوا أنهم تاهوا ، وضلّوا الطريقَ ، وان هذا الذي يرونَهُ ليسَ بستانهم .. ثم تأملوا قليلاً ، فأدركوا أنهم ليسوا بتائهينَ .. بل حُرِموا خيراتِ اللهِ ؛ لانهم قرروا حرمانَ الفقراءِ ، ومنعَهُم حقَّهُم .. عندئذٍ أحسّوا بالندمِ « فَلَمّا رَأَوْها قالُوا إِنّا لَضالّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ » ، فراحَ أخوهم الذي حذّرهم عاقِبةَ الجريمةِ والمعصيةِ يلومُهُمُ ، ويذكّرُهُمُ بما قالَ لَهُم عندئذٍ استفاقَتْ ضمائِرُهُم ، وأحسّوا بالخَطاءِ ، وراحوا يتلاومونَ ، ويَستغفرونَ ، ويعترفونَ بالخطاءِ .. فشعروا أنهم ليسوا عاصينَ وحسْب ، بل ومتجاوزونَ الحدودِ في المعصيةِ .. لقد كان ذنباً عظيماً .. « يا وَيْلَنا انا كُنّا طاغينَ » .. ثم راحوا يستغفرونَ و يرجونَ مغفرةَ اللهِ ، وتعويضَهُ لهم .. لقد أحدثَ الندمُ أثرَهُ في نفوسِهِم فراحوا ينادونَ : « عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها » ..

في هذهِ القصةِ عبرةٌ ودرسٌ عظيمُ الأثرِ والأهميةِ .. انها من قصصِ القرآنِ وأمثلتِهِ التي تربي الانسانَ وتوجهُهُ .. فهي تكشفُ شُحَّ النفسِ البشريةِ ، ولؤمَها .. كما تكشفُ حقيقةً أخلاقيةً ، وقانونيةً اقتصاديةً .. على انّ حرمانَ الطبقاتِ الفقيرةِ من حقوقِها ، يقودُ الى عقابِ الهيٍ ، يؤدي الى حرمانِ أهلِ المالِ والثراءِ أيضاً [1] .. وانّ عدمَ الاستماعِ الى الارشادِ والنصيحةِ ، يقودُ الى الندمِ والهلاكِ ..

ويأتي توضيحُ القرآنِ و بيانُهُ للحوادثِ والعبرِ بقولِهِ : « كَذٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعذابُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » ..

---

(١) روى الامام الحسن بن علي (ع) عن جدّه رسول الله (ص) قوله : (حصّنوا أموالكم بالزّكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدّعاء والتضرّع) .

فالقرآنُ يؤكد ان هذا المصيرَ هو مصير كلِّ المجرمينَ والطاغينَ والمتجاوزينَ على قوانينِ الحقِ والعدلِ الاجتماعي، والرافضينَ لشريعةِ اللهِ سبحانَهُ .. وليس هذا وحسب، بل وعذابُ الآخرةِ أكبرُ وأعظمُ من هذا العقابِ الاقتصادي في الحياةِ الدنيا ..

واذا كانَ هذا جزاءَ الطاغينَ بمالِهم وقوتِهم .. فإن جزاءَ المؤمنينَ والمتقينَ، هو الجنةُ والنعيمُ ..

﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ

شرح المفردات

من الآية ٣٥ الى الآية ٤٣

أفنجعلُ المُسلمينَ كالمشركينَ : لا نجعلُ المسلمينَ كالمُشركينَ في الجزاءِ والثوابِ.

ما لكُم كيف تحكُمونَ : ان هذا القولَ الذي تقولونَهُ ــ نحنُ كالمسلمينَ في الآخرةِ، أو أفضلُ

منهم ــ لا يقومُ على فهمٍ سليمٍ .. فما الذي أصابَ تفكيرَكم ، حتى صِرتُم تقولونَ هذا القولَ ؟ (أي انه حكمٌ ضالٌ منحرفٌ) ، وفي الآية استقباحٌ ، واستهانةٌ بهذا القولِ .

أم لَكُم كِتابٌ فيهِ تَدرُسونَ : أم لكم كتابٌ تتعلمونَ منهُ هذهِ الاحكامَ المنحرفةَ وأمثالَها ، وتستعيضونَ به عن القرآنِ وموازينِهِ ؟ .

إنَّ لَكُم فيهِ لَما تَخَيَّرونَ : وان لكم فيه لما يوافقُ أهواءَكم ، ورغباتِكم من أحكام وموازينَ .

أم لَكُم أيمانٌ عَلَينا بالِغَةٌ الىٰ يومِ القيامةِ إنَّ لَكُم لما تَحكمونَ : أم لكم على الله عهودٌ ومواثيقُ مؤكدةٌ الى يوم القيامةِ : إنَّ لكم يومَ القيامةِ مِنَ الخيرِ ما تقولونَ ، وهوَ (أنكم كالمسلمينَ ، أو أفضلُ منهم) .

سَلهُم أيُّهم بِذلكَ زَعيمٌ : سَلهُمْ يامحمد ــ ص ــ أيُّهُم يتعهدُ ، ويتكفلُ بهذا القولِ : إنَّ لهُم ما لِلمسلمينَ يومَ القيامةِ ؟ .

أم لَهُم شُركاءُ : أمْ لهم أصنامٌ تشاركُ الله في الربوبيةِ ؟ وقيل إنَّ المعنىٰ : أمْ لهم شهداءُ يَشهدونَ لهم يومَ القيامةِ على صحةِ ادعائِهم .. فليأتوا بهم يومَ القيامةِ ليصدّقوا قولَهُم ..

يَومَ يُكشفُ عن ساقٍ : يومَ القيامةِ .. والكشفُ عن ساقٍ .. كنايةٌ عن اشتدادِ الامرِ وصعوبَتِهِ .

وَيُدعونَ الى السُّجودِ فَلا يَستَطيعونَ : أي يُؤمرونَ بالسّجودِ يومَ القيامةِ إهانةً وتوبيخاً لهم ، لأنّهم تركوهُ في الدنيا فلا يَستطيعونَ السجودَ .

خاشِعةً أبصارُهم تَرهَقُهُم ذِلَّةٌ : ذليلةً مهانةً .. لا يرفعونَها لِذُلّهم ومهانَتِهم .

: تَغشاهُم ذِلةُ الندامةِ والحسرةِ .

وَقَد كانُوا يُدعَونَ إلى السُّجودِ وَهُم سالِمونَ : كانوا يُدعونَ في الدنيا الى الخضوعِ لامرِ اللهِ والصلاةِ لَهُ ، وهم قادِرونَ عليها ، لصحةِ أجسادِهِم .. لا يوجَدُ أيُّ مانعٍ يَمنَعُهُم ، عن السجودِ ، فلا يَستجيبونَ .

المعنى العام

للآية ٣٥ الى الآية ٤٣

ثم عادَ للحديثِ ، والردِّ على المشركينَ .. كيف يمكنُ ان تكونوا كالمسلمين .. هل يتساوى من هو على هُدىً واستقامةٍ ، مع مَنْ هو غارقٌ في الجريمةِ والعدوانِ ؟ .. ان قولَكم هذا ، لَيُثيرُ العجبَ .. ما الذي أصابَكم ؟ .. لقد فقدتُمُ العقولَ والموازينَ .. ما هذه المقاييسُ ؟ .. وما هذا المنطقُ الأهوجُ ؟ .. انّ الامرَ ليس مفوضاً اليكم ، تلعبونَ بالقِيَم والموازينِ ، وتُصدِّرونَ الاحكامَ كيف تشاؤونَ .. انه حكمٌ ظالمٌ ، وتقديرٌ جائرٌ : أن يكونَ المهتدي ، المستقيمُ السلوكِ ، كالمجرمِ الضالِ .. أهذهِ الاحكامُ اخَذتُموها مِن شريعةٍ وكتابٍ خاصٍ بكم ، تدرسونَ فيهِ ، وتتعلمونَ منهُ : انّ لكم ما تشتهونَ وما تُقررونَ .. « **أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فيهِ تَدْرُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ فيهِ لَما تَخَيَّرُونَ** » .. أم اتخذتم أيماناً وعهوداً على اللهِ ، شديدةً مؤكدةً ، لا تزولُ حتى يَفِيَ بها (الى يوم القيامة) ضَمِنَ لكم فيها : ان يتركَ الامرَ لكم ؛ تُقررونَ كيف تشاؤونَ ، وان الشريعةَ والتقديرَ والجزاءَ في الدنيا والآخرةِ ، واعطاءَ الناسِ قيمتَهُم الحقيقيةَ متروكٌ لتقديركم وارادَتِكم ومشتهياتِكُم ..

سَلهُم يا محمدُ (ص) أيُّ المشركينَ ، الذينَ يقولونَ سنكونُ في الآخرةِ كأصحابِ محمدٍ (ص) ، لأننا في الدنيا أفضلُ منهم بأموالِنا ومكانَتِنا الاجتماعيةِ .. سَلهُم : أيُّهم يَضمِنُ تنفيذَ هذا الكلامِ ، ويحتجُّ بهِ على اللهِ يومَ القيامةِ ، اذا انكشفت الحقيقة ، وبانَ الفارق بين المسلم والمجرم .. « **سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعيمٌ** » .. أم أنَّ آلهتَهُم التي يدَّعون شِركَها للهِ ، تستطيعُ أن تشفعَ لَهم ، فَتُنَفِّذَ لهم هذهِ الادعاءاتِ .. إن كانت هذه الاصنامُ التي يدَّعون شِركَها لله ، تستطيعُ أن تجعلَهُم كالمسلمينَ في الجزاءِ ، فلْيأتوا بها يومَ القيامةِ ، ولِيَعرفوا الحقيقةَ .. انها حطبُ جهنمَ ، لا تدفعُ عنهم ، ولا تشفَعُ .. « **أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقينَ** » ..

ثم انتقلَ الى بيانِ أهوالِ يومِ القيامةِ ، وشدةِ الامرِ فيها ، وصعوبةِ الموقفِ « **يَوْمَ**

يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطيعُونَ » .. ان الكشفَ عن الساقِ تعبيرٌ ، وكنايةٌ عن شدةِ الامرِ وهولِهِ .. وهو من مصطلحاتِ العربِ ، التي يستعملونَها في هذا المعنى .. ، فيقالُ كشفَ عن ساقِهِ ؛ أي تهيَّأ لِمواجهةِ الموقفِ الصعبِ ، وَرَفَعَ ثَوبَهُ عن ساقِهِ ، لئلا يُعيقَهُ عن الحركةِ والاندفاعِ ..

وجاء هذا المعنى واضحاً في قولِ الشاعر :

أخـو الحـربِ إن عَـضَّتْ بـهِ الحربُ عَـضَّـها

وإنْ شَـمَّـرتْ عـن سـاقِـهَـا الحـربُ شَـمَّـرا[1]

في ذلك اليومِ المرعبِ الذي يتفاقمُ فيه الفزعُ و يشتدُ ، يُدعونَ فيهِ الى السُّجودِ ، توبيخاً وأهانةً لهم ، بعد أنْ تركوهُ في عالَمِ الدنيا ، فلا يستطيعونَ السجودَ والخضوعَ لله ، أيضاً ، في عالَمِ الآخرةِ لتركز نزعةِ الكبرياءِ والكفرِ في نفوسِهم ، والتكبرِ على اللهِ والعصيانِ له ؛ لأنَّ حقيقةَ الانسانِ في الآخرةِ هي مطابقةٌ لحقيقتِهِ في الدنيا ، فلا يملكُ تغييرَها .. فالانسانُ في عالَمِ الدنيا ، يَصنعُ حقيقتَهُ في عالَمِ الآخرةِ ، ويُشكلُ ذاتَه وَيُهيِّئُها ..

لقد ضيعوا فرصة القدرة على الطاعة والسجود ، يوم كانت لهم القدرة ، و بإمكانهم أن يصنعوا حقيقتهم وأن يكونوا من الساجدين .. **« وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ »** ..

ان أبصار أولئك المتكبرين ، ذليلة ، مهانة ، لا ترتفع ، ولا تعلو ، لانها تشعر بذل الموقف ، وخزي العذاب الذي حلّ بهم ، بعد الغرور والكبرياء ..

---

(١) الزمخشري الكشاف/ج ٤/ ٥٩٣ .

﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا
أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح المفردات

من الآية ٤٤ الى الآية ٥٢

فَذَرني وَمَن يُكَذِّبُ بهذا الحديثِ : دَعني ومَن يُكذّبُ بهذا القرآنِ، وَاترُكْ أمرَهُ، اليَّ فأنا الذي أُعاقِبُهُ، فلا تشغلْ قلبَكَ بِهم، وهو تهديدٌ، ووعيدٌ للكافِرينَ.

سَنَستَدرِجُهُم مِّنْ حَيثُ لا يَعلَمونَ : نَجُرُّهُم الى العذابِ بشكلٍ تدريجي وهم لا يَشعرونَ بهذا الاستدراج، وذلك بِأَنْ يوسعَ لهم في القوةِ والنعمةِ، فلا يَشكرونَ، وَيُعدّونَ ذلكَ تفوقاً لهم فَيَهلكوا بهذا التفكيرِ والعملِ.

وَأُملي لَهُم : وأُمهِلُهُم وأُطيلُ آجالَهُم، ولا أُعاجِلُهم بالعقوبةِ.

إِنَّ كَيدي مَتينٌ : إنّ تدبيري للامورِ مُتقنٌ.. فان اولئك المجرمينَ الذين جعلوا نعمتي وسيلةً لطغيانِهم سأجعلُها وسيلةً لترويعِهِم جزاءً لكفرِهِم.

أم تَسأَلُهُم أجراً : إنّكَ لا تطلبُ منهم يامحمدُ مالاً على تبليغِ الرسالةِ، بل تريدُ

هدايتهم .

فَهُم مِّن مَّغرَمٍ مُّثْقَلونَ : المَغرمُ : الغرامَةُ . والمعنى : إنَّهم مثقلونَ مما وُضعَ عليهم من ذنوبٍ وآثامٍ .

أم عِندَهُمُ الغَيبُ : أم بِيَدِهم تقديرُ الأمورِ .. يُقدرونَ كيف شاؤوا ؟ وقيلَ أن المعنى : أم عندَهُم اللوحُ المحفوظُ فهم يكتبونَ منه ثوابَ كفرِهِم فَيُصرون على قولِهِمُ الباطلَ ؟ وهذا الاستفهامُ وردَ على سبيلِ الاستنكارِ والاستخفافِ بهم .. أمْ هم يملكونَ الغيبَ فيقررونَ ما يشاؤونَ ويُحكَمونَ بذلك الغيبَ ؟ .

فَاصبِر لِحُكمِ رَبِّكَ : تَحمّلِ الأذى والصعابَ منِ أجلِ تبليغِ الرِّسالةِ ، ولا تردَّ عليهم بمثلِ أساليبِهم . وقيل إن المعنى : اِصبرْ حتى يُحققَ اللهُ لكم النصرَ .

ولا تَكُن كصاحِبِ الحوتِ : لا يَكُن موقفُكَ من قومِكَ كموقفِ النبيِّ يونس (ع) في استعجالِ نزولِ العذابِ بهم ، ولا تخرجْ من بين قومِك ، كما خرجَ يونسُ ، حتى يأذنَ اللهُ لكَ .

إذ نادىٰ : دعا ربَّه وهو في بَطنِ الحُوتِ (وقد كان دعاؤه : لا إلَه الاّ انتَ سُبحانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظالمينَ) .

وَهوَ مَكظُومٌ : وهو محبوسٌ .. وقيل وهو مملوءٌ غيظا .

لولا ان تَدَاركَهُ نِعمَةٌ مِن رَّبِهِ : لولا أنْ أدركَتْهُ رحمةُ ربِّهِ ، فَاستجيبَ دُعاؤه ، وانْقِذَ من بطنِ الحوتِ .

لَنُبِذَ : لَطرحَ والْقي .

بِالعراءِ : بالفَضاءِ .. الأرضِ المكشوفةِ التي لا نباتَ فيها ، ويُقصد به ساحلَ البحرِ .

وهُوَ مَذمُومٌ : وهو مَلومٌ .. والمعنى : لولا تَسبيحُهُ ورحمةُ ربِّهِ به (يونس ــ ع ــ) لألْقيَ في العراءِ وهو ملومٌ على ما فعلَ .. ولكن تسبيحَهُ ورحمةَ ربِّهِ به جعلتْهُ مُبرَّءاً من هذا اللَّوم والذَّم .

فاجتَباهُ رَبُّهُ : فاختارَهُ نبياً .

وإن يَكَادُ : يُوشكُ ، ويُقاربُ .

لَيُزلِقُونَكَ بِأبصارِهِم : يَكادونَ من شِدَّةِ نظرِهِم الحاقِدِ ، وتَحديقِهِم بكَ ، بِعَينِ العداوةِ

والبغضاءِ، أنْ يقتلوكَ، ويزيلوكَ عن موضِعكَ .. أي ينظرونَ إليهِ نظرا لو استطاعوا معهُ إزالة النبيِّ (ص) من الوُجودِ لَفعَلوا .. وقيل معناه الإصابةُ بالعينِ (الحَسَد) .

لَما سَمِعُوا الذِّكر : لَمّا سَمِعوا القرآنَ .

وما هوَ إلاّ ذِكرٌ للعالمينَ : ما هذا القرآنُ ، إلّا موعظةٌ للناسِ .

المعنى العام

للآية ٤٤ الى الآية ٥٢

بعد ذلك يهددُ القرآنُ بأبلغِ عباراتِ التهديد : « **فَذَرْني وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذا ٱلْحَديثِ** » .. دعني واياهُ ، فلا تشغلْ نفسَكَ بالتفكيرِ بهؤلاءِ المجرمينَ يا محمدُ (ص) .. بَلِ انصرفْ الى عَمَلِك ودعوتِك ، واتركْ أمر عقابِهم إليَّ ، فأنا الذي أعلمُ كيفَ أعاقِبُهُم ، وأقدِرُ على ذلك .. سأجُرُّهم الى نتيجةٍ محتومةٍ ، استحقوها بعد أن كذبوا بالقرآنِ ، واختاروا طريقَ الجريمةِ والعصيانِ .. سأوقِعُهُم من حيثُ لا يَشعرونَ في الورطةِ والهلكةِ : « **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ** » ..

سأستمرُ بالانعامِ اليهم ، والامهالِ لهم ، وتركِهم يتصرفونَ كيف يشاؤونَ ، فيقترفوا ألوانَ المعاصي والجرائمِ ؛ ليتحملوا نتائجَها .. « **إنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً** » ..

(آل عمران / ١٧٨)

ثم أُحكمُ الخطةَ والطوقَ حولهم ، فيجدونَ أنفسهم بموقفٍ لا يستطيعونَ الخلاصَ منه .. « **وَأُمْلي لَهُم إنَّ كَيْدِي مَتينٌ** » ..

انك يا محمدُ لم تسألُهم أجراً ، ولا مكسباً على هذه الدعوةِ والهدايةِ ، فيرفُضونَ دعوتَكَ ولا يستمعونَ لكلمةِ الهدى ، « **أمْ تَسألُهُمْ أجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُون** » ، « **أمْ عِنْدَهُمُ ٱلغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ** » .. أم يملكون علمَ الغيبِ و يقدرونَ ما يشاؤونَ و يُقررونَ

ما يُريدونَ، فيحكمون أنهم والمسلمونَ سواءٌ في عالَمِ الآخرةِ، فلا يجدونَ فائدة في الاستماع الى دعوتك..

وهكذا يعرضُ القرآنُ الحوارَ عندما يستنكرُ قولَ المجرمينَ، و يوضّحُ كلَّ الدواعي والدوافع التي جعلتهم يرفضونَ الدعوةَ الاسلاميةَ، اعتماداً على مبدإٍ وهمي، افترضوهُ وصدقوا به.. وهو قولهم: نحنُ والمسلمونَ سواءٌ يومَ القيامةِ.. و يتساءلُ مستنكراً مِن اين جاءوا بهذا الحكم:

من عقولهمُ القاصرةِ: «**ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**»

أم من كتابٍ خاصٍ بهم: «**أمْ لَكُمْ كِتابٌ فيهِ تَدْرُسُونَ**»

أم من عهدٍ عاهدَهُمُ اللهُ عليهِ: «**أمْ لَكُمْ أيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ**»

أم ان أصنامَهُم تتعهدُ بذلك: «**أمْ لَهُمْ شُرَكاءُ...**»

أم إنك تطلبُ منهم ما لا فيثقل عليهم و يصطنعونَ الاعذارَ و يقولونَ.. اننا كالمسلمينَ يومَ القيامةِ، فَلِمَ ندفعُ هذا المالَ، إنك لا تطلبُ ذلك: «**أمْ تَسْأَلُهُمْ أجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**».

أم ان الغيبَ بأيديهم يُقدّرون ما يشاؤونَ: «**أمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**».

ان كلَّ ذلكَ وَهْم لا أساسَ له، فَلِمَ يَخدعونَ أنفسَهُم و يُكذّبونَ دعوةَ الهدى..؟!!

ثم يتحدّث القرآنُ، لينقلَ للرسولِ والدعاةِ تجاربَ الانبياء(ع)، وقصَصَهُم والمشاكلَ والمعوقاتِ التي اعترضت طريقَهُم.. ويُشخّصُ الموقفَ المناسبَ، الذي يجب أن يتبعَهُ الرسولُ(ص) ومَنْ تبعَهُ بحملِ هذه الدعوةِ الاسلاميةِ المباركةِ، فيطالِبُهُ بالصبرِ على ما يُلاقي من الأذى والتكذيبِ والمقاومةِ، وأن لا يَرُدَّ على خصومِهِ بمثلِ وسائلِهم الرخيصةِ.. وأن يستمسكَ بالصبرِ والثباتِ والاستمرارِ بحملِ الدعوةِ الى الناسِ، حتى يأتيَ النصرُ، و يقضيَ اللهُ بينَهُ و بينَ خصومِهِ.. فنقلَ لهُ قصةَ يونسَ والاحداثَ التي جَرَت في تلك المرحلةِ من عمر الدعوةِ الالهيةِ، ونهاهُ أن يتخذَ نفسَ الاسلوبِ والطريقةِ، التي تعاملَ بها يونسُ ــ ع ــ مع قومِهِ.. فإن يونسَ ــ ع ــ عندما دعا قومَه الى الهدى

والاصلاح ، كفروا به ، وكذبوهُ ، وقاوموا دعوتَهُ ، وآذَوْهُ .. فجزعَ منهم ، ولم يتحملْ موقفَهمُ الجاهليَ هذا ، فغضبَ عليهم ، وانسحبَ منهم ، وتركَهُم ، وخرجَ (١).

ان القرآنَ يريدُ من الرسولِ الكريمِ ، أن لا يتخذَ مثل هذا الموقفِ ، وأن لا ينسحِب من مواجهةِ المشاكلِ ، وأن لا يواجه الامورَ بحالةٍ انفعاليةٍ فإن النبيَّ يونسَ ــ ع ــ حينما غضبَ على قومِهِ ، وخرجَ ، لم يحققْ أهدافَ النبوةِ ، ولولا رحمةُ اللهِ ، لوقعَ في اللوم على ما فعلَ ، ولاقى من موقفِهِ المتاعبَ .. ولولا رحمةُ اللهِ لخسرَ غايتَهُ وأهدافَهُ .. الا ان اللهَ لَطُفَ بهِ ، وأنقذهُ من المحنةِ ، التي تعرضَ لها في البحرِ ، وأتمّ نعمتَهُ عليه ، بأنْ أعادَهُ نبياً الى قومِهِ ، يحملُ اليهمُ الهدى والصلاحَ ، فعادَ يحملُ مسؤوليتَهُ مرة أخرى .. لذا فالقرآنُ يخاطبُ نبيَّهُ الكريمَ :

« فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ آلْحُوتِ إذْ نادىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلا أنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ » ..

ثم عادَ فتحدثَ للنبيِّ ــ ص ــ عن حقدِ الكفارِ ، وعدائِهم له ، ولدعوتِهِ ، واصرارِهِم على ازالَتِهِ ، وازالةِ دعوتِهِ من الوجودِ ، فها هي عيونُهُم ، ونظراتُهُمُ الحاقدةُ ، تكادُ تزيلُهُ من الارضِ ، كما يزيل الموسى الشَعَرَ من الجسدِ ، عندما يَسمعونَ دعوةَ

---

(١) بعث اللهُ سُبحانهُ ، يونسَ بن متى ، نبياً الى قومِهِ ، وكانوا يسكنونَ بنينوى ، في شمال العراقِ .. وعندما كذبوهُ ، وأصروا على تكذيبِهِ ، دعا اللهَ عليهم بالانتقامِ ، وأنذرهُم ثلاثةَ أيام ، وفي الليلةِ الثالثةِ ، خرجَ من قومِهِ ، وتركَهُم ، فغشي بَلادَهُمُ العذابُ في نهارِ اليوم الثالثِ ، وأوشكَ ان يقعَ بهم ، وحينَ أحسّوا بنزولِ العقابِ ، تابُوا ، واستغفروا وراحوا يبحثونَ عن نبيهم ، فلم يَجدوهُ .. أما نبيُّهُم (يونسُ ــ ع ــ) فقد خرجَ غاضباً عليهم ، بعد أن دعا عليهم بالانتقامِ ، وتركَهُم فانتهى في مسيرِهِ الى ساحلِ البحرِ ، فركبَ سفينةً ، وعندما سارتِ السفينةُ ، شعرَ ركابُها بثقلِ حِملها ، وأنها توشكُ على الغرقِ ، فقرروا ان يُلقوا أحدَ رُكّابِها في البحرِ ، ليخفّ حملُها ، فاتفقوا على القرعةِ .. وان يُلقوا مَن تقعُ القرعةُ عليه ، فوقعتِ القرعةُ على يونسَ ، فألقيَ في البحرِ ، فابتلعهُ الحوتُ ، و بقيَ سجيناً في بطنِهِ ، فأخذ ينادي ربَّهُ ، و يُسبِّحُهُ ، و يطلبُ منه النجاةَ .. فأدركتهُ رحمةُ ربِّهِ ، فألقاهُ الحوتُ قربَ الساحلِ ، في أرضٍ مكشوفةٍ ، وهو لا يستطيعُ الحركةَ ، رَخوَ الجسمِ ، ضعيفاً ، فأنبتَ اللهُ عليهِ شجرةَ اليقطينِ ، وأرسلَ إليهِ وَعْلاً .. فكان يونسُ (ع) يرضعُ من هذه الوَعلِ .. و بقيَ حتى جاءَ راعٍ من قومِهِ ، يرعى غَنَمَهُ ، فعرّفه يونسُ بنفسِهِ ، فأخبرَ الراعي قومَهُ والتحقَ يونسُ بهم ، بعد أن جاؤوا اليه .

الهدى .. وكلمةَ اللهِ تُتلى .. فتراهُم يحقدونَ عليكَ ، و يكذبونَكَ ، و يتهمونَك بالجنونِ .. ان هذا الحقدَ ، وتلكَ المقاومةَ ، وتلكَ الاشاعاتِ الكاذبةَ من خصوم الدعوة ، تحتاجُ يا محمدُ (ص) الى الصبرِ ، والمواصلةِ ، وعدمِ الانسحابِ .. « **وَإِنْ يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** » ..

انك يا محمد تحملُ القرآنَ .. مصدرَ الهدايةِ والخيرِ والموعظةِ للناسِ ، فما عليكَ الا أن تصبرَ ، وتواصلَ المسيرَ ، ولا تنشغلَ بما يقولونَ : « **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** » ..

وهكذا يسوقُ القرآنُ قصةَ أصحابِ البستانِ ، وقصةَ يونسَ ــ ع ــ في هذه السورةِ ، للتربيةِ ، والتوجيهِ ، وتعميقِ الوعي ، عن طريقِ عرضِ الأحداثِ التأريخيةِ ، وتجاربِ الانبياءِ ؛ لاكتشافِ قوانينِ التغييرِ الاجتماعي ، و بيانِ امكانيةِ تكرارِ الاحداثِ ، بتكررِ أسبابِها .

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٧

الحاقة : اسمٌ من أسماءِ القيامةِ، وسُمّيتِ الحاقةُ؛ لأن فيها حواقَّ الامورِ الصادقةِ، الواجبةِ الصدقِ والوقوعِ، كالحسابِ والثوابِ والعقابِ.

ما الحاقّةُ : استفهامٌ عن يومِ القيامةِ .. ويريدُ بهذا الاستفهامِ تعظيمَ شأنِها، والتعريفَ بخطوريّها.

وما أدراكَ ما الحاقّةُ : إنّك لستَ تعرفُ ما فيها من الاهوالِ والعذابِ .. لانك لم تُعاينْها، ولم تَرَ ما فيها ..

كذّبَت ثَمُودُ وعادٌ بالقارِعةِ : كذبتْ بيومِ القيامةِ .. وسُمّيَتِ القارعة؛ لأنها تقرعُ القلوبَ بالخوفِ والفزعِ. وثمودُ: هم قومُ النبي صالح (ع)، وعادٌ: هم قومُ النبي هودٍ (ع).

الطاغِيَة : الصيحةِ العظيمةِ، التي تجاوزتِ المقدارَ المألوفَ في ارتفاعِ الاصواتِ، وقيلَ هي الرجفةُ الشديدةُ في الارضِ، أو الصاعقةُ.

بِريحٍ صَرصَرٍ : بريحٍ شديدةٍ، عاصفةٍ .. وقيلَ بريحٍ باردةٍ، شديدةِ البرودةِ، تصطكُّ منها الأسنانُ.

عاتِيَةٍ : لا يمكنُ مقاومتها ولا ردّها؛ لهولِها وشِدّتِها.

سخَّرها عليهِم : سلّطَها عليهم.

حُسُوماً : متتابعةً .. مستمرةً، لا فتورَ فيها .. وقيل: قاطعةً؛ قطّعتهُم قِطَعاً، حتى أهلكَتْهُم.

أعجازُ نَخلٍ : أصولُ النخلِ، أو سيقانُها.

خاويةٍ : بالية .. نَخِرة .. وقيل فارغة جَوْفاء.

المُؤتَفِكاتُ : المُنقلباتُ بأهلِها .. وهي قرى قومِ لوطٍ (سدومٍ وعمورة).

بِالخاطِئَةِ : بخطيئتِهم .. بذنبِهم.

فأخذَهُم اللهُ : عاقَبَهُم بذنوبِهم.

أخذَةً رابِيَةً : معاقبةً شديدةً .. زائدةً في الشدةِ.

طَغا الماءُ : جاوزَ الحدَّ المعروفَ، حتى أغرقَ الارضَ، ومَنْ عليها، الا ما شاءَ اللهُ.

حَملناكُم في الجاريةِ : حَمَلْنا آباءَكُم ومَنْ كانَ مع نوحٍ (ع) .

تَذكِرةً : عبرةً ، وموعظةً ، تذكرونَ بها نعمَ اللهِ ، الذي أنقذَ النوعَ البشريَ من كارثةِ الفيضانِ .

تَعِيها : تَحفظُها ، وتُدركُها ، وتتَّعِظُ بها .

أُذُنٌ واعيةٌ : أُذُنٌ حافظةٌ ، مُتَّعظةٌ ، ويقصدُ بذلكَ الانسانَ المدركَ ، الذي لا ينسى العبرةَ ، ويستفيدُ منها .

فإذا نُفخَ في الصُّورِ نفخةٌ واحدةٌ : اذا نفخ في الصور لاحياءِ الموتى .. وقوله نفخة واحدة ، تعبيرٌ عن نفوذِ القدرةِ والتمكّنِ من الاحياءِ بهذه النفخةِ ، فلا حاجةَ الى تكرارِها .

وَحُملتِ الارضُ والجِبالُ : رُفِعتْ من مواقِعِها .

فَدُكَّتا دَكَّةً واحدةً : ضُرِبَتا ضربةً ، تَجعلُها مستويةً ، ليس فيها مرتفعاتٌ ، ولا رواب ..

وَقَعتِ الواقِعةُ : قامتِ القيامةُ .

انشقَّتِ السماءُ : إنفرجَ بعضُها عن بعضٍ .

واهِيةٌ : شديدةُ الضعفِ ؛ لِفَقدِها النظامَ والتماسكَ .

والملكُ على أرجائِها : والملائكةُ على أطرافِها ، ونواحيها .

وَيَحملُ عرشَ ربِّكَ فَوقَهُم يومئِذٍ ثمانيةٌ : يحملُ العرشَ فوقَ الخلائقِ ثمانيةٌ من الملائكةِ .. وليس بوسعِ الانسانِ أن يَفهمَ معنى العرشِ ، وكيفيةَ حملِهِ .. فذلك سيُكشفُ للانسانِ يومَ القيامةِ .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١٧

ابتدأ القرآنُ هذه السورةَ ، بالحديثِ عن القيامةِ وأهوالِها ، فَسمّى القيامةَ «الحاقّة» ، «القَارعَة» ، وذلك بقوله :

«ألْحاقَّةُ ۞ مَا ٱلحاقَّةُ ۞ وَما أدْراكَ مَا ٱلحاقَّةُ» ..

ليشعرَ القارئَ والسامعَ بهولِ يوم القيامةِ ، ويفاجِئَهُ بالحديثِ عن ذلكَ اليوم الحقِ ،

الذي يُحَقُّ فيه الناسُ، و يقعُ فيه ما وعدَ اللهُ صدقاً وحقاً .. بإيرادِ اسم الحاقةِ، وتكرارِهِ، والاستفهامِ عنهُ، وتأكيدِ عدمِ معرفةِ الناسِ بذلك اليوم، الّا بتعليمٍ من اللهِ سبحانَهُ؛ لعدمِ مشاهدتِهِ، ولصعوبةِ تصوّرِ أهوالِهِ ..

بعد ذلكَ انتقلَ القرآنُ الى التذكيرِ بأحداثِ التأريخِ و بالأممِ التي كذّبتْ بذلكَ اليوم.. كذّبتْ «**بالحاقّة**» التي سمّاها في هذه الآية «**بالقارِعَة**»، فقال :

«**وأمّا عادٌ**»، وهم قومُ النّبي هودٍ(ع)، فقد أرسلَ اللهُ عليهمُ العواصفَ الباردةَ الكاسحةَ المدمّرةَ، التي استمرّ هبوبُها سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ متتاليةٍ، فتركهُم جُثثاً مبعثرةً، كبقايا جُذوعِ النخلِ، النّخرةِ، الخاويةِ، الملقاةِ على الأرضِ ..

«**فترَى ٱلْقَوْمَ فيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**» ..

«**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِٱلْقَارِعَةِ**» ....

وسمّاها بالقارعةِ؛ لِيُعرّفَ بأنّها تقرعُ القلوبَ بالخوفِ والفزعِ ..

ثم شرحَ لنا القرآنُ مصيرَ المكذّبينَ، وعرضَ صوراً من تأريخِ الماضينَ .. فقالَ : «**فأما ثَمُودُ**»، وهم قومُ النبي صالحٍ(ع)، فقد أهلكهُمُ اللهُ بالطاغيةِ .. والطاغيةُ هي الزلزالُ، أو الصاعقةُ، أو الصّيحةُ العظيمةُ .. لقد أهلكهُمُ اللهُ بذلكَ العذابِ .. أهلكهمْ بطغيانِهم وذنوبِهم ..

لقد انتهى طغيانُهُم، وقُلِبتْ صفحةُ تأريخِهِم السوداءُ، وسلّطَ اللهُ عليهم قُوى الطبيعةِ، فَقَضَتْ عليهم ..

لقد انتقمَ اللهُ من أولئكَ الّذينَ كذّبوا بـ «**القارِعَة**» .. فانتهى الملكُ والعمرانُ والطغيانُ والسلطانُ، فلمْ يبقَ منهم أحدٌ :

«**فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ**» ..

فَلْيتّعظْ أولئكَ المجرمونَ، من قومِكَ يا محمدُ(ص) .. والخطابُ للناسِ جميعاً ..

ثم تحدّثَ القرآنُ عن مرحلةٍ أخرى من مراحلِ الكفرِ والجاهليةِ، التي تلَتْ ذلكَ الحدثَ التأريخيَ المُنقرِضَ، فقال :

«وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبلَهُ وَٱلْمُؤتَفِكاتُ بِالخاطِئَةِ» (١)

وهي مرحلةُ المؤتفكاتِ .. القُرى التي بُعِثَ اليها النبيُّ لوطٌ (ع) ، ومرحلةُ التأريخِ الفرعوني التي جاءت بعد هلاكِ المؤتفكاتِ ، وما سبقَ فرعونَ من أقوامٍ وأممٍ جاهليةٍ .. وذكَرَ بما حلَّ بهم مِنَ النقمةِ والعذابِ ؛ بسببِ المعصيةِ والخطيئةِ ، بقوله :

«فَعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً» ..

لِيوضّحَ أن الانحرافَ عن منهجِ اللهِ وعصيانَ الرّسلِ ، هو السببُ في السقوطِ الحضاري والمدني ، والزّوالِ من الوجودِ ..

لذا فانَ «فرعونُ وَمَنْ قَبلَهُ والمُؤتَفِكاتُ» أُخِذوا أخذةً متميّزةً في الشّدةِ والاقتدارِ الالهي .. لشدةِ طغيانِهم ، وعِظمِ جريمةِ الانحرافِ ، التي تَوغّلوا فيها ..

ثم أوردَ القرآنُ لنا مثلاً آخر من أمثالِ الأممِ التي حقَّ عليها العذابُ في الدنيا قبلَ الآخرةِ .. فعرضَ قومَ نوحٍ ، وحوادثَ الطوفانِ .. لِيُقرّرَ بذلك حَقيقتَينِ ثِنتَينِ هما : الانتقامُ من المجرمينَ ، ونجاةُ الصالحينَ :

«إِنّا لَمّا طَغَا ٱلماءُ حَمَلْناكُمْ فِي ٱلْجارِيَةِ» ..

لَيُؤكّدَ فضلَ اللهِ على النوعِ الانساني ، وانقاذِهِ من كارثةِ الطوفانِ .. وجَعلَها تذكرةً ، وموعظةً ، وهدايةً للانسان ..

فالقرآنُ بعرضِ هذهِ الأحداثِ التأريخيةِ ، يريدُ من الانسانِ أن يعيَ و يتذكّرَ .. فليسَ كلُّ الناسِ يستفيدونَ من العبرِ والموعظةِ .. إنّما يستفيدُها أولئكَ الّذينَ يملكونَ العقلَ الواعيَ ، واليقظةَ الروحيةَ ، واستيعابَ معاني الهدايةِ ، ودروسِ التأريخِ .. لذلك قال : «لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ» ..

انَ المثلَ الأعلى ، في أمّةِ محمدٍ (ص) ، لهذه الشخصيةِ ، المدركةِ ، الواعيةِ لحقائقِ التأريخِ والهدايةِ ، التي عرّفَها لنا القرآنُ ، هو الامامُ عليٌّ (ع) .. كما أوضحَ لنا المفسّرونَ ذلك ..

---

(١) وهي سدوم وعامورة ، وما حولها من قرى حول البحر الميّت ــ بحر لوط ــ في الأردن .

فعن بريدة، عن رسولِ اللهِ (ص) قال: «**قالَ رسولُ اللهِ (ص) لِعَليٍّ: انّ اللهَ أَمَرني: أن أُدنيكَ، ولا أُقصيكَ، وأن أعلّمَكَ وَتَعِيَ، وحقٌّ على اللهِ أن تَعِيَ، فنزلتْ: «وتعيها أذن واعية»**»[1]..

وروى الطبرسي بإسنادِهِ عن مكحولٍ انّه لمّا نَزَلَت هذه الآيةُ: قال النبي (ص): «**اللّهمّ اجعلْها أُذُنَ عليٍّ**»، ثم قال عليٌّ (ع): «**ما سمعتُ شيئاً من رسولِ اللهِ (ص) فَنَسيتُهُ**»[2]..

بعد ذلكَ حَدَّثَنا القرآنُ عن عالمِ الآخرةِ، بعد أن ذكَّرَ بعذابِ الأممِ، وصوَّرَ الانتقامَ في عالَمِ الدنيا، بتسليطِ قوى الطبيعةِ؛ من الزلازلِ، والطوفانِ، والعواصفِ على ذلكَ الانسانِ الجاهلي المجرمِ؛ ليُجسّدَ أمامَهُ مشاهدَ معبّرةً عن العذابِ والانتقامِ؛ وليُقرّبَ الى ذهنِهِ صورَ العذابِ في عالمِ الآخرةِ، فبدأ بعرضِ أوّلِ مشهدٍ من مشاهدِ القيامةِ، وهو النفخُ في الصّورِ، وقيامُ الناسِ من قبورِهِم، أحياءً، للحضورِ بساحةِ الحسابِ.. «**فَإذا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ**»..

فالأمرُ لا يحتاجُ الى أكثرِ من نفخةٍ واحدةٍ في الصّورِ، فقدرةُ اللهِ نافذةٌ، وكلُّ شيءٍ مستجيبٌ لأمرِهِ.. وهذه النفخةُ، هي (**النفخةُ الثانيةُ**) **التي يقومُ الناسُ فيها للحسابِ.. بعدَ النفخةِ الأولى التي لا تتركُ حيّاً على وجهِ الأرضِ..**

اذا أُطلقتْ هذه النفخةُ، وَحُمِلَتِ الأرضُ والجبالُ، بِقُدرةِ خالِقِها، وضُرِبَتْ كما يُضربُ الطينُ الرّخوُ ضربةً واحدةً، فَقَدَتْ صلابتَها وتماسُكَها، فكانَت في قوامِها كالطينةِ، فَتسوّى، وَتُمَدُّ، وَيختفي ما على الأرضِ من جبالٍ، ومرتفعاتٍ.

وَأُحاديَّةُ الضربةِ تَدلُّ على قوةِ الضاربِ وقدرتِهِ، وهو اللهُ سبحانَهُ، وبلوغُ ما

---

(١) الواحدي / أسباب النزول / سورة الحاقة.. كما رواها أيضاً ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، والبخاري ــ عن بريدة أيضاً / الطباطبائي / تفسير الميزان.

(٢) الطبرسي / مجمع البيان / تفسير سورة الحاقة.

يُريدُ في هذه الضربةِ .. « وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً » ..

في ذلك اليوم يقعُ الحدثُ المروّعُ العظيمُ .. تقعُ الكارثةُ .. يكونُ يومُ القيامةِ ، الذي سَمّاهُ القرآنُ : « الواقعة »[٣] ..

اليومُ الذي يتغيَّر فيهِ نظامُ السّماءِ ، فتكونُ واهيةً ضعيفةً ، فَتُشَقُّ كما تُشَقُّ قطعةُ القماشِ الباليةِ ..

انّ هذهِ الآياتِ تشيرُ الى فقدانِ الكونِ نظامَهُ وتماسكَهُ وهيئتَهُ ، وقوّةَ بنائهِ ..

ثم وصفَ لنا القرآنُ مشاهدَ من يوم القيامةِ بقولهِ :

« وَٱلْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ » ..

إنّهُ لَمِنَ الصّعبِ على الانسانِ أن يُدركَ كلَّ حقيقةٍ أشارَ اليها القرآنُ .. فحقائقُ كثيرةٌ حدّثنا القرآنُ بها ، ونحنُ نفهمُ معناها اللفظيَّ ، ولا نعرفُ حقيقَتَها ؛ كالعرشِ ، وحملِ الملائكةِ لَهُ ، والميزانِ ، والصّراطِ ، وأمثالِها .. وحينَ قيامِ الساعةِ ، وانكشافِ ذلكَ العالَمِ ، تُدرَكُ الأشياءُ بِحقائقِها ، وتَصيرُ قائمةً أمامَنا ، واضحةً كلَّ الوضوحِ لَنا ..

ونحنُ ملزمونَ بالايمانِ بهذهِ الحقائقِ ، على اجمالِها ، وغُموضِ حقيقتِها ، فليس بوسعِنا أن نُدركَها ، الّا بعد أن تُكشَفَ لنا يومَ القيامةِ ..

انّ في هذه الآياتِ ذكراً لانشقاقِ السّماءِ ، وقيامِ الملائكةِ على جوانبِها المنشقةِ ، واتّصالِ عالَمِ الملائكةِ بعالَمِ الانسانِ .. « وَٱلْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجائِها ... » ..

---

(٣) تقول العرب : « وقعت الواقعة ، كناية عن حدوث الأمر المهول ، الرّهيب ، المنتظر الحدوث » .

﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ
ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾
فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

شرح المفردات

من الآية ١٨ الى الآية ٣٧

يومئذٍ تُعرضُونَ : تعرضونَ أيها النّاسُ للحساب والمساءلةِ .

لا تَخفىٰ مِنكم خافيةٌ : لا يبقىٰ شيءٌ مما أظهرتُم أو اسررتُم الا ويكشف .

هاؤُمُ اقرأوا كِتابيه : تعالوا اقرأوا كتابيه ، أو خُذوا كتابيه ، وأقرأوه .. يقول ذلك لِسروره

بما فيه من الطاعاتِ والحسناتِ .

إني ظَننتُ أني مُلاقٍ حِسابيه : انني علمتُ ، وأيقنتُ ــ في الدنيا ــ أنني سألاقي الحسابَ في عالَمِ الآخرةِ ..

فَهوَ في عيشةٍ راضيةٍ : في حالةٍ من العيشِ يَرضاها في الجنانِ .

جنةٍ عاليةٍ : جنةٍ رفيعةِ القدرِ والمكانةِ .

قُطوفُها دانيةٌ : ثمارُها قريبةٌ ممن يريدُ أن يتناولَها .

كُلوا واشرَبوا : كُلوا واشربوا في الجنانِ .

هَنيئاً : طيباً ، سهلاً ، لا مشقةَ فيه ، ولا يعقبُهُ أذىً .. لا يحتاجُ آكلُهُ وشاربُهُ الى اخراجِ فضلاتٍ من غائطٍ أو بولٍ .

أسلفتُم : قَدَّمتُم .

في الأيامِ الخاليةِ : في الايامِ الماضيةِ ــ في الحياة الدنيا ــ .

أُوتي كِتابهُ : اعطيَ صحيفةَ أعمالِهِ .

ياليتَني لَم أُوتَ كتابيه : يتمنى أنه لم يتسلَّم صحيفةَ أعمالِهِ ، لِئلا يرى ما فيها من قبائحَ ومعاصي وَجرائمَ تُثبتُ جريمَتَهُ .

ولم أدرِ ما حِسابيَه : يتمنى أنه لو لم يَلتقِ بيومِ الحسابِ ، ولم يَطَّلع عليهِ ، لِهولِ ما رأى .

ياليتَها كانتِ القاضيَةَ : ياليتَ موتَتَنَا الاولى قضتْ علينا ، قضاءً نِهائياً ، ولم نُبعثْ أحياءً للحسابِ ، لِهَولِ ما يَرونَ من العذابِ والمهانةِ .

ما أغنى عَني ماليه : ما دَفَعَ عَنّيَ المالُ الذي أملكُهُ عذابَ الآخرةِ .. ولم يَنفعْني في هذا اليومِ .

هلكَ عني سُلطانيَه : هلكت سُلطَتي ، وسيطرتي .. وقيل : لم تبقَ لي حجةٌ أُدافعُ بها عن نفسي .

خُذُوهُ فَغُلّوهُ : يُقالُ للملائكةِ : خُذوهُ الى جهنَمَ ، وشُدوهُ بالسلاسِلِ .. وكيفيةُ هذا الشَدِّ أن تُشدَّ إحدى يديه ، ورجليهِ ، الى عُنقِهِ .

ثُم الجحيمَ صَلّوهُ : أدخِلوهُ جهنمَ ، وألزِموهُ اياها .

ذَرعُها : طولُها .

فَاسلُكُوهُ : اجعلوه في هذه السلسلةِ .. أي اربطوها في عُنقِهِ ، ولَفّوها عليهِ ،

لِيَشتدَّ عذابُهُ .. وقيلَ تدخلُ في فمِهِ ، وتَخرجُ من دُبُرِهِ .. لذا يقالُ اَسلكوه ، أي ضعوهُ فيها ، كما توضعُ الخِرزةُ في السلكِ ، أو الخيط .

لا يَحُضُّ : أي كانَ يمنعُ الزكاةَ ، والحقوقَ الماليةَ ، الواجبةَ للفقراءِ .

فَليسَ لهُ اليومَ هاهُنا : ليس له في عالَمِ الآخرةِ .

حَميمٌ : صديقٌ ، ينفعُهُ ، أو يدافعُ عنه .

غِسلينٍ : صَديدُ أهلِ النارِ ، وهو القيحُ المتجمعُ من أجسادِهِم .

الخاطِئُونَ : الخارجونَ على طريقِ الحقِ عمداً ــ أي المذنبونَ ــ .

وهنالك فرق بين الخاطِىء ، والمُخطِىء .. فالمخطىءُ قد يكونُ فعلَهُ عن غيرِ عَمْدٍ .. أما الخاطِىءُ ، فهو المذنبُ الخارجُ عن طريقِ الحقِ عمداً .

المعنى العام

للآية ١٨ الى الآية ٣٧

ثم يصوّرُ لنا القرآنُ الانسانَ بقولِهِ : «**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**» ..

انّه مكشوفٌ أمامَ اللهِ بكاملِ خفاياهُ ، وأسرارِهِ .. فلا شيءَ يَخفى على اللطيفِ الخبيرِ .. المُطّلعِ على السّرائرِ ؛ ليوقظَ حِسَّ الانسانِ وضميرَهُ ، ويجعلَ من نفسِهِ رقيباً عليه .. كلُّ ذلكَ ؛ لِيَعملَ ، و يتحرّكَ في الدّنيا ، وهويُدركُ أنّ ما يعملُهُ في الخفاءِ ، لا يمكنُ أن يكونَ مَخفياً على اللهِ سبحانَهُ .. إنّ هذا الاحساسَ هو الضّمانُ القويُّ لتربيةِ الانسانِ ، وايقاظِ الضميرِ ، والرّقابةِ الذّاتيةِ ، وحمايةِ القانونِ الالهي ، وسلامةِ الحياةِ ..

فالانسانُ يُعرضُ في ذلك اليوم ، وتُنشَرُ صُحفُهُ ، وُتكَشَفُ سريرتُهُ ، فيفرحُ المحسنونَ ، و يُسَرّونَ بما يَجدونَ في صحفِ أعمالِهِم ، ويَفتخرونَ بِها .. انّها شهادةُ البراءةِ ، والنّجاح ، والاعترافِ لهم بالفوزِ والنعيم ..

انّ ذلك الانسانَ يَتباهى بهذا الكتابِ المضيءِ ، فيدعو النّاسَ لقراءةِ كتابِهِ ،

والاطلاع على ما فيهِ من خيرٍ، مُعلناً لهم: أنَّهُ كانَ مُصدّقاً بيوم الحسابِ، وموقناً بلقاءِ هذا اليوم، والحضورِ بهذا الموقف: «**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَه ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه**»..

أولئك يَأوونَ الى جناتٍ رفيعةٍ في حُسنِها ومَقامِها، وما أعدَّ اللهُ فيها للصّالحينَ.. يتمتّعونَ فيها، و يعيشونَ عيشةً هانئةً، تبعثُ في نفوسِهِمُ الرّضى والسّرورَ، قريبةَ الثمارِ والفواكهِ، لا يحولُ بينهم و بينها بُعدٌ، ولا مانعٌ، يقطفونَ منها ما شاؤوا: «**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**»..

ثم انّهم يُنادَوْنَ بنداء الحبِّ والتكريمِ والتهنئةِ.. اِجلالاً لهم، وعنايةً بهم: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفتُم فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**»..

كُلوا واشربوا (**هنيئاً**) طيّباً.. سهلَ التّناوُلِ، لا يَعقبُهُ خروجُ الغائطِ ولا البولِ.. فهوَ، وانْ كانَ فاكهةً، ولكن لا فضلةَ فيها، ولا يُفرّغُ الجسمُ شيئاً منها.. انّ ذلك جزاءُ ما قدّمتم لأنفسِكُم في الأيّام الماضيةِ.. في حياتِكُمُ الدّنيا.. لقد أتعبتُمْ أنفسَكُم فنالَتِ النعيمَ: «**بما اسلفتم في الايام الخالية**»..

وهكذا ينفرزُ أهلُ اليمينِ، كما ينفرزُ في الطّرَفِ الآخرِ أهلُ الشّمالِ، أذلاءَ مُطأطِئي رؤوسِهِم.. قد أحاطتْ بهمُ الفضيحةُ، وكُشِفَ عن سيئاتِهم، وما حَوَتْ صحفُهُمُ السّوداءُ، وقد استولى عليهم الرّعبُ والخوفُ.. يتمنّى أحدُهُم لو أنّهُ لم يتسلّمْ صحيفةَ أعمالِهِ المشينةَ.. يتمنّى لو أنّه لم يُبعثْ.. وانّ الموتَةَ الأولى، قد استمرّتْ، وأنهتْ وجودَهُ الى الأبدِ.. يتمنّى لو يكونُ تراباً تَطَؤُهُ الاقدامُ، ولا يلتقي بذاكَ المصيرِ الأسودِ المهينِ.. والقرآنُ يُعرّفُ لنا ذلكَ بقولِهِ: «**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَه ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه**»..

في ذلك اليوم يتذكّرُ الانسانُ عالَمَ الدنيا، وكدحَهُ في جمعِ المالِ، وتكديسِ الثروةِ، فيكتشفُ خطأهُ، وسوءَ تصرّفِهِ في ذلك المالِ، الذي جعلَهُ همّاً وغايةً له.. بعد أن جعلَهُ

الله أداةً ووسيلةً لخدمةِ الانسانيةِ، وتوفيرِ سعادتِها .. يُدرك أنّ ذلكَ المالَ، لم يُغنِ عنهُ شيئاً، ولم يَنفعْهُ شيئاً : « **هَلَكَ عَنّي سُلْطانِيَه** » ..

انّ هذا البيانَ القرآنيَّ لإيحاءٌ، وتحسيسٌ للانسانِ، ودعوةٌ واضحةٌ للتخلّصِ من التهالُكِ على جمعِ المالِ، وتكديسِهِ، وحرمانِ الفقراءِ والمحرومينَ منه .. وتوجيهِهِ لاستعمالِهِ في مواردِ الخيرِ والاصلاحِ .. ليُغذّيَ جسمَ المجتمعِ، ويُوَزَّع بشكلٍ عادلٍ على أبناءِ البشريّةِ جميعاً ..

وليس المالُ، الذي يُجمعُ أو يُخزنَ ويُنفقُ في غيرِ رضى اللهِ، وعلى أُسسٍ تُخالفُ القوانينَ والأحكامَ والأخلاقَ التي حدّدها الاسلامُ .. ليسَ هذا المالُ وحدَهُ، هو الذي يكونُ سبباً للندمِ والخسارةِ .. بل والقوةِ والجاهِ والسلطةِ الطاغيةِ، التي كان يعتزُّ بها، و يستعملُها في معصيةِ اللهِ، ومقاومةِ دعوةِ الهُدى، واضطهادِ المستضعفينَ، وتنفيذِ مخططاتِ الشيطانِ، هي أيضاً تَجُرّ لهُ النّدامةَ، وليس بوسعها أن تُنقِذَهُ : « **هلك عني سلطانيه** » ..

انّ في هذه الآيةِ لَدعوةٌ أخرى للانسانِ ؛ لأنْ يوجّهَ قوّتَهُ وسلطانَهُ، لِتحقيقِ الخيرِ، واصلاحِ البشريةِ، وطاعةِ اللهِ سبحانَهُ، واستنكاراً للغرورِ والاستعلاءِ وحبِّ التسلّطِ ..

انّ أمثالَ هذا المالِ، وتلكَ السلطةِ اللذينِ كانا مبعثَ الكبرياءِ والاستغناءِ والقوّةِ في عالَمِ الدّنيا سيكونانِ السّببَ في الفقرِ والضّعفِ والذّلِ والنّدمةِ في عالمِ الآخرةِ .. « **خُذُوهُ فَغُلّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلّوهُ** » ..

ثم يأمرُ اللهُ سبحانَهُ الملائكةَ الموكّلينَ بالمجرمينَ بقوله : « **خُذُوهُ فَغُلّوُهُ** ».. خُذوهُ فَشدّوهُ شَدّاً مَهيناً .. ذليلاً .. فاربطوا احدى يديهِ ورجليهِ الى عُنُقِهِ .. ثم ألقوهُ في جهنّمَ لِيُرغَمَ على البقاءِ فيها : « **ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلّوُهُ** ».. وَلِيُلَفَّ بسلسلةٍ بالغةِ الطولِ .. لِيُطوّقَ بها .. لِتُلَفَّ مِن حولِهِ حتى يَغدوَ كالوحشِ وسطَ الشبكةِ، ثم يُلقى فاقدَ السيطرةِ على نفسِهِ .. محبوساً وسطَ السعيرِ : « **ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرعها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوه**[1] » ..

---

(١) وقيل انّ المعنى : أدخِلوا السلسلةَ في فَمِهِ، وأخرجوها من دُبُرِه / الطبرسي / مجمع البيان .

انَّ هذا الجزاءَ، هو جزاءُ مَن كفرَ باللهِ، وأنكرَ وجودَ خالقِهِ، وتجرأ على عَظَمَتِهِ.. انَّهُ كانَ يمنعُ حقوقَ الفقراءِ.. ولا يؤدي للمحرومينَ حقَّهُم في هذهِ الحياةِ: «**ولا يَحُضُّ عَلىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِين**»..

انَّ القرآنَ يوضحُ العلاقةَ في هذهِ الآياتِ بينَ الكفرِ، وبينَ سوءِ التصرّفِ بالقوّةِ والسلطةِ والمالِ.. بقولهِ: «**ما أغنى عنّي ماليه ۞ هلك عنّي سلطانيه**»، وبقولهِ: «**إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ ٱلعَظِيم ۞ وَلا يَحُضُّ عَلىٰ طَعامِ الْمِسْكِين**»..

ثم يوضّحُ انَّ أولئكَ الذينَ كفروا باللهِ العظيمِ ليسَ لهم في عالَمِ الآخرةِ من صديقٍ يُدافعُ عنهم، أو يُخفّفُ من عذابِهم..

وفي الآياتِ ايحاءٌ بأنَّ أصدقاءَ السوءِ في عالَمِ الدنيا، الذينَ اجتمعوا مِن حولِهم، طمعاً في المالِ والسلطةِ، ليسَ بوسعِهِم أن يَنفعوهُم في عالَمِ الآخرةِ: «**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰا هُنا مِنْ حَمِيمٍ**»..

انَّ هذا الذي كانَ يتمتّعُ بِخَيراتِ الدنيا ولَذّاتِها، و يَمنعُ الفقراءَ والمحرومينَ حقوقَهُم، ليس لهُ في ذلكَ العالَمِ مِن طعامٍ، الّا ما تفرزُهُ أجسادُ أهلِ النّارِ مِنَ القَيْحِ [1] والجراحةِ: «**وَلا طَعامٌ إلّا مِنْ غِسْلِين**»..

انَّ هذا الطعامَ لا يأكلُهُ الّا أولئكَ «**الخاطئونَ**» الذينَ تَعمَّدُوا الجريمةَ، وانحرَفوا عن طريقِ الحق..

---

(١) تحدّث القرآنُ عن ألوانِ الطعامِ التي يأكلها أهلُ جهنّم حسب درجاتِ وجودِهم فيها، وجرائمِهم التي فعلوها في عالَمِ الدنيا.. فمنهم من يأكلُ «الزّقومَ»، ومنهم من يأكلُ «الضّريعَ»، ومنهم من يأكلُ «الغِسلينَ».

إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

شرح المفردات

من الآية ٣٨ الى الآية ٥٢

فلا أُقسِمُ : لا حاجةَ للقسَمِ ، فالامرُ مؤكدُ الوضوح .. وهو صدقُ النبيّ (ص) .

بما تُبصرونَ وما لا تُبصِرونَ : بما هو مَرئيٌّ من خَلْقِ اللهِ ، كالسمٰواتِ ، والارضِ ، وبما هو خَفيٌّ عليكم لا ترونَهُ .. الدالُّ على عظمةِ اللهِ .

رَسُولٍ كريمٍ : جبريل ، وقولُ رسولٍ كريمٍ : يعني قولٌ ينقلُهُ جبريلُ بأمانةٍ عنِ اللهِ .. فهو قولُ اللهِ الذي أرسلَهُ .. وقيلَ إنّ الرسولَ الكريمَ ، هو محمدٌ (ص) .. والمعنى إنّ الرسولَ محمداً (ص) ينقلُهُ اليكم عن اللهِ بأمانةٍ .

كاهِنٍ : هو الذي يكونُ له رائدٌ من الجِن يُخبرُهُ بالمغيّباتِ .. وذلك من عقائدِ العربِ قبل الاسلامِ .

قليلاً ما تذكّرونَ : انكم لستم ممن يتفكرُ في آياتِ اللهِ ومعجزاتِهِ ، فيعرضُ عظمتَهُ

ويؤمنُ بهِ ويميّزُ بين هذا القرآنِ ، وبينَ قولِ الشاعرِ والكاهنِ .

ولو تَقوَّلَ علينا : لو كذبَ علينا محمدٌ (ص) .

بَعضَ الأقاويلِ : بعض الاكاذيب .. وقالَ شيئا من عندِهِ ونَسَبَهُ الى اللهِ .

لأخذنا مِنهُ بِاليمينِ : لاخذناهُ أخذَ قويٍ مُقتدرٍ ، وقيل : لأخذنا بيَمينهِ ، وقُدناهُ ، ويريدُ بذلكَ الاهانةَ والاذلالَ ، لو كذبَ على اللهِ ، وحاشاهُ من ذلكَ ، فهو « رسولٌ كريمٌ » .

لَقَطَعنا مِنهُ الوتينَ : الوتينُ : حبلُ القلب ، وقيل هو عِرقٌ متصلٌ بالقلبِ ، والمعنى : لَقَطعنا منه حبلَ قلبِهِ .. أي أهلكناهُ ، وقضينا عليه .

فَما مِنكُم مِّن أحدٍ عَنهُ حاجِزينَ : فلا أحدَ منكم ، يحولُ بين اللهِ وبينه .. أي لا أحدَ يستطيعُ الدفاعَ عنه .

وإنّهُ لَتذكرةٌ لِلمُتّقينَ : ان القرآنَ ، لموعظةٌ لِمَنْ يطيعُ اللهَ ؛ ليَدفعَ عن نفسِهِ العقابَ بهذه الطاعةِ .

وإنهُ لَحقُّ اليقينِ : وان القرآنَ للمتقينَ لَحقٌ لا شبهةَ فيه .

فَسبّح بِاسمِ رَبّكَ العَظِيمِ : يامحمدُ ــ والخطاب لجميع الناس ــ نَزّهِ اللهَ عن كلِّ نقصٍ ، وعن كلِّ صفةٍ لا تليقُ بكمالِ ذاتِهِ .

: الجليل ، الذي يصغرُ شأنُ الآخرينَ أمامَ شأنِهِ ، ويتصاغرُ كلُّ شيءٍ أمامَ عَظَمَتِهِ .

المعنى العام

للآية ٣٨ الى الآية ٥٢

ثمّ أقسمَ اللهُ سبحانَه بما نُبْصِرُ ، وبما لا نُبْصِرُ ، مِن مخلوقاتٍ ، دالّةٍ على عَظَمةِ خالِقِها وقُدرتِهِ ، فقال : « **فَلا** (١) **أُقْسِمُ بما تُبْصِرُونَ و ما لا تُبْصِرُونَ** » ..

ليؤكّدُ لنا صِدقَ نبوّةِ محمدٍ (ص) ، وما جاءَ بهِ لهدايةِ الانسانِ ، واصلاحِ حياتِهِ ،

---

(١) اختلفَ المفسرون في تفسيرِ (لا) في هذه الآيات ، وأمثالِها من الآياتِ ، فقيل إن معنى (فلا) اقسم ..

لَيؤكّدُ انّ هذا القرآنَ الذي يُتلى عليهم : « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم » ، انّهُ يَنقُلُهُ اليكم عن لسانِ الوحي : « وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ۞ إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحى » ، وليسَ شِعراً كما تتّهمونَهُ ، وتدّعونَ .. وليسَ هذا شعراً منظوماً .. ولا تلفيقَ الكهنةِ وسَجَعَهُم : « وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَليلاً ما تُؤمِنُون ۞ وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَليلاً ما تَذَكَّرُونَ » ..

دعاهُمُ القرآنُ الى التذكّرِ .. الى التحليلِ والفهمِ السليمِ لِما جاءَ في القرآنِ ولِما عَرَفوهُ مِنَ الكهانَةِ ، لِيُدركوا الفرقَ في المعنى والاسلوبِ بين هذا وذاكَ .. ليسَ القرآنُ كما تدّعونَ ، بل هو : « تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمينَ » .. إنّ الرسولَ (ص) ينطقُ بلسانِ الوحي ، ولَوْ كَذَبَ على اللهِ ــ وحاشاهُ من ذلكَ ــ لعاقَبَهُ اللهُ بقوّةٍ واقتدارٍ : « لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمينِ » .. وَلَقَطَعْنا حبلَ قلبِهِ .. لَقَضينا عليهِ : « ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتينَ » .. وعندها لا يستطيعُ أن يَدفَعَ عنه أحد ، أو يَحميه : « فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزينَ » ..

كيف يكذبُ محمدٌ (ص) و يعاني كلَّ المعاناةِ من أجلِكُم ، وهو يعلمُ لو فعلَ ذلك لَعُرِّضَ للعتابِ .. ثمّ لما كانَ بِوُسعِ أحدٍ أن يَدفعَ عنهُ العقوبةَ .. « وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقينَ » ..

انّ هذا القرآنَ الذي أنزلَهُ ربُّ العالمينَ ، هو موعظةٌ لِمنْ خافَ عِقابَ ربِّهِ ، وَرَجا ثوابَهُ .. « وَإِنّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرينَ » ..

إنَّ اللهَ عالِمٌ بحقيقةِ ما يَجري بينَ الناسِ ، و يَعلمُ أنّ منهم مَن يُكذبُ الرسولَ (ص) فلا يؤمنُ بالعقابِ والثوابِ ..

إنَّ المكذّبينَ سيندمونَ ، و يتحسّرونَ يومَ القيامةِ على كُفرِهِم بالقرآنِ وتَركِهِمُ العملَ بِمنهَجِهِ لِما يُشاهِدونَ من العذابِ وخُسران النّعيمِ .. « وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقينِ » ..

نفيُ الحاجةِ الى القسَمِ .. أي لا حاجةَ بي الى أن أقسم على صحةِ ما حدّثتُكُم بهِ .. فهو أمرٌ لا يحتاجُ الى القسمِ لوضوحِ صدقِهِ .. وقيلَ أن (لا) زائدةٌ في الكلام ومؤكدةٌ .. وقيل إن معنى (لا) هنا هو نفي قولِ المشركينَ (أي انّ الامرَ ليسَ كما يقولُ المشركونَ) .. وقيل إنّ معناها كقولِ القائلِ : لا والله لا أفعل ذلك .. ولا والله لأفعلَنَّ ذلك .. وقيل إنّ المعنى : لا أقسمُ بالمخلوقاتِ بل أُقسِمُ بربِّها / الطبرسي / مجمع البيان .

انّ هذا القرآنَ لهُوَ الحقُّ الذي لا شكَّ فيه .. « فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ » ..

فسبّحْ بأسمِ ربّكَ يا محمدُ (ص) ، والخطابُ للنّاسِ جميعاً .. أمَرَهُم أن يُنَزِّهوهُ عنْ كلِّ نَقصٍ وَصِفةٍ لا تليقُ بِعظَمَتِهِ ، فَلَهُ الأسماءُ الحُسنى ..

سُورَةُ المَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٨

سَأَلَ سائِلٌ بِعذابٍ واقِعٍ : دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ ، متعجّلاً لهُ .. والمعنى : أي طلبَ أحدُ الكفّارِ مِنَ النبي (ص) أن يُنزلَ اللّهُ عليه العذابَ ، إنْ كانَ محمدٌ (ص) صادقاً ، ليعرفَ صدقَهُ .

ذي المعارج : المصاعِد .. والمقصود هنا : الدّرجاتُ والمقاماتُ التي تَرقَى فيها الملائِكةُ حسبَ درجاتِها .

تَعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ اليهِ : تَصعدُ الملائكةُ . والرّوحُ : هو جبريل ــ كما قال بعضُ المفسّرينَ ــ .

في يومٍ كانَ مِقدارهُ خَمسينَ ألفَ سنةٍ : هو يومُ القيامةِ .

فَاصبِر : اصبرْ يا محمّدُ (ص) على ما تُقاسيهِ مِن أذَى الكفّار .

صبراً جميلاً : صبراً لا شكوى فيه على ما يُصيبُكَ مِن أذى الكفّارِ ولا جَزَع .

إنّهم يرونَهُ بعيداً : انّ الكفارَ يَرون حدوثَ يوم القيامةِ غيرَ ممكنِ الوقوعِ ، لأنّهم لا يؤمنونَ بهِ .

ونَراهُ قريباً : انّ اللّهَ يعلمُ بِمجيءِ يوم القيامةِ ، وانّهُ مُحَقّقُ الحدوثِ في علمِهِ .. لذا وصفهُ بأنّه قريبُ الوقوعِ .

كالمُهلِ : مثل دُردِيّ الزّيتِ . وقيل المُهل هو : ما أُذيبَ من فِضةٍ أو رَصاصٍ أو نُحاسٍ وأمثالِهما من المعادنِ .

كالعِهنِ : كالصوفِ المنفوشِ .. وقيل الصوفُ المصبوغُ .

الحميم : هو القريبُ بالنَّسَبِ ، المشفقُ على قريبِهِ .

لا يسألُ : لا يُطلبُ منهُ العونُ ، وتخفيفُ الذنوبِ ، ليَأسِهِ من ذلك .. وقيل لا يُسألُهُ لانشغالِهِ بنفسِهِ .

يُبَصَّرونَهُم : يَعرِفُ الكفّارُ بعضُهم بعضاً .. وقيلَ يرى المؤمنونَ أعداءَهُم من الكفّارِ وهم في حالِ العذابِ .

يَودُّ المُجرِمُ لو يفتدِي : يتمنّى المجرمُ ، لو يُسلمُ أحبَّ الناسِ الى نفسِهِ الى العذابِ مقابلَ نجاتِهِ هُوَ .

صاحِبتِهِ : زوجتِهِ .

فَصيلتِهِ التي تُؤوِيهِ : عشيرتِهِ التي تحميهِ في شدائد الدنيا ، وتدافعُ عنه .

إنّها لَظَى : لظى : اسم من أسماءِ جهنّم .. وسُمّيت لظى .. لأنّها تشتعلُ وتلتهبُ .

نزّاعةً للشّوى : الشوى : الأطراف ، وهي الأيدي والأرجل .. ونزّاعةً : قلاّعةً .

والمعنى قلاعةً للأيدي والأرجلِ .

تَدعو مَنْ أدبر وَتَوَلّى : تجرُّ اليها الكافرينَ الذينَ ابتعدوا عن الايمانِ .. أي لا يفوتُها أحدٌ منهم .

جَمَعَ : جمعَ المالَ .

فأوعى : كَنَزَهُ في الأوعيةِ ، فلم يُنفقْ منهُ ، ولم يؤدِّ حقوقَ الفقراءِ

المعنى العام
للآية ١ الى الآية ١٨

في مطلعِ هذه السورةِ المباركةِ تحدّثَ القرآنُ عن مقالةِ أحدِ مُجرمي مكةَ : « **سَأَلَ سائِلٌ**[1] **بِعَذابٍ واقِعٍ ۝ لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ** » ..

فقد ابتدأ السورةَ بالحديثِ عن ذلكَ النموذجِ المجرمِ المكذّبِ برسالةِ الهُدى .. الذي يَسخَرُ ويستهزئُ ، بدافعِ الغرورِ والجهلِ باللهِ سبحانَهُ .. ويحصر تفكيرَهُ في عالَمِ المادةِ والدنيا ..

انّ القرآنَ يؤكّدُ لهذا المجرمِ وقوعَ العذابِ ، والانتقامِ الالهي ، الذي لا يمكنُ أن يَحجزَهُ عنهُ أحدٌ ، أو تدفَعَهُ عنهُ أيّةُ قوّةٍ .. وما تأخيرُ عذابِ المجرمينَ والانتقامِ منهم ، الّا ليُمهِلَهُمُ اللهُ ؛ وليتحمّلوا مزيداً مِنَ العذابِ بما أجرَموا ..

انّ اللهَ الذي خلقَ الملائكةَ والمعارجَ ، وجعلَ مدةَ يومِ القيامةِ تُعادلُ خمسينَ ألفَ سنةٍ من سنينِ عالَمِ الدنيا ، لقادرٌ على البعثِ والحسابِ والجزاءِ ..

---

(١) ذكر المفسّرونَ أنّ سببَ نزولِ هذه الآيات : «سأل سائل بعذاب واقع .. الخ» هو قولُ النضربنِ الحارثِ أحدِ أكابرِ مشركي مكّة .. الذي كان مُستهزئاً بدعوةِ رسولِ الله(ص) : (اللّهمّ ان كانَ هذا هو الحقّ من عندِك فأمطِرْ علينا حِجارةً بيضاءَ من السّماء) .. وقد انتقَمَ اللهُ منهُ يومَ بدرٍ بأيدي المسلمين / الواحدي / أسباب النّزول ، والطبرسي / مجمع البيان ، والطباطبائي / تفسير الميزان .

فاصبرْ يا محمدُ (ص) على تكذيبِ هذا المجرم وأمثالِهِ، وطلبِهِ العذابَ: «**فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً**».. تحمّلْ مهمّةَ الدعوةِ الى اللهِ سبحانَهُ، واصبرْ صبراً لا جَزَعَ فيهِ ولا شكوى..

فلا تجزعْ، ولا تشكو ممّا تُلاقي من أذى وصدود..

انّ في هذه الآيةِ لَتربيةً الهيّةً للرّسولِ الهادي (ص)، وللدّعاةِ الى الاسلامِ، في كلّ عصرٍ وجيلٍ يُلاقونَ فيه الاثارةَ، والتحدّيَ، ومواقفَ العداءِ؛ ليعرفوا أنّ ذلك التحدّيَ والصّراعَ أمرٌ طبيعيٌّ في حياةِ الرّسلِ والدّعاةِ الى اللهِ، لئلا يَجزَعوا، ولا يَشْكُو، ولا يَتراجَعوا أمامَ العدوّ، ومهما يَتمادى في غيّه وطغيانِهِ..

انّ الكفّارَ لِجَهلِهِم، وتَخلُّفِ فَهمِهِم، وَوَعيِهِم، واصرارِهِم على الكفرِ، يَستبعدونَ وُقوعَ عالَمِ الآخرةِ، وحُصولِ الحسابِ والجزاءِ..

إنّ هذا الذي يرونَهُ مستحيلَ الوقوعِ.. لا شكَّ أنّهُ عندَ اللهِ حقيقةٌ قريبةُ الوقوعِ، إنّهُ حقٌّ، كما انّ عالَمَ الدّنيا حقيقةٌ قائمةٌ..

فلا يستعجلْ أولئك المجرمونَ بالعذابِ، ولا يستبعدوا وقوعَهُ.. فانّه حقٌّ، وانّه قريبٌ: «**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَراهُ قَرِيباً**»..

علامَ هذا الاستعجالُ بالعذابِ؟ انتظروا أيّها المجرمونَ..

أمّا المؤمنونَ، فَخُفِّفَ عليهم ذلك اليومُ حتى لا يساوي عندهم أكثر من صلاةٍ مكتوبةٍ: روى أبوسعيدٍ الخدري قال: (**قيل لرسولِ اللهِ ـ ص ـ: ما أطولَ هذا اليوم، فقال: والذي نفسُ محمّدٍ بيدهِ انّهُ ليخفُّ على المؤمنِ حتى ليكونَ أخفَّ عليهِ من صلاةٍ مكتوبةٍ يصلّيها في الدّنيا**)..

ففي ذلك اليوم تُعرَضُ السمواتُ والأرضُ لِتغييرٍ هائلٍ في بُنيتِها وتكوينها..

«**يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَاءُ كَالْمُهْلِ**»..

«**وَتَكُونُ ٱلْجِبالُ كَالْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ**»..

يوم تكون كالمعادنِ المذابة، تَفقدُ صلابتَها وتماسكها. أمّا الجبالُ، فهي الأخرى

يُصيبُها هذا التغييرُ والوهنُ أيضاً، فتتحوّلُ الصلبةُ الى وجودٍ مهملٍ فاقدِ التماسكِ والصّلابةِ، فتكونُ كالصّوفِ المنفوشِ الملّونِ: «**وَتَكُونُ ٱلْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**»؛ ذلك لأنّ ألوانَ الجبالِ، وصبغتَها تبقىٰ طاغيةً عليها رغم انحلالِ بنيتِها..

انّ هولَ ذلكَ اليوم يُمكنُ تصوّرُهُ من التغييرِ الهائل الذي يُحيلُ السمٰواتِ الى سائلٍ يُشبهُ المعادنَ المذابةَ.. و يُحوّلُ صخورَ الجبالِ الى وجودٍ يُشبهُ الصوفَ المنفوشَ: «**وتكون الجّبال كالعهن المنفوش**»..

في ذلك اليوم ييأسُ الناسُ من تعاطفِ القريبِ والحبيبِ، الذي كان يحوطُهُم ويحوطونَهُ بالشّفقةِ والرّعايةِ، ولا يفكّرُ أحدٌ أن يطلبَ من أحدٍ عوناً أو نجاةً.. فالكلُّ منشغلٌ بنفسِهِ، لا يملكُ من أمرِهِ شيئاً.. فالأمرُ كلُّهُ للهِ.. فهذا الانسانُ يائسٌ من الصديقِ، والقريبِ، والمالِ، والسلطةِ، وأمثالِها، الاّ من فعلِ الخيرِ..

انّ الحميمَ يَبْصُرُ حميمَهُ، وهويُعاني من هولِ ذلك اليوم، فلا يستطيعُ أن يدفعَ عنه شيئاً، أو يُقدّم لهَ عوناً: «**وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً * يُبَصَّرُونَهُمْ**».. بلِ المحنةُ أشدُّ من ذلكَ، والموقفُ أسوأُ..

فانّ هولَ ذلك اليوم يَجعلُ فاعلَ الجريمةِ، يتمنّى لويُقدّمُ أعزَّ الناسِ عليهِ وقوداً لِجهنّمَ وفديةً لهُ.. لِيُنقِذَ نفسَهُ، ولكنّهُ لا يستطيعُ ذلك، يتمنّى لويُقدّم أبناءَهُ وزوجتَهُ وعشيرتَهُ.. و يفوزُ هوبالنّجاةِ.. بل يتمنّى لواستطاعَ أن يَدفعَ بالناسِ جميعاً في هاويةِ جهنّمَ لِيُنجيَ نفسَهُ: «**... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُؤِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلاَّ إِنَّها لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعىٰ**»..

كلاّ فلا نجاةَ ولا خلاصَ.. بل انّهُ وَقَعَ في جوفِ هذه النارِ الملتهبةِ المشتعلةِ، التي مِن طبعِها اِحراقُ الأطرافِ والتهامُها..

انّها مُغرمةٌ بتعذيبِ المجرمينَ، تدعومَنِ ٱبتعدَ عنِ الحقِ، ورفضَ رسالةَ الهُدى.. فهي تُطاردُ وتلتهمُ مَنْ جمعَ المالَ، فأكتنزَهُ، وجمّدَهُ في الخزائنِ و بيوتِ المالِ.. وحرمَ

النّاسَ منه ..

يريدُ القرآنُ في هذه الآيةِ أن يوضّحَ نَظريةَ الاسلامِ في المالِ ، وانّها جزءٌ مِنَ الرّسالةِ الالهيّةِ .. فَمَن تركَ شريعةَ اللهِ ، وتكالبَ على جمعِ المالِ والثروةِ ، وحرمَ الطبقاتِ الفقيرةَ ، والانسانَ المحرومَ من الاستفادةِ من هذا المالِ ، ومن حقِّهِ الذي فرضَهُ اللهُ ، بقولِهِ : « **في أمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسّائِلِ وَٱلْمحْرُومِ** » .. وفي فرضِهِ للزّكاةِ ، فانَ عقابَهُ جهنّمُ .. وليس هذا وحسب .. بل وانّنا نستفيدُ مِن هذه الآيةِ أنّ اكتنازَ المالِ ، وجمعَهُ ، والتصرّفَ فيه خِلافاً لقوانينِ العدلِ التي فرضَها الاسلامُ ، هو أمرٌ محرّمٌ .. وعلى الدولةِ الاسلاميةِ[1] أن تكافِحَ هذا النّمطَ من الأنظمةِ الاقتصاديةِ ؛ لأنّها مسؤولةٌ عن مكافحةِ الحرامِ ، وتحقيقِ العدلِ بين النّاسِ ..

---

(١) الدولة الاسلامية : هي الدولةُ التي تقومُ على أساسِ الاسلامِ ، وتستمدُّ منه تشريعاتِها .

مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ

شرح المفردات

من الآية ١٩ الى الآية ٣٥

هَلوعاً : الهلعُ : أسوأُ أنواع الضَّجَرِ والجَزَع .. والمعنى : شديدُ الحرصِ ، سريعُ الجزع .

اذا مسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً : تفسيرٌ لمعنى الهَلِع ، فالهَلِعُ : هو الذي لا يصبرُ اذا مسَّه الشَّرُّ ، ولا يشكرُ اذا مسَّهُ الخيرُ .

واذا مسَّهُ الخيرُ منوعاً : لا ينفقُ من الخير .

للسّائلِ	: الفقير، الذي يطلبُ المالَ من الناسِ .
المحروم	: الفقيرِ الذي يتعفّفُ ، ولا يطلبُ من أحدٍ .
يُصدّقونَ بيومِ الدّينِ	: يؤمنونَ بيومِ الجزاءِ، يومَ القيامةِ .
مُشفِقُونَ	: خائفونَ .
غَيرُ مأمونٍ	: يخافونَ أن لا تُقبلَ حسناتُهُم ، و يعاقَبوا بسيئاتِهم .. وقيل غيرُ مأمونِ الوقوعِ .
لفُرُوجِهِم حافِظُونَ إلاّ علىٰ أزواجِهِم أو ما ملَكتْ أيمانُهُم فإنّهُم غيرُ مَلومينَ	: لا يـزنونَ ، ولا يقربونَ الأعمالَ الجنسيّةَ المحرّمة ، و يلتزمونَ بما أباحَ اللهُ لَهم مِنَ النساءِ، وهنّ : أزوجُهُم ، وما ملكت أيمانُهُم .
ابتغىٰ وراء ذلِك	: طلبَ غيرَ ما أحلَّ اللّهُ لهُ «الزوّجة والإماء»
هُمُ العادُونَ	: همُ الذينَ تَعدّوا حدودَ اللّهِ ، أي خالَفوا قوانينَهُ وأحكامَهُ .
والّذينَ هُم لِأماناتِهم وَعَهدِهِم راعُونَ	: حافظونَ للعهدِ والأمانةِ .
بِشهاداتِهِم قَائِمُونَ	: يؤدون الشهادة التي يجب اداؤها. والشهادة: هي اخبار عمّا شاهدهُ الانسان

المعنى العام
للآية ١٩ الى الآية ٣٥

ثم يَسترسلُ القرآنُ ، بتحليل الطبيعةِ للانسانِ فيوضحُ : « **إنّ ٱلإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً** » .. انَّ طبيعتَهُ شدّةُ الحِرصِ على الخيرِ والمالِ .. « **إنَّ ٱلإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۝ إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً ۝ وَإذا مَسَّهُ ا لْخَيْرُ مَنُوعاً** » ..

في هذه الآياتِ يتحدّثُ القرآنُ عن طبيعةِ الانسانِ بصورةٍ عامّةٍ .. فأوضحَ أنّها طبيعةٌ

أنانيّةٌ ، شديدةُ الجَزعِ والفزعِ ، عندما يُصيبُها الشرُّ والأذى .. وحريصةٌ تَنطوي على البخلِ واللؤمِ ، عندما تملكُ الخيرَ .. ولا يَستثني من ذلك الّا المؤمنينَ الّذينَ انتصروا على هذهِ الطبيعةِ بايمانِهم فقال :

« الّا المصلّين * الّذين هم على صلاتهم دائمون * والّذين في أموالهم حقّ معلوم * للسّائل والمحروم * والّذين يصدّقون بيوم الدّين * والّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون * انّ عذاب ربّهم غير مَأمُونٍ * والّذين هم لفروجهم حافظون * الّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانّهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والّذين هم بشهاداتهم قائمون * والّذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك في جنّات مكرمون » ..

فالقرآنُ يستثني أولئكَ المؤمنينَ من الطبيعةِ الانسانيةِ اللئيمةِ ، التي تتّصفُ بالهلعِ والأنانيةِ .. ويُثبتُ لهم صفاتٍ انسانيةً متساميةً ؛ بسببِ ايمانِهم باللهِ ومعرفتِهم به .. لذا فهُمُ المحافظونَ على عبادةِ ربّهم .. وهم الّذين تحررتْ نفوسُهُم من الجَشَع وحبِّ المالِ .. فهمْ يُنفقونَ من أموالِهم ابتغاءَ وجهِ اللهِ ، فَهُم يؤمنونَ بيوم الجزاءِ ، ويخافونَ عقابَ ذلك اليوم ؛ لأنّ حُلولَهُ بالانسانِ أمرٌ مُتوقّعٌ بسببِ ما يصدرُ عنِ الانسانِ من معصيةٍ وإساءةٍ ..

وأولئكَ قد تَطهّرتْ نفوسُهُم عن الشّهواتِ الجنسيةِ المُحرّمةِ ، كما تطهّرتْ عن شهوةِ المالِ غيرِ المشروعةِ .. فلا يزنونَ ، ولا يرتكبونَ المحرّماتِ .. وانّما يُشبعونَ حاجتَهُم الغريزيةَ عن طريقِ الزّواجِ ، والمرأةِ المملوكةِ[1] للرّجلِ .. فانّ ذلكَ حلالٌ أباحَهُ اللهُ ، ولا يُلامُ الرّجلُ عليهِ .. ومن يتجاوزُ هذه المباحاتِ ، و يعملُ الأعمالَ الجنسيّةَ الأخرى ، فانّهُ مجرمٌ ، معتدٍ على القانونِ الالهي ، ويجبُ أن يُعاقَبَ في الدّنيا والآخرةِ ..

انّ أولئكَ المؤمنينَ يُؤدّونَ الأمانةَ ، ويحافظونَ على العهودِ والاتفاقاتِ الصحيحةِ التي

---

(١) المرأةُ المملوكةُ للرّجل : هي المرأةُ التي كان يشتريها الرّجلُ بمالِهِ .. أو الّتي يَحصُل عليها عن طريقِ الفتح من الأُممِ الكافرةِ ، كسبايا يأخذُها المسلمونَ .

يَتعهّدونَ بها .. وهم يؤدّونَ الشّهادةَ بالحقّ ، ولا يُزَوّرونَها .. وهمُ الّذينَ يؤدّونَ صلواتهم في أوقاتِها ، ولا يتركونَ فريضةً منها .. أولئكَ لهُمُ الجنّةُ ، والكرامةُ في عالمِ الآخرةِ ..

﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

شرح المفردات

من الآية ٣٦ الى الآية ٤٤

قِبَلَكَ مُهطِعِينَ : يؤدّونَ اليك بعداوةٍ .

عن اليمينِ وعنِ الشّمالِ : عن يمينِكَ وعن شمالِكَ يامحمدُ (ص) .

عِزينَ : جماعات ، متفرّقين .. كالحَلَقاتِ المتفرّقةِ .

ربِّ المشارقِ والمغاربِ : المشارقُ : جمع مشرقٍ ، وهو محلُ شروقِ الشمسِ . والمغاربُ : جمع مغربٍ ، وهوَ محل غروبِ الشمس .. والقرآنُ يشيرُ الى حركةِ الأرضِ والشمسِ التي تسببُ شروقَ الشمسِ في كلّ يومٍ من موضعٍ محدّدٍ ..

وغروبُها في كل يوم من موضعٍ محددٍ .. وهذا الشروقُ والغروبُ يختلفُ في كلّ يومٍ عن الأيّامِ الأخرى .. ولا يعودُ إلاّ بعد انتهاءِ أيّامِ السنةِ كاملاً ، فتبدأُ دورة جديدة .

فذرهُم يَخوضوا : فَاتْرُكهُم يَدخُلوا في باطِلِهم .

حتىٰ يُلاقوا يَومَهُم : يومَ القيامةِ .

الذي يُوعدونَ

الأجداثِ : القبور .

سِراعاً : مسرعينَ لِشدّةِ سَوقِهم .

يُوفِضُونَ : يَسعَونَ .. والمعنىٰ : كأنّهم يَسعَونَ الىٰ أصنامِهم .

خاشِعةً أبصارُهُم : ذليلةً .

تَرهقُهُم ذِلّةٌ : يسيطرُ عليهِمُ الذّلُّ .

المعنى العام

للآية ٣٦ الى الآية ٤٤

« فمال الّذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشّمال عزين * أيطمع كلّ امرىء منهم أن يدخل جنّة نعيم * كلاّ انّا خلقناهم مما يعلمون » ..

وفي هذهِ الآياتِ يقولُ الله سبحانَهُ لِنَبيّهِ : ما الّذي أصاب أولئكَ المشركينَ ، الّذين يتجمّعونَ حولكَ جماعاتٍ جماعاتٍ ، وعيونُهُم تتطلّعُ اليكَ بكراهيةٍ وعداوةٍ .. أيطمعُ أولئكَ المنافقونَ أن يَدخلُوا الجنّةَ كما يَدخلُها المؤمنونَ المتّصفونَ بتلكَ الأوصافِ .. كلا إنّهم لا يستحقّونَ ذلكَ .. إنّهم يعلمونَ أنّ اللهَ خلقَ النّاسَ جميعاً من أصلٍ واحدٍ .. وانّهم يتفاضلونَ بالعقائدِ والأعمالِ .. ولذا فهم لا يتساوون مع المؤمنينَ في الجزاءِ ..

واللهُ يُقسمُ بقدرتِهِ التي خلقَ بها المشارقَ والمغاربَ ، فهو ربُّها .. انّهُ قادرٌ على أن يُهلِكَهُم ، ويأتي بأُناسٍ خَيرٍ منهم .. تشهدُ حركةُ الأرضِ وتغييرُ مواضعِ الشّروقِ

والغروبِ على قدرتِهِ .. فاللهُ لا يفوتُهُ عذابُهُم ، ولا يستطيعونَ أن يَغلِبوهُ ..

فَاتركْهُم ــ يا محمّدُ ــ يَدخلوا في الباطلِ ، فَسيلاقونَ يومَ العذابِ .. يومَ يَخرجونَ من القبورِ مُسرعينَ الى العذابِ .. كَسُرعَتِهِم في السّعي نحوَ أصنامِهِم في الدّنيا للتقرّبِ اليها .. وأبصارُهم ذليلةٌ لا يستطيعونَ النّظر في الوجوهِ ؛ لِخِزيهِم وحقارتِهِم .. وقدِ استولى عليهِمُ الذّلُّ والمهانةُ .. فذلك ما يوعَدون ، فَلْيَنتَظِروا العذابَ .

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٢

أنذِرْ قَومكَ	: أخبِرْهم بوقوعِ العذابِ ، خَوِّفْهم .
يؤخِركُمْ إلىٰ أجلٍ مُسمّىً	: مدّةٍ معينةٍ .
دعَوْتُ قَوْمِي	: دعوتُهم الىٰ الايمانِ بكَ وحدَكَ ، والىٰ عبادَتِكَ ، وتصديقِ نبوّتي .
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إلاّ فِرَاراً	: لم تَزِدهُم دعوتي الىٰ الايمانِ بِكَ إلاّ بُعداً .
استَغْشَوا ثِيَابَهُمْ	: غَطّوا وُجوهَهُم بِثيابِهِم ، لئلا يَرَوا نوحاً (ع) .
أصَرُّوا	: داموا علىٰ كفرِهم .
جِهَاراً	: بِأعلىٰ صوتي .
أعلَنتُ لَهمْ	: دعوتُهم في العلانيةِ .
أسرَرتُ لَهمُ إسرَاراً	: دعوتُهم سِراً .
يُرسلِ السَّماءَ عَليكُمْ مِدرَاراً	: يُنزِلُ لكمُ المطرَ الغزيرَ ، عند الحاجةِ .
يمدِدْكُمْ بِأمْوَالٍ وَبَنينَ	: يُكثِّرُ أموالَكم وأبناءَكم .
وَيَجعَل لَكُمْ جَناتٍ	: يجعلْ لكم بساتينَ في أرضِكم وفراكم .

تعريف :

لقد تحدّثتْ هذه السورةُ المباركةُ بكاملِ آياتِها عن مرحلةٍ خطيرةٍ من مراحلِ دعواتِ الانبياءِ ، وهي مرحلةُ النبيِّ نوحٍ (ع) وأتباعِ هذا النبيِّ الصابرِ ، تَمثَّلَ فيها الصبرُ والثباتُ على حملِ الدعوةِ الالهيةِ بشتى الوسائلِ والاساليبِ الحكيمةِ ، لهدايةِ الانسانِ ، وانقاذِهِ من الكُفرِ والضلالِ والجريمةِ ، وتبليغِ رسالةِ اللهِ .

كما عرضَتْ نماذجَ من اصرارِ الانسانِ ، الضالِ المنحرفِ ، على الكفرِ والفسادِ ،

ودفاعِهِ عن الباطلِ، ونتيجةَ هذا الاصرارِ على الضلالِ، التي تمثلتْ بالعذابِ والانتقامِ المُدَمِّرِ..

انَّ القرآنَ يعرُضُ هذه الآياتِ للعبرةِ والموعظةِ، ليُعرِّفَ الناسَ بجانبٍ من جهادِ الانبياءِ وكفاحِهم، من أجلِ هدايةِ الانسانِ واصلاحِهِ، عبرَ مراحلِ التأريخ؛ ليتَشَخَّصَ خَطُّ الانبياءِ واضحاً، مقابلَ خَطِّ الطواغيتِ والمُفسدينَ والعابثينَ.. ليسيرَ الانسانُ على هذا الخطِّ النبويِّ، ويحملَ تلكَ الدعوةَ الالهيةَ.

لقد بُعثَ نوحٌ (ع) في مرحلةٍ متقدمةٍ من مراحلِ التأريخِ البَشريِّ، وهو من أوائلِ الانبياءِ وعُظمائِهم، فهو مِن أولي العَزمِ، قد بعثَهُ اللهُ سبحانَهُ بعدَ ادريسَ، الذي بُعثَ بعدَ شيثٍ وآدمَ.. فكانت رسالتُهُ، وفترةُ دعوتِهِ، مرحلةً فاصلةً في تأريخِ البشريةِ.

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١٢

«إنّا اَرْسَلْنا نُوحاً إلىٰ قَوْمِهِ أنْ أنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُمْ عَذابٌ أليمٌ»..

يُخبِرُنا اللهُ سبحانَهُ في هذهِ الآيةِ أنَّهُ أرسلَ نوحاً (ع) الى قومِهِ، الذينَ كَفروا باللهِ، وعَبَدوا الاوثانَ، وَسَلَكوا سبيلَ الانحرافِ والجريمةِ، ليَدعوهم الى توحيدِ اللهِ وعبادَتِهِ، والعملِ بِمَنهجِ الهُدى والرشادِ.. وليُحَذِّرَهم من وقوعِ العذابِ والانتقامِ، كنتيجةٍ حتميةٍ لِكُفرِهم وانحرافِهم، لَعلَّهم يهتدونَ. فحملَ نوحٌ (ع) تلكَ الرسالةَ، وتوجّهَ الى قومِهِ، وراحَ يدعوهُم بتلكَ الدعوةِ، ويُحذِّرُهُم من العذابِ والانتقامِ، ويُخبرُهُم بِنُبوَّتِهِ وبعثَتِهِ اليهِم، هادياً، ومُنقذاً، فحكى لنا القرآنُ خطابَهُ وقولَهُ لهم: **«قالَ يا قَوْمِ إنّي لَكُم نَذيرٌ مُبينٌ ۝ أنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأطيعُون»..**

لقدِ امتلأتْ دعوةُ نوحٍ بالشفقةِ والرحمةِ بقومِهِ مِنَ العذابِ والانتقامِ، فراحَ يخاطبهُمْ:

«**يا قوم**» يُضيفُهُم الى نفسِه ، و يُقرّبُهُم اليها . و يوضحُ لهمْ أنّ الايمانَ باللهِ ، ومخافَتَه ، واتباعَ ما جاءَ به ، هو من رسالتِهِ اليهم ، فهو المنقذُ لهم من العذابِ والدمارِ .. فإنْ هُم آمنوا واتّقوا فَسيغفِرُ اللهُ ذُنوبَهُمُ السابقةَ ، و يفسحُ المجالَ أمامَهُم ، لأن يعيشوا سُعداءَ الى أجلِهِمُ الطبيعي على هذه الأرضِ .. والاّ فسيُعاجِلُهُم بالانتقامِ والدمارِ ، قبلَ أجلِهِمُ الطبيعي ، فَيُمحَونَ من هذا الوجودِ ، لِيَحُلَّ بهمْ عذابُ الآخرةِ .

وهكذا أوضحَ نوحٌ لقومِهِ : أن اللهَ سبحانَهُ جعلَ لكلِّ مخلوقٍ عُمُراً ، وأجلاً مُحدّداً ، هو العُمُرُ الطبيعي ، الذي يجبُ أن ينتهيَ في الوقتِ المحددِ لهُ ، وهو الذي سمّاهُ (**أجلَ اللهِ**) .. كما أوضحَ لهم : أن اللهَ سيعجّلُ و يقضي عليهم قبلَ هذا الأجلِ ، انْ هُمُ استمروا على كفرِهِم وضَلالِهِم .

لقد استمرَ نوحٌ (ع) يدعو قومَهُ تسعمائةٍ وخمسينَ سنةً ، وهو مخلصٌ وشفيقٌ ، مستعملاً مختلفَ الوسائلِ والأساليبِ الحكيمةِ ، فلم يزدادوا الاّ بُعداً عنه ، واصراراً على كفرِهِم وضَلالِهِم ، ولم يُؤمنْ بهِ الاّ قليلٌ منهم ، فكانَ يدعو بعضَهُم سِرّاً ، و يَدعو البعضَ الآخرَ علناً .

لقد يَئِسَ نوحٌ من قومِهِ ، لمّا رآهُمَ يَسدونَ آذانَهُم عن سَماءِ دعوتِهِ ، و يُغَطّونَ عيونَهُم لِئلا يروهُ .. مُصرينَ على الباطلِ ، مُستكبرينَ على هذا النبيّ (ع) ودعوتِهِ بالسرِ والعَلَنِ .. يُناجي ربَّهُ ، ويشكو قومَهُ .. «**قَالَ رَبِّ إني دَعَوتُ قَومي لَيلاً ونَهَاراً ٭ فَلَم يَزدهُمْ دُعَائي إلاّ فِرَاراً ٭ وانّي كُلَّما دَعَوتُهُمْ لِتَغفرَ لَهم جَعَلوا اَصَابِعَهم في آذانِهِم وآستَغشَوا ثِيابَهم وأصَروا وآستَكبَروا آستكباراً ٭ ثمَّ إنّي دَعَوتهُمُ جِهاراً ٭ ثُم إنّي أعلَنتُ لَهُم وأسرَرتُ لَهُم اِسراراً**» ..

لقد صَوَّرَ لَنا القرآنُ تلكَ المواقِفَ اللئيمةَ لاولئك المعانِدينَ ؛ لِيوضِّحَ لنا جهادَ الانبياءِ ، وصَبرَهُم واتّباعهُم شتى الوسائلِ والاساليبِ ؛ لِهدايةِ الانسانِ .

ثمَّ يعرضُ القرآنُ محتوى قولِ نوحٍ (ع) وخطابِهِ وشرحِ دَعوتِهِ لهم ، فَيوضّحُ انّهُ دعاهُم للاستغفارِ ، وطلبِ العفوِ مِنَ اللهِ ، فانهُ كثيرُ العفوِ والمغفرةِ .. وأوضحَ لهم أن توبَتَهُم

وتراجُعَهُم عن خطيئتِهم ، سيكونُ سبباً لإفاضةِ الخيرِ والبركاتِ المتمثّلةِ بانزالِ المَطَرِ ، والامدادِ بالمالِ والبنينَ ، واخصابِ الأرضِ بالزرعِ والبساتينِ والماءِ الوفيرِ .. في حين يكونُ الاصرارُ على الكفرِ والضلالِ سبباً للفناءِ والدمارِ .. فذلك هو معنى الآياتِ الكريمةِ الآتيةِ .

« فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا (٥) رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً » ..

لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ

(٥) ورد في قول الامامِ علي (ع) : « وقد جعلَ اللهُ سُبحانَهُ الاستغفارَ سبباً لِدرورِ الرّزقِ ورحمةِ الخلقِ ، فقال سبحانه : (استغفروا ربكم انّه كان غفاراً ..) ، فرحمَ اللهُ امرءاً استقبلَ توبتَهُ ، واستقالَ خطيئتَهُ وبادرَ منيّتَهُ » .

أَللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

شرح المفردات

من الآية ١٣ الى الآية ٢٨

لا ترجُونَ لِلّهِ وقاراً : لا تخافونَ اللّهَ عظمةً وحلماً .

خَلقكُمْ أطوَاراً : جعلَ خَلْقَكم في بطونِ امّهاتِكم يَمُرُّ بمراحلَ وأطوارٍ ، فقد خلقَكم من نطفةٍ ، ثم عَلَقَةٍ ثم مُضغَةٍ .. الخ حتىٰ صارتْ إنساناً كاملاً .

طِباقاً : الواحدةُ فوقَ الأخرىٰ ، كالقِبابِ . أو الواحدةُ تُطابقُ الأخرىٰ ، أي تُماثِلُها وتُشابِهُها في التكوينِ .

سِراجاً : المصباحُ الذي يضيء بِفتيلةٍ وزيتٍ .

بِساطاً : مبسوطةٌ ، مهيأةٌ للمَشي والعيشِ عليها .

لتسلُكُوا مِنْها سُبلاً فِجاجاً : لِتَسيروا في طرقٍ واسعةٍ ، أي ليَسهُلَ عليهمُ التنقلُ .

وَمَكرُوا مَكراً كُباراً : دَبَّروا حيلةً عظيمةً للتخلّصِ من هذا الدين .

لا تَذَرُنَّ : لا تَتْركوا .

وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْراً : أسماء أصنامِهم التي كانوا يَعبُدونها .

مِمَّا خَطيئاتِهِمْ أُغرِقُوا : أغرَقَهُمُ اللهُ بسببِ ذنوبِهم ومَعاصيهم .

فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِن دُونِ اللهِ أنصَاراً	: لم يَجدوا أحداً يَحميهمْ مِن عذابِ اللهِ ، أي لا يستطيعُ أحدٌ أن يمنعَ عنهُمُ العذابَ .
لا تذرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دياراً	: الدّيارُ، هو ساكنُ الدارِ، والمعنى لا تَترُكْ أحداً منهم حياً ، يَسكنْ في دِيارِهم .
فاجراً	: مُبتعداً عن الحقّ ، فاعلاً للمعاصي والآثامِ .
تباراً	: هَلاكاً ، ودَماراً .

المعنى العام
للآية ١٣ الى الآية ٢٨

ثم خاطبَهُم متسائلاً ، مُتألماً ، بعد أن رأى كفرَهُم ، وعِنادَهم : « **ما لَكُم لا تَرْجُونَ للهِ وَقاراً** » .. ما لَكُم أيها الكافرونَ ، لا تخشَونَ عظمةَ اللهِ ، وحلمَهُ ، وعدمَ معاجلتِهِ لكم بالعقابِ .

انكم تكفرونَ بهِ : « **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطْواراً** » .. تكفرونَ بهِ وهو العظيمُ ، الذي خلقَ الانسانَ من ترابٍ ، ثم جعلهُ نُطفةً ، فجعلَ النطفةَ علقةً ، ثم جعلَ العَلَقَةَ مُضغَةً ، ثم جَعَلَ المُضغَةَ عِظاماً ، وكسا العظامَ لحماً .. ثم أنشأ فيهِ الروحَ ، وصوَّرهُ بأحسنِ صورةٍ .

وبعدَ أنْ لفتَ أنظارَهم الى التفكيرِ بخلقِ الانسانِ ، وعَظَمَةِ اللهِ ، وَجَّهَ تفكيرَهُم ، وطالَبَهُم ، أن يتأملوا في خلقِ السّمواتِ والأرضِ والشمسِ والقمرِ ، ليَعرفوا جانباً آخرَ من عظمةِ اللهِ وقدرتِهِ .. كلُّ ذلك ليُحرِّكوا عقولَهُم ، ويَستخدِموا تَفكيرَهُم ؛ لِمعرفةِ اللهِ ، والاستدلالِ بعظمةِ هذا الخلقِ ، على وجودِ وعظمةِ خالِقِهِ .. فراحَ يخاطبُهُم :

« **ألم تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبعَ سَمٰواتٍ طِباقاً ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ**(١) **نُوراً**

---

(١) فيهنّ : يعني في احداهِنّ ، وهي سماؤنا .. والعربُ تستعملُ هذه التعابيرَ .. فتقولُ مثلاً حلَّ رسولُ ←

وجَعَلَ الشّمسَ سِراجاً » ..

إنَّ القرآنَ يُصوّرُ لَنا القمرَ في هذهِ الآيةِ نوراً ، لأنه يعكسُ ضوءَ الشمسِ على كوكبِ الأرضِ ، وما حولَهُ ، ولا يَشعُّ الضياء اشعاعاً ذاتياً .. و يُصوّرُ لَنا الشمسَ سِراجاً ، فَيُشَبّهُها بالسراجِ الذي يُعطي الضياءَ والحرارةَ معاً باستهلاكِ الوقودِ المستعملِ فيهِ .. وفي هذا التشبيهِ تَوضيحٌ لِحقيقةٍ علميةٍ ، تؤكدُ مُعجزةً عِلميةً قرآنيةً ، وتؤكّدُ صدورَ القرآنِ من خالقِ الوجودِ .. فلم يكن أحدٌ يعرفُ في ذلكَ العَصرِ أنَّ القمرَ يَعكسُ ضوءَ الشمسِ ، وان جسمَ القَمَرِ ليسَ فيهِ ضوءٌ ذاتيٌّ .. ولم يكن أحدٌ يعرفُ أنَّ هناكَ طاقةً ضخمةً من الوقودِ تستهلكُها الشمسُ ، وتتفاعلُ في داخِلِها كمياتٌ هائلةٌ من الغازاتِ ، فَتُمِدُّها بالحرارةِ والضوءِ ، كما يُستَهلكُ الزيتُ في السراجِ ، فَيُعطي الضوءَ والحرارةَ .

فمتى ما انتهى وقودُ السراجِ انطفأ ، كذلكَ الشمسُ ، كما يقررُ القرآنُ ــ وقد اكتشفَ ذلكَ علماءُ الفَلَكِ ــ فانّها متى ما استهلكَتْ وقودَها ، فَستنطَفِئُ ، وتبردُ ، وتتمزّقُ ، وحصولُ ذلكَ من علاماتِ يومِ القيامةِ كما ذكرَ القرآنُ ذلك في آياتٍ عديدةٍ .

وإنَّ نِعمةَ الضوءِ والحرارةِ الصادرةِ من الشمسِ هي مصدرُ الدّفءِ والنورِ .. ولولاها لَعِشنا في ظلامٍ دامسٍ ، وانجمادٍ دائمٍ ، لا يمكنُ معهماالعيشُ على سطحِ هذه الأرضِ .. والقرآنُ عندما يُشيرُ الى ذلكَ ، يريدُ أن يُنبّهَنا الى بعضِ نعمِ اللهِ ، وفضلِهِ علينا .

ثُم تحدّثَ القرآنُ في خَلْقِ الانسانِ ، ونشوئِهِ من ترابِ هذه الأرضِ ، وارتقائِهِ ، وتطوّرِ كيانِهِ ، حتى صارَ انساناً يتكاثرُ عن طريقِ التناسُلِ .

انَّ نشأةَ الانسانِ من ترابِ الأرضِ كما ينشأُ النباتُ ، حقيقةٌ علميةٌ ، فأصلُ الانسانِ كما قرّرَ القرآنُ من ترابٍ ، وانَّ مكوّناتِ جسمِهِ المادّيةَ من عناصرِ هذه الأرضِ المختلفةِ ؛ كالحديدِ والكالسيومِ والكبريتِ ، وغيرِها من الموادِ التي يتناولُها في غذائِهِ من النباتِ ، والنباتُ هو أيضاً قد يُكوّنُ من تراب الأرض ، ثم يحوّلُ جسمُ الانسانِ تلكَ الأغذيةَ النباتيةَ الى دَمٍ ولحمٍ وعظمٍ وشعرٍ وعصاراتٍ هضميةٍ .. الخ .

الله (ص) ضيفاً على الأنصارِ .. وهو لمْ يَحلّ ضيفاً عليهم ، جميعاً ، وانّما حلّ على بعضِهِم .

وهكذا تكونُ الأرضُ مصدراً لِوجودِ الانسانِ ومَصدراً لِنُموّهِ ولإمدادِ جسمِهِ بما يحتاجُهُ، كما ينمو النباتُ و يَتغذّى من الأرضِ. «**ثُمَّ يُعيدُكُمْ فيها وَيُخْرِجُكُمْ إخْراجاً**»..

وفي هذه الآيةِ، وفي الآية التي سبقتْها، يوضّحُ لنا القرآنُ علاقةَ الانسانِ بالأرضِ، وارتباطِهِ بها، فهي مصدرُ نَشأتِهِ ووجودِهِ، واليها يَنتهي مصيرُهُ الماديُّ، ففي الأرضِ يُدفَنُ جِسمُهُ ويَنحَلُّ، و يَتحوّلُ الى عناصرِهِ الأوليةِ، التي تكوّنَ منها.. ثمّ تكتملُ مراحلُ وجودِ الانسانِ باخراجِهِ من الأرضِ، يومَ البَعثِ والحسابِ؛ ليحلَّ في عالَمِ الآخرةِ.

وفي هذهِ الآيةِ والأخرى التي سبقْتها، بَرهنةٌ محسوسةٌ للانسانِ على امكانيّةِ البعثِ والنشورِ، واعادةِ الحياةِ.. فكما خُلِقَ الانسانُ وكُوِّنَ من عناصرِ الأرضِ، وحلّتْ فيهِ الحياةُ والروحُ.. فانَ اعادةَ وجودِهِ مُشابهة لبدايةِ انشائِهِ.. الّا انّ هذه الاعادةَ تكونُ فوريةً، وكما يخرجُ النائمُ من فراشِهِ، ولا يخضعُ لقانونِ التدرّجِ والنموّ، وضّحَ القرآنُ ذلك بقوله:

«**قال من يُحي الْعِظامَ وَهِيَ رَميمٌ ۞ قُلْ يُحييهَا الّذي أنْشَأها أوّلَ مَرّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٍ**».

والآيتان الكريمتان:

«**وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ بِساطاً ۞ لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً**».

توضّحانِ للانسانِ نِعَمَ اللهِ عليه، وتهيئةَ الأرضِ لِعَيشِهِ، واقامَتِهِ، وتَنَقلِّهِ في طُرقِها وشِعابِها، في الوديانِ والجِبالِ.

وهكذا وَضّحَ القرآنُ علاقةَ الانسانِ بالأرضِ، وبيّنَ لَهُ: أنَّ الأرضَ مصدرُ وُجودِ الانسانِ، ومَصدرُ عيشِهِ وغذائِهِ، والوعاء الّذي يحوِيه في حياتِهِ ومماتِهِ، ونجدُ هذا المعنى موضّحاً بقولِهِ تعالى:

« أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ كِفاتاً[٥] * أحياءً وأمْواتاً »

(المرسلات / ٢٥ ــ ٢٦)

كلُّ ذلكَ لِيُدركَ الانسانُ عظمةَ خالِقِه ، الذي خلقَ الترابَ ، وجعلَ منهُ إنساناً حياً ، ينمو ، و يتحرّكُ ، و يتكلّمُ ، و يفكّرُ و يَعملُ بوعيٍ وارادةٍ .

ثم بعدَ أنْ عَرَضَ نوحٌ في مناجاتِهِ لربِّهِ حقيقةَ دعوتِهِ لِقومِهِ ، وحوارِهِ معهم ، في السرِّ والعَلَنِ ، واقامةِ الدليلِ والبرهانِ .. راحَ يشكو عِصيانَهُم لَهُ ، وابتعادَهُم عن دعوةِ الحقِّ ، التي دَعاهُم اليها ، واتّباعَهُم للاغنياءِ والمتنفذينَ العصاةِ من أصحابِ المالِ والأولادِ والقوةِ .. ظانّينَ أنَّ خيرَهُم ونجاتَهُم ، باتّباعِ أولئكَ المُتَنَفّذينَ ، غيرِ مدركينَ أنَّ اولئك المتنفذين لمْ تَزِدْهُم أموالُهُم وأولادُهُم ، إلّا هلاكاً وخَسارةً .. بعد أن قادتهُم لِلضَلالِ والغرورِ والفسادِ ، والتكبّرِ على اللهِ سبحانَهُ .

فحكى لنا القرآنُ قولَهُ :

« وقالَ نوحٌ ربِّ إنَّهم عَصَوْني واتَّبَعوا مَنْ لَمْ يَزِدهُ مالُهُ وولَدُهُ الّا خَساراً » ..

ولقد مكرَ رؤساؤُهُم وقادتُهُمُ ، الذينَ اتّبعوهُم ، مَكراً عظيماً : « ومكروا مكراً كباراً »[١] بأنْ رَفَعوا شعاراً ، لِيَخدَعوا بهِ أتباعَهُم ، وَيُضَلِّلوهم ، فَدَعوهُم لِحمايةِ ديانَتِهِمُ الوثنيةِ ، والدفاعِ عن أصنامِهِم .

« وَقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يغُوثَ و يَعُوقَ ونَسْراً » ..

فَخَصَّصوا بالذكرِ أصنامَهُمُ الخمسةَ ، من دونِ بقيةِ الاصنامِ لِمقامِها العظيمِ عندَهم ؛ ولِيُحرِّكوا مَشاعِرَ الجُهّالِ ، ويُحرِّضوهُم ضدَّ نوحٍ (ع) .

« وقد أضَلُّوا كَثِيراً ولا تَزِدِ ٱلظّالِمينَ إلّا ضَلالاً » ..

---

(٥) كِفاتاً : الكفت ؛ الضمُّ والجمع أي تضُمُّ الناسَ وتَجمعُهُمْ على ظهرها أحياءً ، وفي بطنها امواتاً .

(١) يقولُ بعضُ المفسّرينَ أنَّ معنى (المَكرِ) الواردِ في هذهِ الآيةِ ، هوتدبيرُ مؤامرةٍ لقتلِ نوحٍ (ع) ، للتخلصِ من دعوةِ الحقِّ ، والابقاءِ على ديانَتِهِمُ الوثنيةِ .

انّ هؤلاء الرؤساءَ الذينَ آتّبَعَهُم قَومُهُم ، أصحاب المَكرِ والاحتيالِ ، أضلّوا الناسَ ضَلالاً كثيراً ، فكانوا ضالّينَ ، ظالِمينَ لانفسِهِم وللناسِ ، بالانحرافِ عَنِ الحقِّ ودعوةِ الهُدى .. لذا دعا نوحٌ ربَّهُ أن يُجازي هؤلاءِ الضّالّينَ الظالمينَ بِظُلمِهِم ، فَيَزيدهم ضلالاً وهلاكاً ؛ لأنَّهُم اختاروا الضلالَ ، وأصرّوا عليهِ ورَفَضُوا الحقَّ والهُدى الذي عُرِضَ عليهِم بكلِّ وسيلةٍ مِن وسائلِ الدعوةِ والارشادِ .

وبعدَ أنْ عَرضَ القرآنُ علينا حوارَ نوحٍ مع قومِهِ ومناجاتَهُ ربَّه .. حَدَّثَنا عن النتيجةِ التي انتهى اليها المُكذّبونَ من قوم نوحٍ ، وهي الغَرَقُ والدّمارُ في الدنيا ، والعذابُ في الآخرةِ .. فَبِسببِ خطيئاتِهِم أغرَقَهُمُ اللهُ وأدخلهم النّارَ .. لذا قال تعالى :

« مِمّا خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً » ..

وحينَ نزلَ العذابُ بِهِم ، لم يجدوا مَنْ ينصرُهُم ، ويحولُ بينَهُم وبينَ غَضَبِ اللهِ ، ويَدفعُ عنهُمُ العذابَ ، فان أمرَ اللهِ لا يُرَدُّ ، ولا يُقاوَمُ ، فلا أصنامُهُم تدفعُ عنهُمُ العذابَ ، ولا رؤساؤُهُمُ الذينَ آتّبعوهُم : **« فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِنْ دُونِ اللهِ أنْصاراً » ..**

وحينَ يَئِسَ نوحٌ (ع) من قومِهِ ، دعا اللهَ عليهِم بِالهَلاكِ والدّمارِ ، وأنْ يقضي عليهم جميعاً ، فلا يتركُ أحداً منهم يَسكنُ في تلكَ الديارِ ؛ لِئلا ينتَقِل الى الأجيالِ القادمةِ جُرثومةَ الكفرِ والفسادِ ، فانّهم ما رَبّوا أبناءَهُم الّا على الكفرِ والضلالِ ، ولَنْ يَلِدوا جيلاً مؤمناً أبداً .. فكانَ عِلاجُ هذا الانحرافِ الجَماعي ، هو الاهلاكُ وتطهيرُ الأرضِ .. لِيُفسَحَ المجالُ أمامَ أمّةٍ جديدةٍ تكونُ بديلاً لهم .. لذا كان دعاءُ نوحٍ (ع) كما حكاهُ لنا القرآنُ :

« وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرينَ دَيّاراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلّا فاجِراً كَفّاراً » ..

ثم خَتَمَ نوحٌ (ع) خطابَهُ ومناجاتَهُ بالدعاءِ لَهُ ولِوالِدَيهِ ولأصحابِهِ الصالحينَ ، الذين انضَمّوا الى الجماعةِ المؤمنةِ ، واجتمعوا حولَهُ ، ولِكُلِّ مَنْ آمنَ باللهِ ، وسارَ على نهجِ الأنبياءِ الى يومِ القيامةِ ، في الوقتِ الذي دعا فيهِ على الظالِمينَ بالهلاكِ والخسرانِ .

« ربِّ اغفِرْ لي ولِوالديَ ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤمِناً وللمُؤمنينَ وَالمؤمِناتِ ولا

تَزِدِ الظّالِمينَ الاّ تَباراً» ..

وهكذا حَدّثَنا القرآنُ عن مرحلةٍ من مراحلِ حياةِ الانبياءِ وجِهادِهِم وكفاحِهِم ضدَّ الطغاةِ .. وهي المرحلة التي تمثلّتْ بجهادِ نوحٍ (ع) وصبرِهِ الطويلِ .

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٥

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ	: قلْ يامحمدُ أوحىٰ اللهُ إليَّ .
استَمَعَ نفرٌ (١) مِنَ الجنِّ	: استمعَتْ جماعةٌ مِنَ الجنِّ الىٰ القرآنِ .
قُرآناً عَجَباً	: قرآناً يَدعو الىٰ العَجَبِ ، لإعجازِهِ ، وعدمِ وجودِ مثيلٍ لهُ في كلامِ المخلوقينَ .
يَهدِي إلى الرُّشْدِ	: يوصلُ الىٰ الحقِّ والصوابِ .
فآمَنَّا بِهِ	: آمنّا بالقرآنِ ، وصَدّقنا بما جاءَ بهِ .
تعالَى جَدُّ ربِّنَا مَا اتَّخذَ صَاحبَةً ولا ولَداً	: جَدُّ ربِّنا : عظمةُ ربّنا ، وسلطانُهُ ، وغناهُ . والصاحبةُ : الزوجةُ .. والمعنىٰ : تعالى سلطان ربّنا ، وعَظُمَ مقامُهُ ، وتنزّهَ عمّا يُنسبُ اليه من الباطلِ ، تنزّهَ عن أن يتّخذَ صاحبةً أو وَلداً .
سفيهُنَا	: السَّفهُ : خفةُ النفسِ لِنُقصانِ العقلِ ، ومعنىٰ سفيهُنا : الجاهلُ مِنّا ، غيرُ مُتّزِنِ القَولِ .
شَطَطاً	: الشَّطَطُ : الابتعادُ عَنِ الحقِّ ، والمعنىٰ كان سُفهاؤنا يقولونَ الكذبَ علىٰ اللهِ .
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَن تقولَ الانسُ والجنُّ على اللهِ كذباً	: كنا نعتقدُ بصدقِ الناسِ والجنِ ، الذينَ يقولونَ بأنَّ للهِ شريكاً وولداً وزوجةً ، حتىٰ سمعنا القرآنَ ، فعَرَفنا أنَّ ذلكَ القولَ باطلٌ ، وأنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عنه .

(١) النفر : الجماعةُ المكوّنةُ مِن ثلاثةٍ الى تسعةٍ .

كانَ رجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ برجالٍ مِنَ الجِنِّ	: يَعوذونَ : يَلجأونَ اليهم و يَستجيرونَ بهم ، لاعتقادِهم بِأنهم يَحمونَهُم من الشرِّ و يَقونَهُم مِنَ الأذى .
فزادُوهُم رهقاً	: رَهِقَهُ الأمرُ : غَشِيَهُ مكروهٌ بِقَهرٍ ، والمعنى : زادوهُم ذِلَّةً وضعفاً وخوفاً .
لَمَسنا السَّماء	: اقتربنا منها بالصعود اليها
حَرساً	: قُوًى مانعةً ، أو حَفَظَةً (ملائكة) .
شُهُباً	: شُعَلاً ساطعةً من النارِ .
شِهاباً رصداً	: الرَّصَدُ : المُراقِبُ ، والمعنى : أنَّ الجِنَّ وَجَدَتْ شُهُباً ، تَرقُبُ تَحرُّكَهُم ، لِتُصيبَهُم ، إن هم حاولوا الاستماعَ ، ولتمنَعَهُم منه .
طرائِقَ قِدَداً	: فِرقاً مُختلفةَ المذاهبِ والأهواء ، فمنّا المسلمُ والكافرُ ، والصالحُ ، ومَنْ هو دونَ الصالِحينَ .
وأنَّا ظَنَنَّا	: صَدَّقْنا ، واعتَقَدْنا .
لَنْ نُعجزَ اللهَ في الأرْضِ	: لن نفوتَهُ ، اذا أرادَ أن يَفعلَ بِنا شيئاً في الأرضِ .
وَلَنْ نُعجِزَهُ هَرباً	: لا يُمكنُ الهروبُ منهُ ، فهو يُدرِكُنا أينما كُنّا .
وَأنّا لَمّا سَمِعْنَا الهُدَى	: وانّا لَمّا سَمِعنا القرآنَ .
لا يَخافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً	: لا يخافُ نُقصاناً مِما يَستحِقُّ مِنَ الثوابِ ، أي لا يُظلَمُ ، ولا يَغشاهُ مَكروهٌ أو عذابٌ .
أنّا مِنّا المُسلمُونَ	: إنّا مِنّا مَن خَضَعَ لأمرِ اللهِ واَطاعَهُ (١) .
ومنّا	: ومِنّا المائلُ عنِ الحقِّ الى الباطِلِ ، والتارك لطاعةِ اللّهِ ، غيرُ خاضِعٍ لأمرِهِ .
تحرَّوا رشَداً	: قَصَدُوا الحَقَّ والصوابَ .

(١) وليسَ المقصودُ باسلامِ الجِنِّ هو الايمانُ بدينِ الاسلام ، بلِ الخضوعُ والاستسلامُ لأمرِ اللهِ .

تعريف :

في هذهِ السورةِ المباركةِ «**سورة الجِن**» .. تحدَّث القرآنُ عن عالَمٍ مجهولٍ لَدينا في طبيعتِهِ وصفاتِهِ ، وهو عالم الجن .

والجن : نوع من المخلوقات ، لها خصائص وصفات ، تختلف عن خصائص وصفات البشر ، وهم من المخلوقات التي لا تدركها حواس الانسان .

إنَّ العالَمَ الذي يُحيطُ بنا ، هو عالَمٌ مليءٌ بأنواعِ المخلوقاتِ ، الماديةِ وغيرِ الماديةِ ، ولم يُدرِكِ الانسانُ بعلمِهِ مِن هذا العالَمِ ، الاّ الشيءَ القليلَ .. ومِنَ الخطاءِ أن يَتصوّرَ الانسانُ أنّ ليس في الوجودِ مِن حقائقَ ، وعوالِمَ ، الاّ ما يُدركُهُ هو.

والقرآنُ يُخبرُنا في هذه السورةِ عن اسرارِ تلك المخلوقاتِ الخفيّةِ علينا ، والمحيطةِ بِنا ..

فالقرآنُ يُخبرُنا عن عالَمِ الجِنِّ ، وأنَّهُ عالَمٌ قريبٌ من عالَمِ الانسانِ الموجودِ ، وانهم يُدركونَ كلامَ البشرِ ، و يُميّزونَ الكلامَ المُعجِزَ البليغَ عن غيرِهِ ، و يَعرفونَ قيمةَ ما يَحوي من عقائدَ وأفكارٍ وقِيَمٍ .. وأنهم يتحرّكونَ بِحُرّيةٍ في عالَمِ الانسانِ والملائكةِ ، وأنهم يُدركونَ ما يَحدثُ في الأرضِ ، وفي العوالِمِ القريبةِ منها .. وأنهم خُلِقوا في هذا الوجودِ قبلَ خلقِ الانسانِ ، ولهم شعورٌ روحيٌّ ، وارادةٌ ، وادراكٌ ، وقدرةٌ على القيامِ بأعمالٍ مختلفةٍ ، تفوقُ قدرةَ الانسانِ .. وهُم أممٌ ، وذكورٌ ، وأناثٌ ، ومنهُمُ المؤمنُ ، والفاسقُ ، والكافرُ ، وهُم يعيشونَ ، ويموتونَ ، و يُبعثونَ يومَ القيامةِ ، و يُحاسبَونَ ، ويُسألونَ ، كما يُحاسَبُ الناسُ يومَ القيامةِ .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١٥

وفي هذهِ السورةِ تحدّثَ القرآنُ عن قصةِ جماعةٍ من الجِنِّ ، استمَعُوا الى النبيِّ الكريمِ

محمدٍ (ص) وهو يقرأُ القرآنَ في صلاةِ الفجرِ، فَآثارَ اعجابَهُم، واستولى على نفوسِهم بما فيهِ من هِدايةٍ واعجازٍ، فآمنوا بهِ، وصدّقوا بما جاءَ بهِ من توحيدٍ وهدايةٍ..

فأوحىٰ اللهُ سبحانَهُ الى نبيهِ (ص) بِهذهِ الحادثةِ، وأمَرَه أن يُخبِرَ قومَهُ باستماعِ جماعةٍ مِنَ الجِنِّ الى القرآنِ، وتصديقِهم بهِ؛ لِيَعرفَ المسلمونَ عظمةَ هذا القرآنِ، ويَطَّلِعوا على جانبٍ ممّا يَجري في عوالِمِ الجِنِّ، فقالَ له:

«قُلْ أُوحيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ ...»، أولئكَ النفرُ الذينَ نَقَلوا الى قومِهم مِنَ الجِنِّ ما سَمِعوا من هذا القرآنِ، فَحدّثوهُم بهِ، ثمَّ أخبرَ اللهُ سبحانَهُ في عددٍ من الآياتِ ما قالَهُ الجنُّ.. لقد نقلَ للنبيِّ (ص) قولَ الجِنِّ، واعجابَهُم بالقرآنِ ودعوتِهِ، فقالَ حاكياً قولَهُم:

«فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرآناً عَجَباً * يَهْدي إِلَى ٱلرُّشْدِ فآمنّا بِهِ ولَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً»..

لقد أدرَكَتِ الجِنُّ أنَّ هذا القرآنَ آياتٌ معجزةٌ، لم تَسمَع لهُ مثيلاً من قبلُ، لذلك أثارَ اعجابَهُم بِما فيه من البَلاغةِ، ومنهجِ الهدايةِ الذي يوصلُ المؤمنينَ بهِ الى الصوابِ، و يوضّحُ لهم حقائقَ الامورِ، فاستَدَلّوا بهذا الوحي على وحدانيةِ اللهِ، وعظمةِ قُدرتِهِ، وعُلوِّ مقامِهِ، وتَنَزّهِهِ عن الشريكِ، فآمنوا بذلكَ كلِّهِ وصَدّقوهُ، فقالوا: **«وَأَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبِّنا مَا ٱتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً»**..

ثم ذكرَ جانباً آخرَ مِن اعترافِ الجِنِّ بوحدانيةِ اللهِ، واستنكارِهِم لقولِ الضَّلالِ والباطلِ، والشركِ باللهِ، الذي يقولُهُ السّفهاءُ منهم، الذينَ لم يُدرِكُوا الحَقَّ، ولم يَكتشِفوا الحقيقةَ لِتفاهةِ فَهمِهم، وَضَعفِ إدراكِهم، فَحكى عنهم ذلك بقولِهِ: **«وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا [1] عَلَى ٱللهِ شَطَطاً»**..

وسجّلَ القرآنُ بعدَ ذلكَ اعترافَ هؤلاءِ الجِنِّ بأنّهم كانوا يُقلّدونَ غيرَهُم، و يَعتقدونَ بِصدقِ ما يقولُهُ الضالون والسفهاءُ من الجِنِّ والإنسِ، إنّ لِلهِ شَريكاً وَوَلداً

---

(١) يقول بعضُ المفسّرينَ انّ المقصودَ بقولهم: «يقولُ سَفيهُنا» هو ابليسُ، الذي كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ.

وصاحبةً .

جاءَ هذا المعنى في قولِ الجنِّ الذي ذكرَهُ القرآنُ بقولِهِ : « **وأنّا ظَنَنّا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنسُ والجِنُّ علىٰ اللهِ كَذِباً** » ..

وبعدَ أنِ استمَعوا الى القرآنِ ، صَحَّحُوا اعتقادَهُم ، وغَيّروا فَهمَهُم ، فآمنَوا ، وعَرَفوا أنَّ هذا الاعتقادَ باطلٌ ، وضَلالٌ ، وكَذِبٌ على اللهِ .

وتكشفُ هذه الآيةُ عن حقيقةٍ علميَّةٍ وهي أنَّ التقليدَ الأعمى ، واتباعَ الآخرينَ مِن غيرِ تَفكيرٍ ، أو بحثٍ عن الحقيقةِ ، هو الذي ضَلَّلَ الجنَّ والإنسَ ، وقادَهُم الى الكُفرِ والانحرافِ .. فعلى الانسانِ أن يبحثَ عنِ الحقيقةِ .. و يُقيمُ ايمانَهُ على بُرهانٍ و يقينٍ .

ثم بيّنَ لَنا القرآنُ بعدَ ذلك جانِباً من الفكرِ والعقيدةِ الجاهليةِ المتخلِّفةِ (عندَ العربِ) ؛ لِنعرِفَ كيف أنقذَ الاسلامُ البشريةَ مِنَ الجهلِ والخُرافةِ ، والعقائدِ الباليةِ ، فحكى لنا هذه الحقيقةَ بقولِهِ :

« **وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجنِّ فَزادُوهُم رَهَقاً** » ..

قالَ بعضُ المفسرينَ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ : إنَّ الرَّجلَ من العربِ كانَ اذا نزلَ الوادي في سفرِهِ ليلاً ، قالَ أعوذُ بعزيزِ هذا الوادي مِن شرِّ سُفَهاءِ قومِهِ ..

وإنَّ أولَ مَن تَعوّذَ بالجنِّ قومٌ مِنَ اليَمنِ ، ثم بَنو حنيفةَ ، ثمّ فَشا في العربِ [1] .

لقد كانوا يَعتقدونَ : أن أكابرَ الجنِّ يحمونَهُم مِن شَرِّ سفهاءِ الجنِّ ، فَيَتعوّذونَ بهم ، و يَستجيرونَ ؛ لِدفعِ الخوفِ والشرِّ عنهم ، فكانت نتيجةُ ذلك أنْ زادوهم خوفاً وذِلّةً ، ولم يَجلِبوا لهُمُ الأمنَ والطمأنينةَ .

وفي الآيةِ الكريمةِ :

« **وَأنَّهُمْ ظنّوا كَما ظَنَنْتُم أن لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أحَداً** » ..

يكشفُ لَنا : القرآنُ أن أولئكَ النفرَ ، الذينَ آمَنوا مِنَ الجنِّ ، قالوا لقومِهِم : (**أنّهم ظنُّوا**) أي الإنس اعتقدوا : أنَّ اللهَ لم يبعثْ أحَداً رسولاً ، كما اعتقدَ الجنُّ أيضاً .

---

(١) الطبرسي / مجمع البيان ، عن مجاهد وقتادة ومقاتل .

وفي الآيتين الكريمتين :

« وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً »..

كشف لنا القرآنُ عمّا شاهدَهُ الجنُّ من احداثٍ غريبةٍ في عالَمٍ لم يكنْ موجوداً من قبلِ نزولِ القرآنِ على النبيِّ الكريمِ محمدٍ (ص) ، وانهم كانوا يستمعونَ الى كلامِ الملائكةِ من مواقعَ معينةٍ ، أمّا الآنَ فَمَن يحاولُ أن يستمعَ ، فانّ هناك شهباً ، تَترقّبُهُ ويُرمى بها إنْ هُوَ حاولَ الاستماعَ .. إنَّ هذه الظاهرةَ أثارَتِ استغرابَ الجنِّ ، وأشعرَتهُم بأنَّ هناك حَدَثاً عظيماً ، يَتعلّقُ بأهلِ الأرضِ ، ولا يعرفونَ تفسيراً له : لا يَدرونَ هل سيعودُ بالشَّرِ على أهلِ الأرضِ ، أم أنَّ اللهَ سبحانَهُ ، قد أحدثَ لهم خيراً ، ومصلحةً ، وهدايةً ؛ لِذلك قالوا :

« وَأَنَّا لا نَدري أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُم رَشَداً »..

ويَنبغي أن يُلاحظَ في هذه الآية : انّها نَسَبَت فعلَ الرُّشدِ بأهلِ الأرضِ للهِ سبحانَهُ ، ولَمْ تَنسبْ لهُ فعلَ الشرِّ ، بل أوردَتْهُ مجهولاً فاعلُهُ ، لِتنزيهِ اللهِ عنِ الشرِ والظلمِ ..

لقد فَسَّرتِ الجنُّ وجودَ الشهبِ المُترصّدةِ لهم ، والحرسِ الشديدِ من الملائكةِ بأحدِ أمرينِ :

أمّا إنزالُ العذابِ على أهلِ الأرضِ ، أو إرسالُ نَبيٍّ يَهدي الى الرشدِ .. فانَّ مثلَ هذهِ الاشياءِ التي شاهَدوها لا تكون إلّا لِحدوثِ احدى هاتَينِ الحالَتينِ .

ثم تحدّثتِ الجنُّ عَن وضعِها وطبائعِها ، فأوضحوا أنَّهم أصنافٌ ، وفِرقٌ ، ودَرجاتٌ ، فَمنهُم مَنْ يَحملُ طبيعةً صالحةً ، ومنهم مَنْ هو دونَ ذلك ، فقدْ كانوا قبلَ سَماعِ القرآنِ ، والاهتداءِ بهِ ، مُتفرّقينَ ، مُتشتّتينَ في الغايةِ والاتجاهِ ، لذلك قالوا :

« وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً »..

ثمّ حَكَتِ الجنُّ اعتِقادَها بِقُدرةِ اللهِ سبحانَهُ ، وأنَّهُ القادرُ على تنفيذِ أمرِهِ فيهم ، إذا

أرادَ شيئاً ، ولا شيءَ يَمنعُ ارادتَهُ ، وليسَ بالامكانِ الهربُ ، أو التخلّصُ ، مِما يريدُ ، فقالُوا :

« وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَنْ نُعجِزَهُ هَرَباً » .

ثُمّ تحدّثتِ الجنُّ بعدَ ذلكَ عن مُبادَرَتِها للايمانِ بالهُدى ، أي بالقرآنِ ، مِن دونِ تأخرٍ ، بعدَ أن ٱستَمَعوا اليهِ . ثم أوضحوا حقيقةً أساسيةً في الايمانِ ، وهي أنَّ مَن يؤمنُ بربِّهِ ، لن يَلحقَهُ ظلمٌ ، ولن يضيعَ من حقِّهِ شيءٌ ، جاءَ ذلك بقولهم :

« وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً » ..

واستمر هؤلاءِ النفرُ مِنَ الجنِّ يتحدّثونَ عن اتجاهاتِ الجنِّ المختلفةِ ، وفرَقِهِم المتعددةِ ، فبعضُهُم مَن ٱستسلمَ لأمرِ اللهِ ، وخضعَ لَهُ ، ومِنهم مَن ٱنحرَفَ عن طريقِ الحقِّ ، وتَمرَّدَ على ارادةِ اللهِ .. وإنَّ أولئكَ المتحدّثينَ مِنَ الجنِّ يُدركونَ : أن مَنْ خَضَعَ لأمرِ اللهِ فقدْ أصابَهُ الحقُّ وكانَ على صوابٍ .. أما أولئكَ المُنحرفونَ عن جادةِ الايمانِ فَهُم على ضَلالٍ وباطلٍ ، وهم حطبُ جَهنّمَ .

لِذلكَ قالوا : « وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوا رَشَداً » ..

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى

لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

شرح المفردات

من الآية ١٦ الى الآية ٢٨

أن لو استقامُوا على الطريقَةِ : اَنْ لَوِ ٱلتزموا بطريقةِ الهدىٰ والايمانِ ، ولمْ يَنحرِفوا عنها .

ماءً غدَقاً : ماءً كثيراً ، والمعنىٰ لَانزلنا عليهِمُ المَطَرَ ؛ ليَكثُرَ خيرُهُم ، و يتسعَ عيشُهُم .

يسلكْهُ : يُدخِلْهُ .

عذاباً صعداً : عذاباً شاقاً ، شديداً ، يَغلِبُ المُعَذَّبَ ، و يرهقُهُ .

لِنَفتِنَهُمْ فيه : لِنَختَبِرَهم بعطاءِ الخيرِ ، أيَشكرونَ أم يكفرونَ .

وَأَنَّ المساجدَ للهِ : ان الاعضاءَ التي يَسجُدُ بِها ، وهي : الجبهةُ ، والكَفانِ ،

والركبتانِ ، وأصابعُ الرجلَينِ ، هي للّهِ .

فَلا تَدعُوا مَعَ اللهِ أحَداً : فلا تَعبُدْ غيرَ اللّهِ ، ولا تسجدْ لِغَيرِهِ .

وَلَما قَامَ عبدُ اللهِ يدعُوهُ : ولما قامَ النبيُّ محمدٌ (ص) ، يقولُ : لا إلٰهَ إلاّ اللهُ ، و يدعو الناسَ لعبادةِ اللهِ ، و يقرأُ القرآنَ

لِبَداً : يَعني الشجاعةَ المتجمعةَ ، المتراكمةَ ، من النّاسِ .

كَادُوا يَكُونُونَ عَليهِ لبَداً : كادَ المشركونَ حينَ يدعو الرسولُ الىٰ اللّهِ ، أو يُصلّي أو يَقرأُ القرآنَ ، مِن شدةِ تراكُمِهم واجتماعِهم عليهِ أن يكونوا كقطعةٍ بشريّةٍ واحدةٍ ، للاستهزاءِ بِهِ ، والتشويشِ عليهِ .

ادعُوا رَبّي : أعبُدُ ربّي .

لا أمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَداً : قل يامحمدُ انّي لا أستطيعُ أنْ أدفعَ عنكُمُ الضّررَ ، أو أجلبَ لكمُ الخيرَ ، وإنّما القادرُ علىٰ ذلكَ ، هوَ اللّهُ

قُلْ إنّي لَن يُجِيرَني مِنَ اللهِ أحدٌ : قل يامحمّد : لا أحد يستطيع أن يمنع عنّي و يدفع ماقدّره الله عَليَّ

ملتحداً : مَلجأ ومَأوى يَحميني .

إلاّ بَلاغاً مِنَ اللهِ ورسولِهِ : الاّ أنْ أُبلّغَ عَنِ اللّهِ .

حَتّى إذَا رَأوا مَايُوعَدُونَ : عندما يَرونَ ما وَعَدَهُم اللّهُ من العذابِ في عالَمِ الآخرةِ .

إنْ أدْري : لستُ أعلمُ .

أمَداً : مهلةً وزماناً بعيداً .

لا يُظْهِرُ على غَيبِهِ أحداً : لا يُطْلِعُ أحداً علىٰ الغيبِ .

إلاّ مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ : الاّ مَنِ اختارَهُ لِلنبوّةِ والرسالةِ فانهُ يُطلِعُهُ علىٰ الغيبِ ، لِتأييدِهِ بالمعجزةِ وتصديقِ نُبوّتِهِ ، فاللّهُ يُطلِعُهُ علىٰ ما يشاءُ من المصلحةِ وما يتعلّقُ بِشؤونِ رسالتِهِ .

يَسْلُكُ : يَجعلُ

مِن بَيْنِ يَدَيْهِ : بين الرسولِ و بَينَ النّاسِ الذينَ يُبَلِّغُهُم .

وَمِنْ خَلْفِهِ : بين الرسولِ و بينَ مصدرِ الوَحي ، وهوَ اللّهُ سبحانَهُ .

رَصَداً : الرَّصَدُ ، المراقبُ والحارسُ .

أَحَاطَ بِما لَدَيْهِمْ : عَلِمَ اللهُ بما لدى الأنبياء والخلائقِ ، ولا يعلمونَ بما عندَهُ مِن علمٍ الاّ ما علّمَهُ لهُم .

وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيءٍ عدداً : عَلِمَ عددَ كُلِّ شَيءٍ مِنَ المخلوقاتِ .

المعنى العام

للآية ١٦ الى الآية ٢٨

أما الآيةُ الكريمةُ :

« وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا[1] عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ » ..

فهيَ مِن قولِ اللهِ عزّوجلَّ وخطابِهِ لِنَبيّهِ ، وليستْ مِن مَقالةِ الجِنِّ التي حَكاها القرآنُ للرسولِ الكريمِ (ص) ، فهي بيانٌ مِنَ اللهِ سبحانَهُ ، لِما هوَ موجودٌ مِن علاقةٍ بينَ التسليمِ لأمرِ اللهِ ، والالتزامِ بِهِ ، وبينَ الوضعِ المَعاشي ، وإفاضَةِ الخَيرِ والبَرَكاتِ في حياةِ الجِنِّ والإنسِ .

ثم أوضح الله سبحانه بقوله :

« لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً * وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً » ..

أنّه يختبرُ عباده بِما يُنعم عليهم مِن خيرٍ وبركة ؛ ليُعرَفَ الشّاكر للنّعم ، والكافر بها ..

وانّ من يكفر بِرَبّه و يُعرض عن ذكره ، فانّ مصيرَهُ العذابُ المُرهق الشديد ، ثُمّ يَدعو الإنسانَ الى عِبادَةِ اللهِ والسّجودِ له وَحدَهُ ؛ ذلك لأنَّ اللهَ خالِقُ أعضاءِ

---

(١) وقيلَ إن المقصودَ بهذهِ الآية هم مشركو مكة ، فلو أنهم آمنوا والتزموا بمنهج الايمانِ ؛ لفتحَ اللهُ عليهمُ الخيرَ والبركاتِ ، ولَسقاهُمُ المطر الغزير ، بعدما أصابَهم مِن قحطٍ وجفاف وليَختبِرَهم بذلك .

السجودِ .. فلا يَستحقُ غيرُه السجودَ عليها ..

« وأنَّه لَمّا قامَ عبدُ اللهِ يَدعوهُ كادوا يَكونون عَليه لِبَداً » ..

ويتحدث القرآنُ لنا في هذه الآيةِ عن مَوقفِ الرسول (ص) مَع قُريش .. فعبدُ الله هو النبيُّ ، الذي قام يدعو قريشاً الى الاسلام وتوحيد الله ، فتجمّعوا ، وازدحموا عليه ، لِيَردُّوه عن دعوته ، وهم يقولون له : لقد جئت بِدَعوة غَريبة على ديننا ، وعباداتنا ، لم نَسمع بها من قبلُ ، فاترك دعوتك . وادخل في ديننا ..

فثَبت الرسول على الحقِّ ، ونَصره الله ، وأمرَه أن يقولَ لهم : إنّي أدعو الى عبادة رَبّي وَحدَه ، لا أشركُ به أحداً .

« قُلْ إنّي لا أملِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَداً » ..

قُل لهم يامُحمدُ (ص) انّ الأمرَ كُلَّه لله ، وأنا عبدٌ من عبادِه لا أستطيعُ أن أضرّكُم أو انفعَكُم .. غيرأنّي رَسولٌ مُبلّغٌ أهديكم بِرسالةِ الله .

و يا مُحمّدُ (ص) : **« قل إنّي لَنْ يُجيرَني مِنَ اللهِ أحَدٌ ولن أجِدَ مِن دونه مُلتَحداً » ..**

قل لهم يا مُحمّد (ص) : لا يَستطيعُ أحدٌ من الناس أن يَدفعَ عنّي ما قدّرَه عَليَّ ، وليس لي ملجأ الجأ اليه ويجنّبني غيرالله سبحانه .

« الا بَلاغاً من اللهِ ورسالاتِه ومَن يَعْصِ اللهَ ورسولَه فانَّ لَهُ نارَ جهنّمَ خالِدينَ فيها أبداً » ..

واني لا أملِكُ لكم شيئاً غيرتبليغ رسالة ربّي .. ودعوتكم الى الهدى مُستعيناً بِتَوفيقه وعَونه .. ومن يَعصِ الله و يرفض هذه الدعوة فانّ مَصيرَه الى النارِ والعَذاب الأبدي .

« حَتّى إذا رَأوا ما يُعدون فَسَيعلمونَ من أضعفُ ناصِراً وأقلُّ عدداً » ..

لقد كان الكافرون مَغرورين بِكَثرةِ عَدَدِهم وقُوّتِهم .. يَستهينون بالمسلمين لِقِلّتهم فَيَهزؤون بهم .. لذلك فانّ الله سُبْحانه يُوضّحُ لِلمَغرورين الضّالين انّ كَثرتَهم وقُوّتَهم لن تَنفعَهم .. وسَيرون ذلك يوم القيامة عندما يُحيط بهم العذاب ، ولا يَستطِعون الخُروج منه ، فَيَعرِفون أنّ القوةَ لله .. وأنّ صاحب الباطل ضَعيفٌ يَوم القيامة لا

يستطيع الدّفاع عن نفسه .

« قُلْ إنْ أدري أقريبٌ ما تُوعدون أمْ يَجعل له رَبّي أمداً * عالِمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غَيبه أحداً إلاّ من إرتضى مِنْ رسولٍ فانَّهُ يَسلُك من بين يَديهِ ومِن خَلفِه رَصَداً * لِيَعلمَ أن قد أبلَغوا رِسالاتِ ربّهم وَأَحَاط بما لَدَيْهِمْ وأحْصى كُلَّ شَيْءٍ عدداً » ..

قل لهم يا محمد (ص) : انّي لا أعلمُ متى سيقعُ يومُ القيامَة ، لا أدري أقريبٌ هو، أم مُؤخر الى أمَدٍ بعيد . فإنّه وَحدَه هو عالِمُ الغَيبِ ، الذي يعلمُ مَتى سَيقعُ يَومُ القيامة والجَزاء ، فلا يُظْهِرُ عِلمَ الغَيبِ لأحدٍ من خَلقِه إلاّ لِرُسُلِه الذين اختارَهم لِتَبليغ رسالاتِه ، فانّه يُطلِعُهم على ما تحتاجُه رِسالاتُهم من عِلم الغَيب ، لِيكونَ مُعجِزَةً لهم ..

وأنّه يجعَل ملائكة لِمُراقبةِ تبليغ الرّسالات من قِبَلِ الرُّسلِ .. وهو عالِمٌ بتبليغِهم ، لا يَخفى عليه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض .

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٤

المزَّمِّلُ	: المُتلفِّفُ بثيابِهِ للنوم .
قُمِ اللَّيلَ إلاّ قليلاً	: صلِّ باللَّيلِ إلاّ قليلاً منه .
نِصفَهُ	: صلِّ النصفَ مِنَ اللَّيلِ .

أوْ آنقُصْ مِنهُ	: أو صَلَّ أقَلَّ مِنْ نِصفِ اللّيلِ .
أوْ زِدْ عَليهِ	: أو صَلَّ أكثرَ مِنَ النصفِ .
رَتِّلِ القُرآنَ تَرتيلاً	: بَيِّنْهُ بَياناً .
إنّا سنلقِي عَليْكَ قَولاً ثَقيلاً	: إنّا سنوحي إليكَ الرسالةَ .. وَسَمّاها قولاً ثقيلاً ؛ لأنَّ تبليغَها والعملَ بها يحتاجُ الىٰ صبرٍ وثباتٍ .
ناشئةَ اللّيلِ (١)	: هي النفسُ الناهضةُ مِنْ مَضجعِها في اللّيلِ للعبادةِ ، وقيلَ هي الصلاةُ في اللّيلِ .
أشَدُّ وطأ	: أثبتُ قدماً .
أقْوَمُ قِيلاً	: أصْوبُ قولاً .
إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبْحاً طويلاً	: ومعنىٰ الآية : «إنَّ ناشِئةَ اللّيلِ هيَ أشدُّ وطأً وأقومُ قيلاً» أنَّ الصلاةَ في اللّيلِ تجعلُ المُصلّيَ أثبَتَ قَدَماً علىٰ طريقِ الايمانِ ، وأصوبَ قولاً أي أقدرَ علىٰ الثباتِ والاستقامةِ في القولِ والعملِ . إنَّ لكَ في النَّهارِ انشغالاتٍ واسعةً للسَعي في الأرضِ والبحثِ عن المعاشِ ... الخ تشغلُكَ عن التفرّغِ للعبادة .. فعليكَ باللّيلِ تفرّغٌ فيهِ للعبادةِ .
وَآذكُرِ آسْمَ رَبِّكَ	: أذكرْهُ بالتسبيحِ والاستغفارِ والصلاةِ والدعاءِ . ودوامِ حضورِ عظمتِهِ ، وحبِّهِ في نفسِكَ .
وتبتَّلْ إلَيْهِ تَبْتيلاً	: وَارفعْ يديْكَ الىٰ اللّهِ بالدّعاءِ والتضرّعِ وحدَهُ . وقيل انَّ المعنىٰ : إنقطاعٌ الىٰ اللّهِ بالعبادةِ .
اتّخِذهُ وَكيلاً	: اعتمدْ عليهِ وحدَهُ .. فهويَكفيكَ .
وَاصْبِرْ عَلَىٰ ما يَقولونَ	: اصبرْ علىٰ تكذيبِ المشركينَ وتَشكيكِهم بِنُبوّتكَ ودعوتكَ .
اهجُرهمْ هَجراً جَميلاً	: اتركهُم معَ معاملتِهم باللينِ وحُسنِ الخُلُقِ .. أملاً في أنْ تؤثرَ حُسنُ المعاملةِ علىٰ نفوسِهم فيَهتدي مَنْ يحبُّ الهُدىٰ
وَذرني وَالمُكَذِّبينَ	: أتْرُكني يامحمدُ (ص) فأنا أعاقبُ المكذّبينَ ، وهوَ تهديدٌ لهم .

---

(١) رُوِيَ عن الامامِ الصادقِ في تفسيرِ «ناشئةِ اللّيلِ» انّه قال : (هي قيامُ الرّجلِ عن فراشِهِ لا يُريدُ الّا اللهَ تعالى) .

أُولي النَّعمةِ : أصحابُ المالِ والثروةِ والتَرَفِ مِن زعماءِ قريشٍ .

مَهِّلهُمْ قليلاً : اَعطِهِم مُهلةً قليلةً ، وهي مدّةُ بقائِهم في الحياةِ .. لِيَرجِعوا اِلَيَّ فأُعاقِبُهُم .

إنَّ لَدَيْنا أنكالاً : إنَّ عندَ اللّهِ قُيوداً ثِقالاً لِتعذيبِ المُجرمينَ في النارِ .

طعاماً ذَا غُصَّةٍ : الغُصّةُ : تَردّدُ اللقمةِ في الحلقِ .. وتَعَسّرُ ابتلاعِها . والمعنىٰ : طعاماً يُعذَّبونَ بابتِلاعِهِ .

تَرجُفُ الأرضُ : تَتَزلزَلُ .

كثيباً : رَملاً مُجتمِعاً .

مَهيلاً : أي اذا حَرَّكَ أسفلَهُ سالَ أعلاهُ . والمعنىٰ : تتحوّلُ الجبالُ المتماسكةُ الىٰ وَضعٍ يَشبَهُ أكداسَ الرّملِ بتناثُرِها وعدمِ تماسُكِها .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١٤

« يا أيُّها المُزَّمِلُ ۞ قُمِ ٱللَّيْلَ إلّا قَليلاً ۞ نِصْفَهُ أوِ ٱنقُصْ منْهُ قَليلاً ۞ أوزِدْ عَليهِ ورَتِّلِ ٱلقُرآنَ تَرْتيلاً ۞ اِنّا سَنُلقي عَلَيْكَ قَولاً ثَقيلاً ۞ اِنَّ ناشِئَةَ ٱللَّيْلِ هيَ أشَدُّ وَطأً وأقْوَمُ قيلاً » ..

نزلتْ [1] هذهِ السورةُ المباركةُ على الرسولِ الكريمِ (ص) في مكةَ المكرّمةِ في بدايةِ البعثةِ النبويّةِ ، وهي تخاطبُ الرسولَ (ص) ، وقد كانَ مُتلفِّفاً بِثيابِهِ للنوم ، وتأمرُهُ بأن يقومَ اللّيلَ ويصلّيَ فيهِ .. فَيقومُ مدّةً تُقدّرُ بنصفِ اللّيلِ أو أنقص مِنَ النّصفِ أو أكثرِ مِنَ النصفِ .. للصلاةِ وذلك في بدايةِ الدعوةِ الاسلاميةِ ، وأمَرَهُ أن يقرأَ القرآنَ في الصلاةِ مرتّلاً .. أمرَهُ بذلكَ ، وبيّنَ لهُ أنّهُ سَيُحَمِّلُهُ القرآنَ ، ومهمةَ الدعوةِ الى الاسلامِ ، وتبليغَ

---

(١) قال المفسّرونَ : انّ سورةَ المزمّلِ هي ثاني سورةٍ أو ثالثُ سورةٍ نزلت مِنَ القرآنِ ، وقال اليعقوبي في تأريخِهِ هي رابعُ سورةٍ نزلت من القرآنِ .

الرسالةِ الى الناسِ ، وهي القولُ الثقيلُ والمهمّةُ الصعبةُ ..

ثم أوضح له أنّ من يَتربّى على قيامِ اللّيلِ والعبادةِ فيهِ يكونُ أثبتَ قدماً على الهُدى ، وأقوى ايماناً ، وأثبتَ قولاً في دعوتهِ ، وأكثرَ تأثيراً واستقامةً ..

ففي هذه الآيةِ تربيةٌ وتوجيهٌ الى دُعاةِ الاسلامِ ، أن يتربّوا تربيةً عباديةً ؛ لِيَكونوا أقوياءَ ثابتينَ في ايمانِهم ودَعوَتهم وتأثيرِهم في المجتمعِ .

« إنّ لَكَ فِي النّهارِ سَبْحاً طَويلاً * وَٱذكُرِ ٱسمَ ربّكَ وتَبَتّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً * رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لا إلـهَ إلاّ هوَ فَاتّخِذْهُ وَكيلاً * وَٱصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ وٱهْجُرْهُم هَجْراً جَميلاً » ..

إنّ لكَ يا محمدُ (ص) في النهارِ مجالاً واسعاً للعملِ وتدبيرِ شؤونِ الدعوةِ والحياةِ فاجعلْهُ لذلكَ .. أمّا الليلُ فاجعلْ قسماً منهُ للصلاةِ كما أرشَدَكَ اللهُ والانقطاعِ اليهِ ..

واذكر ربَّكَ بالتسبيحِ لهُ والثناءِ عليهِ والدعوةِ اليهِ .. وانقطعْ اليهِ بالعبادةِ وحدَهُ دونَ غيرهِ .. انّه هو خالقُ المشرقِ والمغربِ ، ومُنظّمُ هذا الكونِ وحركةِ الأرضِ والشّمسِ .. انّه وحدَهُ الالهُ المتصرّفُ في هذا الكونِ ، فاعتمدْ عليهِ ، واستعِنْ بهِ وحدَهُ ..

واصبرْ على ما يُواجِهُك بهِ المشركونَ من تُهَم وأكاذيبَ واشاعاتٍ ضِدَّكَ وضدَّ دعوتِكَ وأصحابِكَ .. ولا تَرُدَّ عليهِم ، واترُكهُم تركاً ليسَ فيهِ ما يُسبّبُ ابعادَهم عن دعوةِ الهُدى ..

« وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَليلاً * إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً وَجَحيماً * وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أليماً * يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبالُ وَكانَتِ ٱلْجِبالُ كَثيباً مَهيلاً » ..

اُتْرُكني يا محمّدُ (ص) ، والذينَ يُكذّبونَكَ من أصحابِ الثروةِ والمالِ والتّرفِ ، فأنا الذي أُعاقبُهُم وأُجازيهم ، وانتَظِرْ قليلاً فسترى عاقبةَ أمرِهِمُ السيئةَ .. فأعذّبُهُم بألوانِ العذابِ بالقيودِ التي لا تُفَكُّ عنهم ، وبالعذابِ والجحيمِ يُطعمونَ فيها طعاماً لا يستسيغُهُ المجرمُ ذو أشواكٍ تعترضُ في حلوقِهم ، اضافةً الى ما أُعِدَّ لهم من عذابٍ موجعٍ مؤلمٍ ..

وبعدَ هذا الوصفِ لِما ينتظرُ المُجرمينَ مِن عقابٍ ، أوضحَ اللهُ سبحانَهُ لنا أنّ مَوعدَ ذلك العذابِ يكونُ يومَ تضطربُ الأرضُ اضطراباً شديداً ، وتتحوّلُ بنيةُ الجبالِ الصلبةِ الصخريةِ الى رمالٍ ناعِمةٍ ، متحرّكةٍ كأنّها اكداس الرملِ المتحرّك لِشدّةِ ما يُصيبُ الأرضَ والجبالَ من اضطرابٍ وحركةٍ عنيفةٍ ، وتَغيُّرٍ في نظامِ الوجودِ ..

وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾
۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

شرح المفردات

من الآية ١٥ الى الآية ٢٠

أرْسلنا إلى فِرعونَ رسولاً	: أرسلْنا إليه موسى (ص) رسولا .
فَأخَذناه أخذاً وَبيلاً	: أخذنا فرعونَ بالعذابِ الشديدِ ، أي : أنْزَلنا بهِ عذاباً شديداً .
فكَيفَ تَتَّقُونَ إن كَفَرتُم يوماً يجعَلُ الوِلْدَان شِيباً	: فكيفَ تَدفعونَ عن أنفسِكُم إن كفرتُم عذابَ يومِ القيامةِ الذي يَشيبُ لِهَولِهِ الصِّبيانُ .
السَّماءُ مُنفَطِر بهِ	: السَّماء مُنشقَّةٌ في ذلكَ اليوم ــ يوم القيامةِ ــ .
إنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ	: إنَّ ما ذكرناهُ لَكُم في هذهِ الآياتِ هو موعظةٌ لكم .
فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى ربِّهِ سبيلاً	: فَمَن شاءَ الهدايةَ سلكَ طريقاً اليها .. وَهُوَ طريقُ الاسلامِ .. فَمَن أرادَ أن يؤمنَ و يطيعَ .. سلكَ طريقَ الايمانِ فانهُ يوصلُهُ الى التقرّبِ مِنَ اللهِ وطاعتِهِ .
وَعدُهُ مفعولاً	: إنَّ ما وعدَ اللهُ من العذابِ للكافرينَ حَتميُ الوقوعِ .
أدْنى	: أقلَّ وأقربَ .
إنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ انَّكَ تقومُ أدْنى مِنْ ثُلُثَي اللَّيلِ ونصفَهُ وَثُلُثَهُ	: إنَّ ربَّكَ ــ يامحمدُ ــ يعلمُ انَّكَ تُصلّي في بعض اللّيلِ ، مدّةً تقاربُ ثُلُثَي اللّيلِ ، وفي بعضِها مدّةً تُقارِبُ نصفَهُ .. وفي بعضِها مدّةً تقاربُ مِن ثُلُثَيْهِ .
وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذينَ مَعَكَ	: و يعلمُ أنَّ جماعةً مِنَ الذينَ معكَ يصلّونَ مِثلَكَ .
واللهُ يقدِّرُ اللَّيلَ والنهارَ	: واللهُ يعلمُ ثُلُث اللّيلِ والنهارِ ونصفَهُما وثُلُثيهما بالدّقة والتمامِ .
عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ	: علمَ اللهُ أنكم لا تستطيعونَ احصاءَ الوقتِ الذي أمَرَكُم بِقيامِهِ مِنَ اللّيلِ .
فَتابَ عَليكُمْ	: فَخَفَّفَ عليكم .. وقيلَ لم يَسألْكُم عَن عدمِ ضبطِ الوقتِ بالدّقةِ والتمامِ لِتَعذُّرِهِ عليكم .. وقيل جعلَ القيامَ لِصلاةِ اللّيلِ مُستحبّاً بعد

أنْ كانَ واجباً في ذلكَ الوقتِ .

يَضربونَ فِي الأرضِ : يَسعَونَ في الأرضِ للكسبِ ، وطلبِ الرّزقِ .

يَبْتغونَ مِنْ فَضلِ اللهِ

وَأقرضُوا اللهَ قرضاً حسناً : أنْفِقوا مِن أموالِكم تَطوّعاً في سبيلِ اللهِ فانهُ يَجعلُ لكم ثوابَ ذلكَ .

وَما تُقدّمُوا لِأنفُسِكُمْ مِنْ خَيرٍ تَجدوهُ عندَ اللهِ : ما تَفْعَلوا مِن خَيرٍ لآخِرتِكُم تَجِدوا أجرَهُ عندَ اللهِ يومَ الجزاءِ .

المعنى العام
للآية ١٥ الى الآية ٢٠

« إنّا أرْسَلْنا إلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كمَا أرْسَلْنا إلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأخَذْناهُ أخْذاً وَبيلاً » ..

وفي هذه الآيةِ يخاطبُ اللهُ سبحانَه قومَ محمدٍ (ص) ، و يقولُ لهم : إنّا أرسلْنا اليكمْ محمداً (ص) رسولاً يشهدُ عليكم يومَ القيامةِ بأنّهُ دعاكُم الى الاسلامِ ، وأرشدَكُم الى الهُدى ، كما أرسلنا موسى الى فرعونَ الطاغيةِ المتكبّرِ الذي رفضَ دعوةَ موسى وعصاهُ ، فانتقمَ اللهُ منه انتقاماً شديداً ، ولم تَنفَعْهُ قوّتُهُ ولا جُندُهُ ولا مُلكُهُ .. فاحذروا أن يصيبَكُم ما أصابَ فرعونَ وقومَهُ ..

« فَكَيْفَ تَتّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يوماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً ۝ السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ۝ إنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلىٰ رَبِّهِ سَبيلاً » ..

فكيفَ تدفعونَ عن أنفسِكُمُ العذابَ إن أنكرتُم يومَ القيامةِ الذي يَشيبُ لِهولِهِ وفجائعِهِ الصّبيُّ ، ذلكَ الذي تَتَشَقّقُ فيهِ السماءُ ، و يُدَمّرُ نِظامُها ، وتَحدُثُ الكارثةُ لأهلِ الأرضِ ..

انّ وعدَ اللهِ بالبعثِ والنشورِ والجزاءِ مُتحققٌ ، ولا يمكنُ أن يخلِفَ اللهُ وَعدَهُ ..

إنّ ما ذكرناهُ لكم مِن ارسالِ موسى (ع) الى فرعونَ، والانتقامِ منهُ، وأهوالِ يوم القيامةِ.. انّ الله ذكر ذلك موعظةً لكم، ونصيحةً، لعلّكم تهتدونَ.. فَمَنْ شاءَ مِنَ الناسِ أن يَهتديَ اتّخذَ طريقَ الهدايةِ، الذي يُنجيهِ، و يوصلُهُ الى مرضاةِ الله سبحانَهُ.. فَكُلُّ انسانٍ يملكُ اختيارَ طريقِ الهُدى، بعدَ أن أوضَحَهُ اللهُ اليهِ..

« انّ ربّك يعلم انّك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدّر الليل والنّهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ... ».

انّ ربّك يا محمدُ (ص) يعلم أنّك أنت و بعض أتباعِك تَقضون بالصلاةِ وقراءةِ القُرآنِ ما يَقرُبُ من ثُلُثي الليلِ أو نِصفه أحياناً أو ثلثه أحياناً أخرى..

انّ اللهَ يعلمُ انّه يتعذّرُ عليكم ضَبطُ أوقاتِه لأسبابٍ عديدةٍ، ولكنّ اللهَ لايَخفى عليه شيء.. فهو الذي يُقدّرُ تلك الأوقات من الليلِ والنّهارِ..

لقد خفّفَ اللهُ عنكم تكليفَ صلاةِ الليل[1].. فاقرأوا ما استطعتم من القرآنِ أثناءَ الليلِ ذلك لأنّ اللهَ يعلمُ أنّ منكم المرضى والمسافرونَ من أجلِ طَلبِ الرّزقِ والكسبِ الحلالِ.. وآخرون يجاهدون في سبيلِ اللهِ.. فيصعبُ عليهم إحياءُ اللّيلِ بالعبادةِ (ما يقارب ثُلثيه أو نِصفه أو ثُلثه).

« فأقرأوا ما تيسّر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزّكاة وأقرضوا اللهَ قرضاً حسناً وما تقدّموا لأنفسِكم من خيرٍ تَجدوهُ عند اللهِ هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله انّ الله غفور رحيم ».

و بعد أن أوضحَ التخفيفَ وتيسيرَ الطاعةِ للعبادِ أكّدَ مرّةً أخرى على قِراءةِ القرآن،

---

١ ــ يرى بعض المفسّرين انّ هذه الصلاة كانت واجبة على المسلمين قبل نزول هذه الآية، وخفّف الله عن المسلمين فرفع عنهم الوجوب وجعلها مستحبّة لهم.. أمّا رسول الله (ص) فبقي عليه وجوب هذه الصلاة ثابتاً..

وانّ صلاة اللّيل احدى عشرة ركعة، وتؤدّى بست صلوات، أربع منها تتكوّن كل واحدة منها من ركعتين، والخامسة تتكوّن من ركعتين أيضا، وتسمّى بركعتي « الشّفع »، والصلاة السادسة تتكوّن من ركعة واحدة وتسمّى بركعة « الوتر ».

واقامِ الصلاة وأداءِ الزكاةِ، والحثِّ على إقراضِ المالِ للمُحتاجِ وقضاءِ حاجَتِه، واعتبَر ذلك إقراضاً للهِ؛ لأنّه في سبيلهِ.. فهو قرضٌ من غيرِ ربا ولا فائدة..

ثم ذكّر الانسانَ بأنّ ذلك عملُ خيرٍ يُقدِّمُه لِنَفسِه ليُجزي به في عالمِ الاخرةِ، وهو محفوظٌ عند اللهِ، وهو أعظمُ أجراً وثواباً من مَكاسبِ الدّنيا وأرباحِها الزّائلةِ..

بعد ذلك يدعو الانسانَ الى الإستغفارِ، وطَلبِ العَفوِ، و يُذكِّرُه بأنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، يُحبّ العبادَ و يرحمُهم، إنْ هم تابوا وفَعلوا الخيرَ..

انّ هذه الآياتِ المباركةَ تؤكّدُ لنا الاهتمامَ بقراءةِ القرآنِ، والمُواظبةِ عليها.. فقد كان رسولُ اللهِ (ص) يُواظِبُ على قِراءةِ القُرآنِ حتى قيلَ: (كان خُلُقُه القرآنَ) أي كانَ طَبعُه وعادتُه قِراءةَ القرآن..

كما يَدعونا الى الصَّلاةِ.. صلاةِ الفرائضِ وصلاةِ الليلِ المُستحبّةِ، وأداءِ الزكاةِ، وإقراضِ المالِ للمحتاجِ من غيرِ ربا ولا فائدةٍ لحلِّ مشاكلِ المجتمعِ المعاشيةِ، ولكي لا تتكوّنَ طبقة من المستغلين الأثرياءِ وطبقة من الفقراءِ الجياعِ.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ٣١

المُدَّثِّرُ	: المُتَلَفِّفُ بثيابِهِ عندَ النوم .. والمقصودُ بهِ هو النبيُّ محمدٌ (ص) .
قُمْ	: قُمْ مِن منامِكَ ، و بَلِّغْ رسالةَ رَبِّك .
وَالرُّجزَ	: الاثمَ والمعصيةَ والقبائحَ .. وقيل إنَّ المقصودَ بالرُّجزِ هنا هو الاصنامُ والأوثانُ .
فاهْجُرْ	: فاترُكْ .
لاتَمْنُنْ	: لا تَمُنَّ علىٰ اللهِ ، أو على الناسِ بِحَملِكَ الرسالةَ .
تَستكثِرُ	: تراهُ كثيراً .
وَلِرَبِّكَ فاصبِرْ	: اصبرْ علىٰ تبليغِ الرسالة ، وعلىٰ ما يُصيبُكَ مِن أذىٰ المُشركينَ لوجهِ ربِّكَ .
نُقِرَ في النَّاقُورِ	: نُفِخَ في الصّورِ لِبعثِ الموتىٰ مِنَ القبورِ .
يَومٌ عسيرٌ	: يومٌ شديد ؛ لِما فيهِ مِن شدّةِ الحسابِ والمسؤوليةِ والعقابِ .
ذَرْني وَمَنْ خَلقْتُ وَحِيداً	: دَعني وإيّاهُ ، فانّي كافٍ لَه .. وفي الآيةِ تهديدٌ بالعقابِ والنكالِ .
مَالاً مَمْدُوداً	: مالاً كثيراً ، مستمرَّ النّماء والعَطاء .
بَنِينَ شُهُوداً	: حُضوراً معهُ يأنس بِهِم .
مَهَّدتُّ لَهُ تَمْهيداً	: هيّأتُ لَهُ الأمورَ .. مِنَ المالِ والجاهِ والولد ، وسَهّلتُ لَهُ التصرّف فيها .
سَأُرهِقُهُ صَعُوداً	: سأحمّلُهُ مَشقةً مِنَ العَذابِ ، لا راحةَ فيها .
فَكَّرَ	: فَكَّرَ في تدبيرِ القولِ الذي يُكذِّبُ بهِ القرآنَ .
قُدِّرَ	: تَصوَّرَ في نفسِهِ تهمةً ، واقتنعَ بانّها قادرةٌ علىٰ التشكيكِ بصدقِ القرآنِ .
قُتِلَ	: لُعِنَ وَعُذِّبَ .
ثُمَّ نَظَرَ	: ثم نَظَرَ في وجوهِ أصحابِهِ .. أو ثم فَكَّرَ .. والمقصودُ : هو الوليدُ بنُ المغيرةِ .

عَبَسَ	: إنقبَضَ وجهُهُ لِشدّةِ ضيقِ الذي في نفسِهِ .
بَسَرَ	: استعجلَ في اظهارِ العبوسِ ، وظهرَ عليهِ الاهتمامُ بالأمرِ .
سِحرٌ يُؤثَرُ	: سِحرٌ يُروىٰ عَنِ السَحرةِ ، و يتَعَلَّمُ مِنهم ، أو تُؤثِرُهُ النفوسُ ، وتميلُ اليهِ لحلاوَتِهِ و بلاغتِهِ .
سَقَرُ	: جهنمُ .
لَا تَذَرُ	: لا تَترُكُ مَن يَدخلُها حتىٰ تُهلِكَهُ .
لَوَّاحَةٌ لِلبشرِ	: مُغَيِّرَةٌ لِظاهِرِ الجُلودِ بالاحراقِ .. تَجعلُها سوداءَ .
عِدَّتَهُمْ	: عددُهم .
فِتنَةً	: محنةً واختبارا .
لِيَستيقِنَ ٱلَّذينَ أوتُوا الكِتابَ	: لِيَحصلَ اليقينُ عندَ أهلِ الكتابِ بِأنَّ ما جاءَ بِهِ النبيُّ (ص) هو حقٌ وصدقٌ .
ولا يرتابَ	: لِئلا يَشُكَّ .

تعريف :

إنَّ المتأملَ في آياتِ هذهِ السورةِ المكيةِ المباركة ، يُلاحظ بوضوحٍ مِن خلالِ دِلالةِ الآياتِ وأسبابِ نزولها ، أنَّ هناك فاصلاً زمنياً ، يُعَدُّ بالسنينَ ، بينَ الآياتِ الأولى من هذهِ السورةِ .. و بينَ آياتِ الثُلُثينِ الآخَرينِ .. أي مِنَ الآيةِ الحاديةَ عشرةَ وحتى النهايةِ ..

فقد ذكر المفسّرونَ أنَّ الآيةَ الأولى من السورةِ قَد نزلتْ على الرسولِ (ص) في بدايةِ البعثةِ ، وهي مِن أوائلِ ما نَزَلَ من القرآنِ ، وفيها أمرٌ للرسولِ (ص) بِتركِ الفراشِ والقيامِ بالدعوةِ الى الاسلامِ ، وانذارِ الناس ، وتبليغِ الرسالةِ ، بكلِّ جِدٍّ وصبرٍ وتحمّلٍ ..

وواضحٌ لَدَينا أنَّ المؤرخينَ يُجمِعونَ على أنَّ الدعوةَ الاسلاميةَ مَرَّتْ بِمرحلةٍ سريّةٍ ، دامتْ ثلاثَ سنواتٍ ، لم يكنْ فيها جدالٌ حولَ القرآنِ ، أو تفكيرٌ أو عملٌ مضادٌ بهذا المستوى ، ولمْ تَحصلِ المقاومةُ والمعارضةُ ، الّا بعدَ أن أعلنَ الرسولُ محمدٌ (ص) دعوتَهُ ، وأنذَرَ عشيرتَهُ .

والآياتُ مِن الحاديةَ عشرةَ وما بعدَها تتحدّثُ عن تَهديدِ القرآنِ للوليدِ بنِ المغيرةِ، الذي كانَ قد طلبَ مِن قريشٍ في اجتماعٍ لَهُم، في دارِ النّدوةِ، التفكيرَ والتّخطيطَ لاثارةِ الشبُهاتِ حولَ القرآنِ.. ولم تحصلْ تلكَ الأحداثُ، الّا بعدَ اِعلانِ الدعوةِ، ومعرفةِ قُريشٍ والعَربِ بِما نزلَ على محمدٍ (ص).

وهكذا نفهمُ انّ هناك فارقاً زمنياً بين نُزولِ آياتِ هذهِ السورةِ.. فَلَمْ تَنزلْ جميعُها دفعةً واحدةً.

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ٣١

«**يا أيُّها المدّثّرُ**» نزلت هذه الآيةُ المباركةُ على النبيّ (ص) بعدَ أن أُخبِرَ بالنبوّةِ في غارِ حِراءَ.

نزلت عليه وهو نائمٌ، مُتدثّرٌ بِثيابِ النّوم، فخاطَبَهُ اللهُ سبحانَهُ: «**يا أيُّها المُدّثّرُ**» قُمْ مِن فراشِكَ، وبَلّغْ دعوتَكَ، وأنذِرِ الناسَ، وحَذّرهُم مِنَ العذابِ.. واذكُرِ اللهَ بالتعظيمِ والاجلالِ، بِما لَهُ مِنَ الأسماءِ الحُسنى، والصفاتِ العظيمةِ، والنّعمِ الظاهرةِ والباطنةِ على الخلقِ جَميعاً..

ثمّ طَهّرْ ثيابَكَ من كلّ نَجاسةٍ وقَذارةٍ.. واترُكِ الأوثانَ والاصنامَ والمعاصي والآثامَ..

والخطابُ كانَ مُوَجّهاً للرسولِ الكريمِ محمدٍ (ص) اِلّا أن الرسولَ (ص) مُنزهٌ عَنِ النجاسةِ والقذارةِ، والمَعصِيَةِ، وعِبادةِ الأوثانِ.. فهوَ لَمْ يَعبُدِ الأصنامَ، ولَمْ يَرتَدِ الثِيابَ النجسةَ.. اِنّما المقصودُ في هذه الآيةِ هوتبيانُ مبادِئ الدعوةِ الاسلاميةِ التي يدعو بِها الرسولُ (ص).. والتي مِن اُسُسِها تَركُ الوثنيةِ والمعاصي والآثامِ، وتَطهيرُ اللباسِ للعبادةِ.

فهي الدعوةُ الى البشريةِ للتَطَهُّرِ من كلِّ قَذارةٍ وسوءٍ .. دَعوةٌ لِتطهيرِ العقولِ والنفوسِ والأخلاقِ والسلوكِ من الشركِ والخرافةِ والجرائمِ والانحرافِ .. ودعوةٌ لِتطهيرِ اللباسِ مِنَ القَذارةِ والنَجاسةِ .

« **ولا تَمنُنْ تَستكثِرْ** » ثم خاطَب اللهُ نَبيَّهُ بهذهِ الآيةِ لِيُثَبِّتَ في نفسِهِ أفضلَ الأخلاقِ ، و يَرتقي بهِ وبأُمتِّه ، وبالانسانيةِ التي تَقتدي بهِ الى مَراتبِ الكمالِ ، بالتواضُعِ وعدَمِ آستكثارِ عَمَلِهِ ، وعدم المنِّ على الله ، أو على الناس ، عندما يقومُ بِدَعوتِهم الى الاسلامِ ، وَهِدايَتِهم الى طريقِ الحقِ ، وعَملِ المعروف والاحسانِ .

إنَّ الهدفَ مِن هذهِ الآيةِ هوالتربيةُ ،وتوجيهُ الانسانِ حتى لايَغترَّ بعملِهِ ، و يَراهُ كثيراً ، فَيَمُنَّ على الآخَرينَ ، و يرفَّعَ عَليهم .. أن ينظُرَالى كُلِّ عملٍ يقومُ بهِ الانسانُ في مجالِ طاعةِ اللهِ ورضاهُ .. إنَّهُ عملٌ قليلٌ ، وانَّهُ لَم يُؤدِّ حقَّ اللهِ عليه .. وَللهِ المِنَّةُ على الانسانِ .

« **وَلِرَبِّكَ فاصبِرْ** » وبعدَ أنْ أمَرَ اللهُ نَبيَّهُ (ص) بِدعوةِ الناسِ الى الاسلامِ ، وتبليغِ الرسالةِ ..

أمَرَهُ بالصبرِ على أذى المُشركينَ والثباتِ على الحقِّ .. لِيَستطيعَ أن يُؤدِّيَ واجبَهُ ويَتقرَّبَ إلى ربِّهِ .. ذلكَ لأنَّ أعداءَ هذا الدينِ لا يَترُكونَ النبيَّ (ص) يَحمِلُ دعوَتَهُ إلى الناسِ ، و يُبلِّغُ رسالةَ ربِّهِ دونَ أن يُواجِهوهُ بِوسائلِ المقاومةِ مِنَ التكذيبِ ، والاستهزاءِ والحِصارِ ، والاخراجِ من الديارِ ، والقتلِ والتعذيبِ ، واشاعةِ الخوفِ والارهابِ بينَ الناسِ ؛ لِيَبتَعِدوا عَن هذهِ الدعوةِ ، ولا يؤمنوا بِها .. كما فعلَ الطغاةُ بالأنبياءِ وأتباعِهم مِن قَبلِهِ .

« **فَإِذَا نُقِرَ[1] فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَومٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلكَافِرِينَ غَيرُ يَسِيرٍ** » ..

ثم تحدّثَ الوحيُ في هذهِ الآياتِ للنبيِّ (ص) عن مصيرِ المُعاندينَ والكافرينَ ، وما ينتظرُهُم يومَ القِيامةِ .. يومَ يُنفَخُ في الصورِ ، ويُبعَثُ الناسُ مِنَ القبورِ .. تَحدّثَ عمّا

---

(١) قال الرّاغبُ الاصفهانيُّ في مُعجمِ مفرداتِ الفاظِ القرآنِ : النَّقر : قرعُ الشيءِ المُفضي الى النَّقبِ .

يَنتَظِرُهُم مِن شدّةٍ وخوفٍ وعذابٍ في ذلكَ اليوم الشديدِ الرّهيب .. الذي لايَجدونَ فيهِ الراحةَ ولا الأمنَ ولا القُدرةَ على التخلّصِ مِنَ العذاب .

لقد شبّهَ القرآنُ الصوتَ الرهيبَ الذي يَنطلِقُ مِنَ الصور .. بالنّاقورِ الذي يَنقُرُ القبورَ .. أي الذي يَخترِقُها ، و يَنفُذُ الى أعماقها ، لِيَبحَثَ عَمّا فيها من موتى ، فَيقوموا أحياء .. لِيَحضُروا في ساعةِ الحسابِ ، فلا يَضيعُ شيء منهم ، ولا يَتَخَلّفُ أحدٌ

ثم خاطبَ القرآن النبيَّ مُحمداً (ص) بقولِهِ :

« ذَرني ومَنْ خَلَقْتُ وحيداً * وجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمدوداً * وبَنينَ شُهوداً * ومَهدتُ لَهُ تَمهيداً * ثُم يَطْمَعُ أنْ أزيدَ » ..

وهذه الآياتُ الكريمةُ تتحدّثُ عن مجرمٍ مِن أكابرِ المُجرمينَ ، الذين حاربوا الدعوةَ الاسلاميةَ ، ووقفوا ضِدّها في مكّةَ المكرّمةِ ، في بدايةِ حركَتِها وانطِلاقِها ، دِفاعاً عن مصالِحِهِ ، وتَفكيرِهِ الخُرافيِّ المتخلّفِ .. وهو الوليدُ بنُ المغيرةِ المخزومي ؛ الذي كانَ مِن طواغيتِ مَكةَ ، ومُستكبِريها ، والمُستهزِئينَ برسولِ اللهِ (ص) .. لِما لَهُ مِنَ المالِ والجاهِ والمَكانةِ والأولادِ ..

لقد ذَكَرَ المُفسّرونَ والرواةُ : أنَّ هذهِ الآياتِ نَزَلَتْ في الوليدِ بنِ المغيرةِ المَخزومي .. وذلك انّ قُريشاً اجتمعتْ في دارِ الندوةِ ، فقالَ لهُمُ الوليدُ : إنكم ذَوو أحسابٍ ، وذَوو احلامٍ ، وانّ العربَ يأتونَكُم ، فَينطلقونَ مِن عندِكم على أمرٍ مختلِفٍ ، فأجمِعوا أمرَكُم على شيءٍ واحدٍ ، ما تقولون في هذا الرجل ، قالوا نقولُ إنّه شاعرٌ ، فَعَبَسَ عندَها ، وقالَ : قد سَمِعنا الشعرَ ، فما يُشْبِهُ قولُهُ الشعرَ ، فقالوا : نقولُ : إنّه كاهِنٌ ، قال : إذا تأتونَهُ ، فلا تَجدونَهُ يُحدّثُ بما تُحدّثُ بهِ الكَهَنَةُ ، قالوا : نقول : انّه لَمجنونٌ ، فقال : إذا تأتونَهُ ، فلا تَجدونَهُ مجنوناً ، قالوا : نقول : انّه ساحِرٌ ، قال : وما السّاحِرُ ؟ فقالوا : بَشَرٌ يُحَبّبونَ بَينَ المُتباغِضينَ ، و يُبَغّضونَ بينَ المُتحابّينَ ، قالَ : فهُوَ ساحِرٌ ، فَخَرَجوا ، فكانَ لا يَلقى أحدٌ منهُمُ النبيَّ (ص) إلّا قالَ : يا ساحِرُ ، يا ساحِرُ ، وَاشتَدَّ عَلَيهِ ذلكَ ، فَأنزَلَ اللهُ تعالى : يا أيُّها المدّثّرُ .. الى قوله : الّا قول البشر ــ عن مجاهد .

و يُروى انّ النبيَّ (ص) لَمّا أُنزِلَ عليهِ :

«حم تَنزيلُ ٱلكِتابِ مِنَ اللهِ ٱلعَزيزِ ٱلعَليمِ غافرِ ٱلذنبِ وقابلِ ٱلتوبِ شَديدِ ٱلعِقابِ» قامَ الى المسجدِ والوليدُ بنُ المغيرةِ قريبٌ منهُ يسمعُ قراءَتَهُ ، فلمّا فَطَنَ النبيُّ (ص) لاستماعِهِ لِقراءَتِهِ أعادَ قراءةَ الآيةِ ، فانطلقَ الوليدُ حتى أتى مجلسَ قومِهِ بني مخزومٍ ، فقالَ : واللهِ لقدْ سَمعتُ مِن محمدٍ (ص) آنفاً كلاماً ما هوَ مِن كلامِ الانسِ ولا مِن كلامِ الجنِّ ، وانّ لهُ لَحلاوةً ، وانّ عليهِ لَطَلاوةً[1] ، وانّ اعلاهُ لَمُثمرٌ ، وان اسفلَهُ لَمُغدِقٌ[2] ، وانهُ ليعلو ، وما يُعلى ، ثم انصرفَ الى مَنزلِهِ ، فقالت قريشٌ : صَبَأَ[3] واللهِ الوليدُ ، واللهِ لَتَصبَأَنَّ قريشٌ كلُّهُم . وكانَ يقالُ للوليدِ ريحانةَ قريشٍ ، فقالَ لهم أبوجهلٍ : أنا أكفيكمُوهُ ، فانطلقَ ، فَقَعَدَ الى جنبِ الوليدِ حزيناً ، فقالَ : مالي أراكَ حزيناً يا ابنَ أخي ؟ قال هذه قريشٌ يَعيبونَكَ على كِبَرِ سِنِّكَ ، و يَزعُمونَ انّكَ زَيَّنتَ كلامَ محمدٍ (ص) ، فقامَ مع أبي جهلٍ حتى أتى مجلسَ قومِهِ ، فقال : أتزعُمونَ انّ محمداً (ص) مجنونٌ ، فهلْ رأيتُمُوهُ يخنقُ قَطُّ ؟ فقالوا : اللّهم لا . قالَ أتزعُمونَ انّه كاهنٌ ، فهل رأيتُم عليهِ شيئاً مِن ذلك ؟ قالوا : اللّهم لا . قالَ : أتزعُمونَ انّه شاعرٌ ، فهلْ رأيتموهُ انهُ يَنطِقُ بِشعرٍ قَطُّ ؟ قالوا : اللّهم لا . قال : أتزعُمونَ انّه كذّابٌ ، فهل جَرَّبتُم عليه شيئاً مِنَ الكَذِبِ ؟ فقالوا : اللّهم لا . وكان يُسمّى الصادقَ الأمينَ قبلَ النبوّةِ مِن صدقِهِ . فقالت قريشٌ للوليدِ فما هو؟ فتفكّرَ في نفسِهِ ، ثم نظرَ وعبسَ ، فقال ما هو الّا ساحرٌ ، ما رأيتُموهُ يُفرّقُ بينَ الرّجلِ وأهلِهِ وَوُلدِهِ ومَواليهِ . فهوساحر ، وما يقولُهُ سِحرٌ يؤثرُ[4] ..

وهكذا نعرفُ أنَّ هذهِ الآياتِ الكريمةَ نَزلتْ لِتتحدّثَ للنبيِّ (ص) ، وللبشريةِ الآتية بعدَهُ ، عن هذهِ الحادثةِ ، وتُوَضّحُ للناسِ نوعاً من أنواعِ التخطيطِ والعملِ المضادِ للدعوةِ

---

(١) الطلاوةُ : الحُسنُ والرونقُ .

(٢) المغدقُ ، مِنَ الغدقِ : المَطرُ الكبارُ القَطر .

(٣) صَبَأَ الرجلُ : خرجَ من دينٍ الى دينٍ آخر .

(٤) الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن .

الاسلاميةِ ، والافتراءِ على النبيِّ (ص) والقرآنِ الحكيمِ من قِبَلِ الطبقةِ ذاتِ المالِ ، والسلطةِ ، والجاهِ ؛ لانّها تريدُ أن تَحتفظَ بِمكانَتِها ، وتَسلُّطِها على المستضعفينَ ، وتريدُ أن تكونَ طاغوتاً يُطاعُ مِن دونِ اللهِ .

انّ الوليدَ بن المغيرةِ ، وطبقةَ أصحابِ النفوذِ في قريشٍ ، الّذينَ اجتمعوا في دارِ النَّدوةِ ، وفكّروا في كيفيةِ تكذيبِ النبيِّ (ص) ، ومحاربةِ دعوةِ الخيرِ والنجاةِ ، يُمثّلونَ نموذجاً من نماذجِ الطغاةِ الذينَ يَظهرونَ في كلِّ زمانٍ ومرحلةٍ من مراحلِ التأريخِ ، سواءٌ في عصرِ الأنبياءِ ، أو في عصورِ ما بعدَ الأنبياءِ .

لقد هَدَّدَ القرآنُ الكريمُ ذلكَ المجرمَ وأمثالَهُ مِنَ الطواغيتِ بقولِهِ :

« ذَرْني وَمَنْ خَلَقتُ وحيداً ۞ وَجَعَلتُ لَهُ مَالاً مَمدوداً ۞ وَبَنينَ شُهوداً ۞ ومَهَّدتُ لَهُ تَمهيداً ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أنْ أزيدَ » ..

انّ القرآنَ يُخاطبُ النبيَّ (ص) ، و يقولُ لهُ : اترُكني وهذا المجرمَ ، فَأنا الّذي أُعاقِبُهُ ، وأُجازيهِ بقوةٍ واقتدارٍ ..

هذا الذي كَفَرَ بما آتَيْتُهُ مِن مالٍ كثيرٍ ، مُتّصلِ النّموِّ والعطاءِ ، وأعطيتُهُ البنينَ ، الّذينَ يَعيشونَ مَعَهُ ، و يَأنَسُ بهم ، ولا يَغيبونَ عنهُ ، لِما يَملكُ من ثروةٍ ونعيمٍ واستقرارٍ .. وهيأتُ لَهُ الأمورَ التي جَعَلَتْهُ يحتلُّ هذه المكانةَ في قومِهِ ، مِنَ الجاهِ والرئاسةِ ، و يَحصَلُ على ما حَصَلَ عليهِ ، بحيث صارَ يَطمَعُ في تَوسُّعِ الثروةِ ، وكثرةِ الأبناءِ ومجالاتِ السيطرةِ والقوّةِ ..

إنّ هذا المجرمَ كفر بكلِّ ذلكَ ، ولمْ يشكرْ هذه النِّعَمَ ، ولم يصدّقْ برسالةِ اللهِ ..

انّهُ يطمعُ بالزيادةِ في المالِ ، والأبناءِ ، والنفوذِ ، ووسائلِ القوّةِ .. كَلاّ انّهُ لا يستحقُّ ذلك .. انّهُ معاندٌ لآياتِ اللهِ ، ورافضٌ لها ، وكافرٌ بها .. **« كَلاّ إنَّهُ كانَ لآياتِنا عَنيداً »** ..

« سَأُرهِقُهُ صَعُوداً »[1] .. سأُجازيهِ بالعذابِ الشّاقِّ ، الذي لا راحةَ فيهِ ، جزاء

---

(١) وقيل أنّ معنى هذه الآية : هو أنّ هذا المجرم سيحمل مشقة من العذاب (في عالم الجزاء) بالصعود في ←

كُفرِهِ وعنادِهِ ..

«إنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر» .. انّ هذا المجرمَ راحَ يُفكّرُ، ويَحتالُ، و يُقدّرُ الوَسائلَ والأساليبَ والخططَ التي يواجهُ بها النبيَّ (ص)، ويكذّبُ دعوتَهُ، ويُبعِّدُ الناسَ عن الهُدى، والتّحرُّرِ مِن سيطرةِ الطواغيتِ ..

«فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر» .. لُعِنَ هذا المجرمُ على ما فَكّرَ وتَصوَّرَ مِن أقوالٍ واتهاماتٍ، يَطعنُ بها النبيَّ (ص) ويَتّهِمُهُ بها ..

وتَحملُ الآيةُ بالاضافةِ الى اللّعنِ، السخريةَ والاستهزاءَ بتفكيرِهِ وتدبيرِهِ .. لقد ظَنَّ انّه يستطيعُ أن يُسقِطَ هذا القرآنَ، و يَصُدَّ الناسَ عنهُ بقولِهِ: إنّه سحرٌ أُخِذَ عن السَّحَرَةِ، انّه من صنعِ البشرِ، وليسَ وحياً الهياً .. انّ هذا القولَ لَمثيرٌ للسخريةِ والاستهزاءِ ..

«ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ» .. وفي هذه الآيةِ يُكَرِّرُ القرآنُ اللّعنَ عليهِ؛ لاستحقاقِهِ الاهانةَ والسخريةَ الشديدةَ ..

«ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثم عَبَسَ وَبَسَرَ» .. وفي هذه الآياتِ يصوّرُ لنا القرآنُ مَنظرَ هذا المعاندِ، بعدَ أن فكّرَ في كلِّ تهمةٍ يمكنُ أن تُقال ضِدَّ النبيِّ (ص) والقرآنِ الحكيمِ ..

لقد راحَ ينظرُ في وجوهِ أصحابِهِ، وهويُفكّرُ، وقَدِ انقبَضَ وجهُهُ، واكفَهَرّتْ ملامِحُهُ مِنَ الحَيرةِ والاهتمامِ الشديدِ في هذا الأمرِ الخطيرِ .. انّه لا يدري ما يقولُ، وما يَقترحُ على أصحابِهِ من تُهَمٍ وطعونٍ يواجِهُ بها القرآنَ، الذي حَيَّرَ العقولَ، وسيطر على النفوسِ، وأعجَزَ الفصحاءَ وأهلَ البلاغةِ من العربِ ..

لِذا كانَ ينظرُ في وجوهِهِم .. وهو مُكفهرُّ الوجهِ .. شديدُ الاهتمامِ، رغمَ أنّهُ من دُهاةِ العربِ، وأهل التجربةِ في قريشٍ ..

«ثُمَّ أَدْبَرَ واسْتَكْبَر» .. و بعدَ التفكيرِ الطويلِ، والحوارِ مَعَ أصحابِهِ، والاهتمامِ الشديدِ، سيطرَ عليهِ التكبّرُ، فلمْ يَتّبِعِ النبيَّ (ص)، ولم يَخضعْ للحقِّ ..

«فَقالَ إِنْ هٰذا إِلّا سِحْرٌ يُؤثَرُ ۞ إِنْ هٰذا إِلّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ» .. لقد مَنَعَهُ التكبّرُ من

جبل من نار، ثم الانحدار الى أسفله، ثم الصعود الى أعلاه .. وهكذا حاله الى الأبد.

أن يقولَ الحقَّ في القرآنِ، و يَهدي قومَهُ الذينَ يَنتظرونَ كلمتَهُ، فقالَ: بعدَ التفكيرِ واستعراضِ مختلفِ التصوّراتِ والاتهاماتِ: ان ما جاءَ بِهِ محمدٌ (ص) ما هو الّا سحرٌ، قد أخذَهُ من السّحرةِ، وهو كلامُ البشرِ، وليسَ وحياً الهياً.. لقد أشارَ على قومِهِ بانّ يُواجهوا القرآنَ بهذهِ التُّهَمِ، والاّ باطيلِ التافهةِ، فكانَ حقاً على اللهِ أن يُدخِلَهُ النارَ والعذابَ.. لِذا قالَ اللهُ تعالى مُقرِّراً جَزاءَهُ: «**سَأُصْليهِ سقرَ**»..

انّ القرآنَ يوضّحُ لنا حقيقةً خطيرةً، وهي أنَّ مَنْ يُعطيهِ اللهُ عقلاً وخِبرةً ومكانةً محترمةً عندَ الناسِ.. ثم يُسألُ و يستشارُ في أمرٍ من الأمورِ، عليهِ أن يقولَ كلمةَ الحقِّ، و يَهدي الناسَ الى الصوابِ..

ثمَّ أوضحَ شِدّةَ العذابِ في سَقَرَ، وهولَ الآلامِ فيها بقولِهِ: «**وما أدْراكَ ما سَقَرُ**»..

ثمّ تَحدّثَ لنا بعدَ ذلك عن بعضِ أهوالِها فقالَ: «**لا تُبْقي وَلا تَذَرُ**».. انّها لا تُبقي شيئاً في جسمِهِ، الّا أحرَقَتْهُ، ونَفَذَتْ اليهِ.. فلا ينجو من عذابِها شيءٌ، ولا يَستثني عذابُها وحَريقُها شيئاً..

ومِن صفاتِها أنّها: «**لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ**».. تَحرقُ وُجوهَهُم، فَتُغيّرُ لونَها وملامِحَها، حتى تَسْوَدَّ.. فَتخزيهِم، وتَجلِبُ لهمُ الذلَّ والمهانةَ..

«**عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ. وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إلّا مَلائكةً وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلّا فِتْنةً لِلّذينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الّذينَ أوتُوا الْكِتابَ وَيَزْدادَ الّذينَ آمَنُوا اِيماناً وَلا يَرْتابَ الّذينَ أوتُوا الْكِتابَ وَالْمؤْمِنُونَ، وَلِيَقُولَ الّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكافِرُونَ ماذا أرادَ اللهُ بِهٰذا مَثَلاً كذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدي مَنْ يَشاءُ وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هُوَ وَما هِيَ إلّا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ**»..

يَحرسُها تسعةَ عشرَ مِنَ الملائكةِ مُوَكّلينَ بالمُجرمينَ.. يَحملونَ طبيعةَ القَسوةِ وحُبَّ التعذيبِ.. اِنّهم لا يَعرفونَ الرّحمةَ.. فقد غُرِسَتْ في نُفوسِهِم شَهوةُ التعذيبِ كما غرست في الانسان شهوة الطعامِ والشرابِ.. لقد جعلَهُمُ اللهُ بهذا العددِ لِيَكونوا مِحنةً وتشديداً

في التكليف للّذينَ كفروابِنِعَمِ اللهِ .. لعلَّهُم يتفكّرونَ و يَشعرونَ بعظيمِ العذابِ الذي يَنتظِرهُمْ فيَعودوا الى الحقِّ. لِيَعرفوا أنّ اللهَ الذي أوْكَلَ مَلَكاً واحداً لِقَبْضِ أرواحِ الخَلائقِ بِكُلِّ يُسرٍ وَاقتدارٍ، قادِرٌ على أن يَسوقَ المجرمينَ جميعاً الى النارِ بِتسعةَ عشرَ ملكاً فيُعذّبُهُم أشدَّ العذابِ ..

« **وَلِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ** » .. إنّ القرآنَ ذكرَ عددَ الملائكةِ المُوَكَّلينَ بِسَقَرَ لِيَحصلَ اليقينُ بِصدقِ مُحمدٍ (ص) عندَ أهلِ الكتابِ، وَهُمُ اليهودُ والنصارى .. ذلكَ لأنّ القرآنَ يُخبرَ عن نفسِ العددِ المذكورِ في التوراةِ والانجيلِ، وانّ ذلكَ الاخبارَ عن عددِ الملائكةِ يَزيدُ المؤمنينَ بِنبوّةِ محمدٍ (ص) ايماناً وتصديقاً ..

انّ هذا الاخبارَ جاءَ لِئلا يشكَّ أهلُ الكتابِ والمؤمنونَ بِدينِ محمدٍ (ص) في عددِ الملائكةِ بعدَ أن أخبرَ اللهُ في القرآنِ والتوراةِ والانجيلِ .. فالكلُّ يعرفُ هذِهِ الحقيقةَ عن طريقِ الكتابِ الذي أُنزِلَ اليهِ .. وهو تصديقٌ لِنبوّةِ محمدٍ (ص) ..

أمّا المنافقونَ والكافرونَ، فسوفَ لن يُصدّقوا بلْ سيقولونَ بعدَ ذكرِ القرآنِ عددَ الملائكةِ الموكّلينَ بالنار: « **ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً** » .. ماذا يقصدُ و يريدُ بِذكرِهِ عددَ الملائكةِ .. مستهزئينَ بِعَدَدِهم « **تِسْعَةَ عَشَرَ** » قائلينَ كيفَ يمكنُ لِهذا العددِ أن يُعَذِّبَ معظمَ الانسِ والجنِ ..

إنّ إخبارَ القرآنِ عن عددِ الملائكةِ أعطى نتيجتينِ اثنتينِ بالنسبةِ للناسِ، فبعضُهُم آمنَ وازدادَ ايماناً، وبعضُهُم كذَّبَ وسَخِرَ، وازدادَ كفراً .. وهكذا يكونُ الاختبارُ بالنسبةِ للناسِ، فَيُضلُّ اللهُ بعضَهم، أي يَخذُلُه و يُهلِكُهُ بذنوبِهِ، و يَهدي بعضَهم: « **كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ و يَهْدي مَنْ يَشاءُ** » ..

ويَنبغي أن نفهَمَ: أنّ اللهَ سبحانَهُ، لا يُضِلُّ العبادَ ظُلماً، ولا يَفعلُ فيهم الضلالةَ .. بل يُكلِّفُهُم، فَيَعصونَ أوامرَهُ، فَيَضلّون، فَيُقالُ: أضلّهُمُ اللهُ؛ أي أهلكَهُم بِذنوبِهِم، لانّه كلّفَهُم، ولمْ يَستجيبوا، فَضَلُّوا بِسببِ ذلكَ الاختبارِ الالهي ..

إنَّ اللهَ سبحانَهُ يُريدُ هدايةَ الناسِ جميعاً؛ لِذلكَ أرسَلَ اليهِمُ الانبياء، ووضّحَ لهم

طريقَ الهدايةِ والايمانِ .. إنّما الانسانُ هو الذي يختارُ طريقَ الهُدى أو طريقَ الضلالِ .. فاذا اختارَ طريق الضلالِ أضَلَّهُ اللهُ ، واذا اختارَ طريقَ الهُدى أعانَهُ اللهُ على الهُدى فَهَداهُ ..

« وَمـا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هوَ وَما هِيَ إلّا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ » .. وفي هذهِ الآيةِ يُوضّحُ القرآنُ أن لا أحدَ يعلمُ ــ إلّا اللهُ ــ عظمةَ وشدّةَ القوى التي يُسخّرُها اللهُ سبحانَهُ لإدارةِ هذا العالَمِ في الدنيا والآخرةِ ، مِنَ الملائكةِ ، وغيرِهِم ..

أمّا إخبارُهُ لَنا عَن عدّةِ الملائكةِ المُوكّلينَ بِسَقَر « تِسْعَةَ عَشَرَ » ، أخبرنا لِتكونَ مَوعظةً للناسِ لَعلّهُم يَحذَرونَ ..

مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ
الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ

ٱلْأَخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

شرح المفردات

من الآية ٣٢ الى الآية ٥٦

وَاللَّيلِ إِذْ أَدبَرَ : أقسمَ باللّيلِ اذا ذَهَبَ وانقضى .

اِذا اَسْفَرَ : أقسمَ بالصّبح اِذا انكشفَ ضَوؤهُ وظَهَرَ .

إِنَّهَا لَاحدَى الكُبَرِ : اِنَّ جهنّمَ لَاحدى الدواهي العظيمةُ .

يتقدَّمَ : يَتقدَّم في طاعةِ الله .

يتأخَّرَ : يتأخّر عن الطاعة بالمعصية .

كَسبَتْ : جَلَبت لِنَفسها نَفعاً أو ضرراً .

رهينَةٌ : مَرهونة بِعَملها .. أي أنّ مصيرها متوقّف على أعمالِها التي كَسبتها ، من خَير أو شَرّ .

ما سَلَككُم في سَقَر : ما الذي أدخلكم النار .

وكُنّا نَخوضُ مع الخائضين : كنّا نُشارك أهلَ الباطلِ بِباطلهم .

نُكذِّب بِيوم الدِّين : لا نُصدّق بِيَوم الجَزاء ، وهو يوم القِيامة .

حتى أتانا اليَقين : بقينا على حالة المَعصِية حتى أتانا الموتُ ، أو حتى رَأينا ما وَعدنا الله من جزاء في عالم الآخرة .

عن التَّذكرة : التذكرة : القرآن ، وسُمّي بالتّذكرة لأنّه يُذكّر الناس بالله و بالدين .

مُعْرِضين : لا يَستَجيبون ، والمعنى لا يُؤمنون بالقرآن .

حُمُرٌ : جَمعُ حِمار ، و يُقصد بها الوحشيّة .

مُستَنْفرة : فَزِعت وَشَرَدت .

قُسْوَرَة : الأسد .
هو أهلُ التقوى : انّ الله يستحقّ الطّاعة .
وأهلُ المغفرة : من صفاته أنّه يغفر ذنوب التّائبين .

المعنى العام
للآية ٣٢ الى الآية ٥٦

« كَلاّ وَالْقَمَرِ ۞ والليلِ إذ أدبَرَ ۞ وَالصُّبْحِ إذا أَسْفَرَ ۞ إِنَّها لَإِحْدىٰ الْكُبَرِ ۞ نَذيراً لِلْبَشَرِ ۞ لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَتَقَدَّمَ أوْ يَتَأَخَّرَ » ..

في هذه الآياتِ المباركةِ يقولُ اللهُ تعالى « كلا » أي أنّ الأمرَ ليسَ كما تَوهّمَ الكافرونَ والمُنافقونَ .. فَأُقسِمُ بِعَظَمَتي التي خلقتُ بها القمرَ، وأذهَبتُ بها ظلامَ الليلِ ، وَنَشرتُ ضوءَ الصبح .. أي أقسِمُ بِحَركةِ الليلِ والنهارِ، وضَوءِ القمرِ الدّالةِ على عَظَمتي وقدرتي : إنّ سقرَ هي احدى الدواهي العظيمةِ التي لا مثيلَ لَها ، وهي تنتظرُ المجرمينَ ، وانّ في ذلك لتحذيراً للانسانِ .. لِيَعرفَ مصيرَ المجرمينَ .. وأمامَهُ أن يختارَ الهدايةَ و يتّبعَ الرسولَ (ص) ، فَيتقدّمُ بعملِهِ الصالِحِ ، أو يختارُ الضلالَ ، فيتأخّرُ عن الرسولِ (ص) ، فَيَهلكُ بعملِهِ القبيحِ .

« كلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهينَةٌ » .. إنّ مصيرَ الانسانِ يومَ القيامةِ مُرتبطٌ بنوعِ عملِهِ ، فمن يَختارُ طريقَ الهدى و يطيع الله سبحانه فان مصيرهُ الجنّة ومن يَختارُ طريقَ الضلالِ و يَعصي اللهَ ، فإنّ مصيرَهُ النارُ ..

انّ القرآنَ يُخبرُنا عن قسمينِ مِنَ الناسِ يومَ القيامةِ ، فَقِسمٌ يُحبَسُ بعملِهِ ، وهُمُ المجرمونَ الذينَ يَدخلونَ سَقَرَ .. وقسمٌ يُطلَقُ الى الجنةِ ، وهُمُ المؤمنونَ الذينَ سمّاهُمُ القرآنُ أصحابَ اليمينِ لانّهم يأخذونَ صَحائفَ أعمالِهم بأيْمانِهم ، فقالَ : « إلاّ أصحابَ الْيَمينِ » .. فانّهم في الجَنّةِ يسألُ بعضُهُم بعضاً عن حالِ المُجرمينَ

ومَصيرِهِم «في جَنّاتٍ يَتساءَلونَ ۞ عَنِ الْمُجْرِمينَ» ..

ثمّ يطّلعونَ عليهِم فَيَرَونَهُم في جَهنّمَ فَيَسألونَهُم ما الّذي أدخَلَكُم في هذا العذابِ .. فَيُجيبونَهم أن سببَ دخولِنا سَقَرَ هو أنّنا : «لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلّينَ ۞ ولم نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكينَ» .. وانّ القرآنَ يُوضّحُ لنا أنّ مِنْ أكبرِ الكبائرِ التي تقودُ الانسانَ الى النارِ هي تركُ الصلاةِ، وحِرمانُ الفقراءِ حقوقَهُم، والخوضُ مع الضّالّينَ : «وَكُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضينَ» .. أي كنّا نُشارِكُ الظالمينَ والمُفسدينَ والضّالّينَ في أعمالِهِم، ونوافِقُهُم على طريقِهِم، وكنّا لا نؤمنُ بيومِ الحسابِ : «وَكُنّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدّينِ» .. كنّا نفعلُ كلّ ذلك، ونحن لاهونَ، كافِرونَ باليومِ الآخرِ، حتى أتانا الموتُ، ورأينا الحسابَ والعذابَ : «حَتّىٰ أَتانا الْيَقينُ» .. فانّ ذلك حقٌّ وصدقٌ .

انّ هؤلاءِ المجرمينَ بعدَ أن تَركُوا الايمانَ والعملَ الصالحَ، لا يمكنُ أنْ يَشفعَ لهم أحدٌ أو تُقبَلَ شفاعَتُهُ : «فَما تَنْفَعُهُم شَفاعَةُ الشّافِعينَ [1]» ..

انّ في يومِ القيامةِ يَقبَلُ اللهُ سبحانهُ شفاعةَ النبيينَ والشهداءِ والصالِحينَ، فَيُؤذَنُ لهم بِأنْ يَشفَعوا لِبعضِ العُصاةِ، وَيُنقَذوا بهذهِ الشفاعةِ مِنَ العذابِ .. ولكنَّ أولئكَ الذين فعلوا هذه الجرائمَ وكفروا بيومِ الحسابِ، لا يَقبَلُ اللهُ شفاعةَ أحدٍ مِنَ الخلقِ بِهم، ومَصيرُهُمُ العذابُ والجحيمُ .

«فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضينَ ۞ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۞ بَلْ يُريدُ كُلُّ امْرِئٍ أَنْ يُؤتىٰ صُحُفاً مُنَشَّرَةً ۞ كَلاّ بَلْ لا يَخافُونَ الآخِرَةَ ۞ كَلاّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ ۞ وَما يَذْكُرُونَ إِلاّ أَنْ يشاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ» ..

بعدَ أن تحدّثَ القرآنُ عن مصيرِ المجرمينَ، واعترافِهِم بالاسبابِ التي أدخَلَتهُمُ النارَ؛ لِيَكونوا موعظةً للناسِ، عادَ فَتحدثَ عن الكفّارِ، وتساءَلَ قائلاً ما الّذي أصابَ

---

(١) حديثٌ في الشّفاعةِ : «قالَ النبيُّ(ص) : ... والشّفاعةُ لا تكونُ لأهلِ الشّكِ والشّركِ، ولا لأهلِ الكفرِ والجحودِ، بل تكونُ للمؤمنينَ مِن أهلِ التوحيدِ» بحار الأنوار/ ج (٨) / ص (٥٨) .

عقولَهُم ونفوسَهُم حتى ٱبتَعَدوا عَنِ القرآنِ والهُدى الّذي جاءَ بِهِ محمدٌ (ص)، وَفَرّوا عنهُ، كما تَفرُّ الحميرُ الوحشيةُ مِن الأسودِ .. إنّهم لا يُصدّقون رسالةَ النبيِّ محمدٍ (ص) لِشَكِّهِم وعِنادِهِم، ويُريدُ كُلُّ واحدٍ مِنهم أن يُنزِلَ اللهُ عليهِ كتاباً خاصاً .. كما نَزَلَ القرآنُ على محمدٍ (ص) ..

حقاً انّهم لا يَخافونَ عقابَ الآخرةِ، ولا يتَصوّرونَ مَصيرَهُمُ المؤلمَ في ذلكَ العالمِ .. حقاً إنّ القرآنَ يَحمِلُ الموعظةَ والهدايةَ للانسانِ، وهو الدليلُ والمُرشِدُ للحقِّ والخيرِ، فَمَنْ أرادَ أن يَهتديَ اتّعظ بِهِ واكتفى بهدايتِهِ، وما يَهتدونَ اِلّا بمشيئةٍ مِنَ اللهِ، فَهُم لَمْ يغلِبُوا اللهَ بارادَتِهِم حينَ عَصَوْهُ ..

وتُذَكِّرُنا هذه الآيةُ أنَّ اللهَ سبحانَهُ، هوَ المستحقُّ لأنْ يُتّقى ويُخشى ويُطاعَ، وهو الغفورُ لِمَنْ يَتوبُ ويَتّقي، ويَعرِفُ للهِ حقَّهُ.

سُورَةُ القِيامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ١٩

لا أقسِمُ : لا حاجةَ أنْ اُقسِمَ بيوم القيامةِ ، علىٰ قُدرةِ اللهِ علىٰ البَعثِ والنّشورِ ، فانّ ذلك أمرٌ مؤكدٌ الوقوع ، ولا يحتاجُ الىٰ قَسَمٍ .. والمعنىٰ : الذي تتضمّنُهُ هذه الآيةُ : هو أنَّ اللّهَ يُقسمُ بيوم القيامةِ الدّالةِ علىٰ قدرتِهِ ، وأنّهُ سَيَبعَثُ مَن في القبورِ.

بِالنَّفسِ اللَّوامَةِ : النّفسُ اللّوامةُ : هي النفسُ الكثيرةُ اللّوم لِصاحِبها علىٰ ما فاتَ مِن

خيرٍ، أو شرٍّ. واللّهُ سبحانَهُ يُقسِمُ بِالنّفسِ اللّوامةِ (١)... كما أقسَمَ بِيومِ القيامةِ، أن يَبعَثَ مَن في القبورِ.. والآيةُ بِقَسَمِها توضّحُ نَدَمَ الانسانِ وَلومه لِنَفسِهِ يومَ القيامةِ علىٰ ما ضيّعَهُ في الدنيا.

أيَحسبُ الانسانُ أنْ لَنْ نجمَعَ عظامَهُ

: أيَظُنُّ الانسانُ أنّ اللّهَ سوفَ لَن يُعيدَ خَلقَهُ، وتكوينَهُ، وَبعثَهُ لِيَومِ الحسابِ.

نسوّيَ بنانَهُ

: البنانُ: هي الأصابعُ.. والمعنىٰ: أنّ اللّهَ قادرٌ علىٰ أن يُعيدَ خَلْقَ أصابعِ الانسانِ كما كانَت.. و يَقصدُ بذلك أنَّ اللهَ قادرٌ علىٰ احياءِ الموتىٰ.

بلْ يريدُ الانسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ

: يُريدُ أنْ يستمرَّ في فجورِهِ.. والمعنى: انّ الانسانَ الكافرَ لم يكفُرْ بيومِ القيامةِ، اِلاّ لأنّه يُريدُ في فعلِ المعاصي الفاضحةِ مادامَ حياً.

يَسألُ أيّانَ يومُ القِيامةِ

: يَسألُ الكافرُ: مَتىٰ يومُ القيامةِ؟ وهو سؤالُ مُنكرٍ لها.. لا يُصدّقُ بُوقوعِها.

برِقَ البَصَرُ

: تَحَيّرَ بَصَرُ الانسانِ، واذْهِلَ مِن شِدّةِ الخوفِ والفزعِ، مِمّا يرىٰ من أحداثِ يومِ القيامةِ.. أو عندما يرىٰ مَلَكَ الموتِ.

خسف القمر

: ذهبَ ضَوؤهُ ونورُهُ.

جمعَ الشمسُ والقمرُ

: ذهبَ ضَوؤهُما معاً، فَحَلَّ في الأرضِ الظّلامُ.. والآيةُ توضّحُ ثلاثَ علاماتٍ لِيومِ القِيامةِ هي: برقُ البَصرِ، لِهَولِ ما يرىٰ مِن أحداثٍ مُرعِبَةٍ.. وخُسوفُ القمرِ.. والجمعُ بينَ الشمسِ والقمرِ.

يقولُ الانسانُ يومئذٍ أينَ المفرُّ

: يقولُ الانسانُ أينَ الفرارُ حينما يَرىٰ علاماتِ وقوعِ القيامةِ لِشدّةِ خوفِهِ وَحَيرتِهِ.

لاوَزَرَ

: لا مهربَ ولا مَلجأَ يَلجأون إليهِ، فَيُنجيهم من أحداثِ ذلكَ اليوم.

الىٰ ربّكَ يومئذٍ المستقرُّ

: المستقرُّ: المُنتهىٰ.. أي الى ربّكَ يامحمّدُ (ص) يَنتهي مصيرُ الخلائقِ كُلِّها. فَيُحاسِبُهم و يُجازيهم.

يُنبَّؤُ الانسانُ يومئذٍ بما قدَّمَ وأخَّرَ

: يُخبَرُ الانسانُ يومَ الحسابِ بكاملِ عملِهِ.. ما فَعَلَ، وما تَرَكَ.

---

(١) قالَ بعضُ المفسّرينَ: هي النّفسُ المؤمنةُ التي تلومُ صاحبَها اذا قَصّرَ في طاعةِ اللهِ.

بلِ الانسانُ عَلَىٰ نفسِهِ بَصيرَةٌ : إنَّ الانسانَ عالِمٌ بِنفسِهِ وعارِفٌ بِخَيرِها وشَرِّها .. فهو حجّةٌ على نفسِهِ وشاهدٌ عليها .

وَلَوْ أَلْقَىٰ معاذِيرَهُ : وَلَو اعتذَر وجادلَ عن نفسِهِ ، فلا ينفعُهُ ذلك ..

لا تُحرِّكْ بِهِ لسانَكَ لتعجلَ بِهِ : لا تحرّكْ بالوحْي لِسانَكَ يامحمدُ (ص) .. أي لا تستعجلْ .. إنتظرْ حتىٰ يَقرأ عليك جبريلُ ، و ينتهي من قراءتِهِ .. ثم اقرأ بعدَهُ .

إنَّ عَلَينَا جمعَهُ وقرآنَهُ : إنَّ علىٰ اللهِ جمع القرآنِ كاملاً لَديكَ ، حتىٰ تَحفَظَهُ ، فلا يَضيعُ شيءٌ منهُ .. وعلىٰ اللهِ ايصالُ قراءتِهِ اليكَ بِواسطةِ جبريلُ (ع) .

فَاذَا قَرأنَاهُ : فاذا قرأهُ جبريلُ (ع) عليكَ بِأمرِنا ــ أي بأمرِ اللهِ ــ وانتهى من القراءةِ .

فاتَّبِعْ قُرآنَهُ : فَاقرأهُ كما يقرؤُهُ جبريلُ (ع) .

علينَا بيانَهُ : على اللهِ تَوضيحُ معنىٰ القرآنِ اليكَ .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ١

« لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيامَةِ وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ ٱللَّوّامةِ » ..

يقولُ اللهُ سبحانَهُ : لا حاجةَ للقسمِ بوقوعِ القيامةِ ، وتأكيدِ ذلكَ ، ولا حاجةَ للقَسَمِ بالنفسِ اللّوامةِ .. فأمرُ وُقوعِ القيامةِ حقيقةٌ لا تحتاجُ الى القسمِ .. بل هو أمرٌ واقعٌ لا شكَّ فيه ..

والآيتانِ تتضمّنانِ القسمَ بقدرتِهِ على تكوينِ أدَقِّ جُزءٍ مِنَ الانسانِ .. وهوَ الأصابعُ ، وما حَوَتْ من تركيبٍ وتعقيدٍ .. فَلِمَ يَظُنُّ الانسانُ أنَّ اللهَ غيرُ قادرٍ على البعثِ والنّشورِ ؟

« بَلْ يُريدُ ٱلإنسانُ ليفجُرَ أمامَهُ * يَسْأَلُ أيّانَ يومُ ٱلقيامَةِ * فَإذا بَرِقَ ٱلبَصَرُ *»

وَخَسَفَ ٱلقَمَرُ ۞ وجُمِعَ ٱلشَّمسُ والقمرُ »[1] ..

إنَّ الانسانَ الكافرَ بيوم الحسابِ انّما يُنْكِرُ ذلكَ ؛ لأنّهُ يُريدُ أن يستمرَّ على ارتكابِ الجرائمِ ما دامَ حياً .. وليسَ لِعدَمِ قُدرةِ اللهِ على البعثِ والنّشورِ ..

إنّ هذا الكافرَ يتساءلُ مُستهزئاً .. متى يكونُ يومُ القيامة .. ؟

والقرآنُ يُجيبُهُ مُهدِّداً ، ورادّاً على سخريتِهِ .. انّكَ ستعرفُ يومَ القيامةِ .. انّهُ اليومُ الذي يَشخصُ فيه بصرُكَ ، فَتنجَمِدُ أجفانُكَ ، ولا تستطيعُ إطباقَها لِهولِ ما تَرى مِن حَوادِثَ مُذهلَةٍ ، يَطيرُ لها قلبُك خوفاً وفزعاً ..

انّهُ اليومُ الذي يَتغيّرُ فيهِ نظامُ الكونِ ، فَيخسِفُ القمرُ ، و يَفقدُ ضَوءَهُ .. و يُجمَعُ مَعَ الشّمسِ ، بعدَ أنْ يتغيّرَ نظامُ حركتِها ، فتفقدُ هي أيضاً ضَوءَها ، وحرارتَها ؛ فَيُغطِي الأرضَ الظلامُ ، انّ تلكَ الأحداثَ هي من علاماتِ القيامةِ .. ان كنتَ تسألُ عنها ، فانتَظِرها أيُّها المُنكِرُ لَها .

عندما تَرى تلك العلاماتِ والاحداثَ ، ستَعرِفُ موعدَ القيامةِ .. وعندَها : « **يَقُولُ ٱلإنسانُ يَوْمئِذٍ أيْنَ ٱلْمَفَرّ ۞ كَلاّ لا وَزَرَ ۞ إلىٰ ربِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلمُسْتقرُّ** » ..

ستستولي على اولئكَ الكافرينَ الحيرةُ والرّعبُ ، فَيَفزعونَ مُتسائلينَ : هل مِن ملجاءٍ نَفِرُّ اليهِ من تلكَ الأهوالِ والفجائع .. ؟ ليسَ هناكَ مِن مَلجاءٍ ، ولا مأوًى يَدفعُ ذلك الهولَ .. لقدْ دُمِّرَتِ الأرضُ والسمواتُ ، وتغيّرَ كُلُّ شيءٍ ، فَمصيرُ الخلائقِ ، والمُنتهى الى ربِّكَ يا محمدُ (ص) ، لِيَقِفوا بينَ يديهِ للحسابِ والجزاءِ .. سَيُخبَرُ الانسانُ بما عَمِلَ وتركَ من طاعاتٍ ومعاصٍ ، فَيُجازى بها .. ثم : « **يُنَبّؤُا ٱلإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأخَّرَ ۞ بَلِ ٱلإنْسانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصيرَةٌ ۞ وَلَوْ ألقىٰ مَعاذيرَهُ** » ..

انّ الانسانَ عارفٌ بنفسِهِ وَحقيقتِهِ .. ويَدري ما صَنَعَ ، وما فعلَ في عالَمِ الدنيا ،

---

(١) وقيلَ أن معنى جمع الشمسِ والقمرِ .. هو اجتماعهُما في الطُّلوعِ مِنَ المَغربِ . وقالَ علماء الفَلَكِ المعاصرونَ : أن لهذا الكونِ نهايةً .. وفي نهايتِهِ ستفقدُ الشمسُ حرارتَها ، وتتحوّلُ الى جسمٍ باردٍ كبيرِ الحجمِ ، وستمتدُّ جاذبيّتها الى القمرِ ، فتسحبهُ اليها ، و يندمجُ معها .

وتلك جوارحُهُ شاهدةٌ عليهِ ، وإنِ اعتذَرَ ، وحاولَ أن يُدافِعَ عن نفسِهِ .. فلا عذرَ ينفعُ اليومَ ، ولا شيءَ يَخفىٰ على اللهِ ..

« لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإذا قَرَأناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بيانَهُ » ..

وفي هذهِ الآياتِ الأربعِ يُعلِّمُ اللهُ سبحانَهُ نبيَّهُ أدبَ الاستماعِ الى الوحي ، وتَلَقِّي القرآنِ ، ويُطمئِنُهُ أنَّ اللهَ سيجمعُ له القرآنَ كاملاً ، فلا يفوتُهُ شيءٌ منه ، وسيعلِّمُهُ قراءتَهُ ، و يوضِّحُ لهُ معناهُ ..

قالَ المُفَسِّرونَ : كانَ اذا نَزَلَ شيءٌ مِنَ القرآنِ على رسولِ اللهِ (ص) وقرأهُ عليهِ جبريلُ (ع) ، كان يسبقُ جبريلَ باتمامِ بعضِ الكلماتِ ، ويَستعجِلُ بِقراءتِها ، لِحبِّهِ لها ، وخوفِهِ مِن أنْ يَضيعَ شيءٌ منها .. فأنزلَ اللهُ عليهِ هذه الآياتِ ، وأرشدَهُ الى أن لا يستعجلَ ، ولا يَسبقَ بالقراءةِ ، ولا يَخافَ على حفظِ القرآنِ ، وأنْ يتبعَ قراءةَ جبريلَ (ع) ، فانَّ اللهَ متكفِّلٌ بِجمعِ القرآنِ ، وإعانتِهِ على حفظِهِ و بيانِ معناهُ ..

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

شرح المفردات

من الآية ٢٠ الى الآية ٤٠

ناضِرَةٌ	: عليها النورُ، والحُسنُ، والبَهجةُ.
إلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	: راجية رحمتَهُ، متأمّلة فضلَهُ وثوابَهُ.
باسِرَة	: عابسة، كالحة.
تَظُنُّ أن يُفعلَ بِهَا فاقِرَةٌ	: فاقرة: كاسرة لِفَقراتِ الظَّهرِ.. والمعنىٰ: أنّ وجوه العُصاةِ والكافرينَ تَظُنُّ حُلولَ الداهيةِ بِها والعذابِ المدمّرِ.. كالّذي يَكسِرُ الظَّهرَ.
إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي	: التراقي: أعالي الصَدرِ.. والمعنىٰ: اذا بَلَغَتِ الرّوحُ أعاليَ الصَدرِ.. أي أوشكتْ علىٰ الخُروجِ مِنَ البَدَنِ، ودَنا الموتُ.
وقِيلَ مَنْ رَاقٍ	: راقٍ: طبيبٌ يُداوي و يَشفي.. والمعنىٰ: وقالَ مَنْ حضرَ مِن أهلِهِ ــ بيأسٍ ــ هل مِن طبيبٍ يُداويهِ، و يَشفيهِ.
وظَنَّ أنَّهُ الفراقُ	: وعلم أنّهُ مُفارقُ الدنيا، وما فيها مِنَ الأهلِ والمالِ والسلطةِ والجاهِ.. الخ.
والتَفَّتِ السَّاقُ بالسّاق	: اذا اَلتَقَتْ إحدىٰ ساقي الميتِ بِساقِهِ الأخرىٰ؛ لأنّها فاقدةُ الحياةِ.. أي اذا فَقَدَ الحركةَ والسيطرةَ علىٰ نفسِهِ بِفَقدِ الحياةِ.
إلىٰ رَبِّكَ يَومئذٍ المَسَاقُ	: المَساقُ: السَّوقُ.. أي يُساقُ الانسانُ في ذلكَ اليوم الىٰ ربِّكَ يامحمدُ (ص).
فَلا صَدَّقَ	: فلا صدّقَ دعوةَ الرسولِ (ص).
ثمّ ذَهبَ الىٰ أهلِهِ يتمطّىٰ	: يَتَمَطّى: يَلوي ظهرَهُ.. والمعنىٰ: ذهبَ الىٰ أهلِهِ يَتَبَختَرُ، تكبُّراً واعجاباً بِنفسِهِ.
أوْلىٰ لَكَ فَأوْلَىٰ	: قَربَ مِنكَ المكروهُ والهَلاكُ.. وهو دعاء علىٰ ذلكَ الكافرِ.
أيَحسبُ الانسانُ	: أيظنُّ الانسانُ.. والمقصودُ بِذلكَ هو أبو جهلٍ.
أنْ يُترَكَ سُدى	: أنْ يُهمَلَ أمرُهُ، فلا يُكَلَّفُ بِدينٍ ومَسؤوليةٍ.

المعنى العام

للآية ٢٠ الى الآية ٤٠

وتلك الآياتُ تُعلّمُنا أدبَ الاستماعِ والمحاورةِ في حياتِنا الاجتماعيةِ.

« كَلاّ بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعاجِلَةَ ۞ وتَذَرُونَ ٱلآخِرَةَ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرةٌ ۞ الى ربِّها ناظِرةٌ[1] ۞ وَوُجوهٌ يومئذٍ باسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أن يُفْعَلَ بِها فاقِرةٌ »..

« كَلاّ » أي : انّكم أيّها الناسُ لا تَفهمونَ القرآنَ، ولا تَسيرونَ على هداهُ، ولكن تُحِبّونَ الدّنيا، وما فيها من لَذّةٍ وزخارفَ، وتَتركونَ الاهتمامَ بيومِ الآخرةِ، والعملَ لها..

انّ الناسَ سيكونونَ يومَ الحسابِ فريقَينِ.. فريقٌ يعلو وجوهَهُمُ النّورُ والبهجةُ والسرورُ، يَرجونَ ثوابَ اللهِ ونَعيمَهُ.. وفريقٌ ترى وجوهَهُم كالِحةً، عابسةً، لانّها عرفَتْ ما يَنتظِرُها من داهيةِ العذابِ المدمّرِ.

« كَلاّ اِذا بَلَغَتِ ٱلتَّراقِيَ ۞ وَقيلَ مَنْ راقٍ ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِراقُ ۞ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسّاقُ بِالسّاقِ ۞ إلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَساقُ »..

« كَلاّ ».. أي : هذا الكافرُ لا يُؤمنُ بيومِ القيامةِ، ولكنّهُ سيَرى الحقيقةَ، اذا حَضَرَهُ الموتُ، وصارَ في حالةِ النزعِ، ووصلتْ روحُهُ الى أعلى صدرِهِ، وأوشكَتْ على الخروجِ مِن جَسدِهِ، ونظرَ اليهِ أهلُهُ وأحباؤهُ الذين حَضروهُ، وهو يوشكُ أن يموتَ، فقالوا : مَن يُعالِجُهُ ويَشفيهِ مِنَ الموتِ، وهمْ في حالةِ اليأسِ، وفقدانِ الأملِ..

---

(١) روي عن الامام عليّ بن موسى الرضا(ع) : أنّه فسّرَ هذهِ الآيةَ بقولِهِ : يعني : «مشرقةٌ تنتظرُ ثوابَ ربّها» / الصدوق / عيون أخبار الرّضا. اذ لا يصحّ أن نفسّرَ قولَ اللهِ : «الى ربّها ناظرة» أنّها ترى ربّها رؤيةً ماديةً، كما ترى الأشياءَ الأخرى ؛ لانّ اللهَ منزّهٌ عن رؤيةِ الخلقِ لهُ رؤيةً ماديّةً.. قال تعالى : «لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» الانعام / (١٠٣)..

كما انّ معنى كلمة «نظر» في اللغة لا تعني الرّؤيةَ.. لذلكَ يقال : نظرَ فلانٌ الى الهلالِ فلم يَرَهُ. / الطبرسي / مجمع البيان.

واعتقدَ هو بحلولِ الموتِ ، ومفارقةِ الأهلِ والأحبّةِ ، وما جَمَعَ من مالٍ وحطامٍ .. والتفّتْ ساقاهُ الواحدةُ بالأخرى ، كما تَلتَفُّ قِطعتا الجلدِ الواحدةُ على الأخرى ؛ لِفقْدِهِ الحركةَ والحياةَ ، والسيطرةَ على النفسِ ، وتحوّلِهِ الى جُثّةٍ هامِدَةٍ ..

اذا حدثَ كلُّ ذلكَ ، سَيَرَى الكافرُ مصيرَ تكذيبِهِ ، فانَّ الى اللهِ مَصيرَ الخَلائقِ جميعاً ، ومَحشرَها .. وعندئذٍ سيرى ما كانَ يُنكِرُهُ في الدنيا ويُكذّبُ بِهِ ..

« فَلا صَدَّقَ وَلا صَلّىٰ * وَلٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّىٰ * أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ * ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ » ..

وفي هذه الآياتِ يتحدّثُ القرآنُ عن أبي جهلٍ ؛ الّذي كذّبَ رسولَ اللهِ (ص) ، ولم يتصدّقْ في دنياهُ ، ولمْ يصل للهِ سبحانَهُ ، ولكنّهُ أعرضَ عن دعوةِ رسولِ اللهِ (ص) ، وتركَهُ ، وذهبَ الى أهلِهِ ، وهو يمشي مُتبختِراً مُتكبّراً ..

لقد ذمّهُ اللهُ سبحانَهُ وهددَهُ بما يكرَهُ ، وبحلولِ العذابِ بِهِ ، والانتقامِ منه .. فقالَ لهُ : **« أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ (١) ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ »** .. أي وَلِيَكَ الشرُّ والعذابُ ، وأصابَكَ .. ثم وَلِيَكَ الشرُّ وأصابَكَ .. وبُعداً لكَ مِنَ الخيرِ ..

« أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنىٰ * ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثىٰ * أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ » ..

وفي هذه الآياتِ يَسألُ القرآنُ الانسانَ ؛ لِيُنَبِّهَ وَعيَهُ واحساسَهُ ، أيظنُّ أن يُتركَ ويَعيشَ في الحياةِ مِن غيرِ تكليفٍ ، ولا مسؤوليةٍ ولا مَعادٍ .. كيف يُتركُ وقد خَلَقَهُ اللهُ مِن نطفةٍ ، ثمّ كوّنَهُ وجعلَهُ اِنساناً عاقلاً ، يملكُ الارادةَ ويستطيعُ أن يعملَ ما يشاءُ .. وجعلَ الذّكرَ والأنثى .. إنّ الّذي خَلَقَ الانسانَ من هذِهِ البدايةِ كيف لا يكونُ قادِراً على احياءِ الموتى .. وهو خالقُ الحياةِ من العَدَمِ .

---

(١) روي أنّ رسولَ الله (ص) أخذَ بيدِ أبي جهلٍ ، ثم قالَ لَهُ : «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» .. فقال أبوجهلٍ : بأيِّ شيء تُهددُني ، لا تستطيعُ أنتَ ، ولا ربُّكَ ، أن تفعلا بي شيئاً ، وانّي لأعزُّ أهلِ هذا الوادي .. فأنزل اللهُ سُبحانَهُ ، كما قال لهُ رسولُ اللهِ . / السيوطي / الدّر المنثور ، والطبرسي / مجمع البيان .

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا

﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ٢٢

هَلْ أتىٰ عَلَىٰ الانسانِ : ألَمْ يمرَّ على الانسان .. ؟
حينٌ : مدّة محددة من الزمن .
الدَّهر : الزَمنُ الأبدي غير المَحدودِ ببدايةٍ أو نهايةٍ .
لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذكُوراً : لم يكن مخلوقاً .. ومعنىٰ الآية هو: قد مرَّ على الجَسِ البشري مدّة زمنيّةٌ لم يكنْ مخلوقاً فيها .
نطفَةٍ : النطفةُ : الماء الصافي .. وتعني هنا : ماء الرّجلِ ، وهو المَنيّ .
أمشاجٍ : أخلاط .. أي : من اختلاطِ المَنيّ بماءِ المرأةِ ــ أي من حُوَيمنِ الرجلِ وبيضِ المرأةِ ــ .
نبتَليهِ : نَختَبِرُهُ .
إنّا هَديناهُ السَّبيلَ : وَضّحْنا له طريقَ الهدايةِ .
أعتَدْنَا : هَيَّأنا .
أغْلالاً : قيوداً .
سَعيراً : ناراً مشتعلةً .
كَأسٍ : إناء الشّرابِ ، الذي فيه الشرابُ .
مِزَاجُها كافُوراً : ممزوجةٌ بالكافورِ ، وهو مادة عطرة ، طيبةُ الرائحةِ .

يُفَجِّرونها تفجيراً : يُجرونَها الى منازلِهم ، وقصورِهم ، حيث شاؤوا مِن غيرِ عملٍ أو تعبٍ وفقَ ارادَتِهم بأذنِ اللهِ .

مستطيراً : منتشراً في جانبٍ واتجاهٍ ، أقصى ما يكونُ الانتشارُ .

يُطعِمُونَ الطَّعامَ عَلَىٰ حُبِّهِ : يُطعمونَ الفقراءَ بما عندَهُم مِن طعامٍ ، معَ حاجتِهم اليهِ ؛ واشتهائِهِ .

عَبُوساً : مُكفَهِرّاً ، تَنقَبِضُ فيهِ الوجوهُ وتكلَحُ لِشدةِ ما فيهِ من الخوفِ والعذابِ .

قَمْطَرِيراً : شديداً ، صعباً .

فَوقاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ : دفعَ اللهُ عَنِ الأبرارِ شرَّ ذلكَ اليوم .

ولقّاهُمْ : اِستَقبَلَهُم .

نَضْرَةً : النضرةُ : البهجةُ وحُسنُ اللونِ .. والمعنىٰ : استقبَلَهُم ربُّهم بالحُسنِ والبهجةِ والسرورِ .

الأرائكِ : الأسِـرّة .

زَمْهَرِيراً : برداً شديداً .. والمعنىٰ : ليسَ في الجنةِ شمسٌ يَتأذَّونَ مِن حَرِّها ، ولا بَردٌ يتأذونَ مِنهُ . وقيل إنَّ الزمهريرَ ، هو القمرُ .. فيكونُ المعنىٰ : إنَّ الجنَّةَ مُزهرة ، مضيئةٌ بطبيعَتِها ، فليسَ فيها شمسٌ ولا قمرٌ .. لأنها لا تحتاجُ الىٰ ضوءِ الشمسِ ولا الىٰ نورِ القمرِ .

دانيَةً عليهِمْ ظِلالُها : ظلالُ أشجارِ الجنَّةِ قريبةٌ مِنهم ، أي تُظَلِّلُهُم أفياءُ تِلكَ الأشجارِ .

ذُلِّلَتْ : سُهِّلَتْ وَ يُسِّرَتْ .

قُطوفُها : ثمارُها .. والمعنىٰ : إنَّ ثمارَها يُسِّرَتْ لِلقطفِ والتناوُلِ ، تُؤخذُ من غيرِ تَعَبٍ أو جُهدٍ .

يُطافُ عليهِمْ : يَأتيهِمُ الولدانُ بالشرابِ .

قَواريرَا : زُجـاج .

قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ : أي : انَّ هذه الأكوابَ بيضاءُ كالفضَّةِ ، صافيةٌ كالزجاجِ ، وهي ليست من الفضَّةِ ، إلاّ انَّها بيضاءُ بِلَونِ الفضَّةِ ، صافيةٌ شَفافةٌ كالزجاجِ .

قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً : جَعَلوا في تلكَ الأكوابِ مِنَ الشرابِ كالزجاجِ علىٰ قَدرِ حاجةِ

الشّارب .

مِزاجُهَا زَنجبِيلاً : شَرابُها ممزوجٌ بالزنجبيلِ . والزنجبيلُ : سهلُ الشرابِ ، لذيذُ المَذاقِ .

سَلْسَبِيلاً : السلسبيل : اسمُ عينٍ في الجنةِ . والمعنى : يَخلطون كأسَ الخمرِ بالزَنجبيلِ ، المأخوذِ من عَينٍ سلسبيلٍ في الجنةِ ، فيَشربونَ مِنه .

وَاذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رأيتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبيراً : اذا نظرتَ هناكَ .. أي اذا نظرتَ الجنةَ .. سَتَراها نعيماً ومُلكاً كبيراً .

عالِيهُمْ : عَلَيهم ، أي قد لَبِسوا .

سُندُسٍ : حريرٍ رقيقِ النَسجِ .

اسْتَبْرَقٍ : حريرٌ غليظُ النَسجِ .

حُلُّوا : زُينوا .

أَساوِرَ : جمعُ سوارٍ ، والسوارُ نوعُ الحُلي ، يوضعُ في اليدِ للزّينةِ .

تعريف [1] :

قال المفسّرونَ انّ الآياتِ الكريمةَ من قولِهِ تعالى : « **هَلْ أتى على الإنسانِ حينٌ مِنَ الدّهرِ** الى قوله تعالى : **وكانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً ..** » قد نزلت في فضلِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (ع) ، وزوجتِهِ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله (ص) ، وولديهِ الحسنِ والحسينِ (ع) ، وخادِمَتِهم فضّةَ (رض) .

وذكروا أن سببَ نزولِ هذهِ الآياتِ ، هو : ان الحسن والحسين (ع) ، قد مَرِضا فقال بعض الصحابةِ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ (ع) : لو نَذرتَ على وَلديكَ نَذراً .. فنذرَ صومَ ثلاثةِ أيامٍ إنْ شفاهُمُ اللهُ سبحانَهُ ونذرتْ فاطمةُ مثلَ ما نَذَرَ ، كما نذرتْ فِضةُ مثلَهُما أيضاً ، فَبَرِئَ الحسنُ والحسينُ (ع) من مرضِهما ..

فصامَ عليٌّ وفاطمةُ وفضةُ ، وفاءً بالنّذرِ ، ولم يَكُن عندَهُم غيرُ مقدارٍ قليلٍ مِنَ

---

(١) الواحدي / أسبابُ النزولِ ، الزمخشري / الكشّاف .

الشعيرِ، فَطَحنتهُ فاطمةُ، وصنعوا منهُ طعاماً(٥)، فلمّا نَضِجَ الطعامُ، جاءهم مسكينٌ، فَوَقفَ في البابِ، وطلبَ منهم طعاماً.. فاعطَوهُ شيئاً مِنَ الطعامِ، ثم جاءَهُم بعدَ ذلك يتيمٌ، ووقف بالبابِ، يطلبُ طعاماً، فاَعطَوهُ قسماً مِنَ الباقي.. ثم جاءَهم أسيرٌ، يطلبُ طعاماً، فأعطَوهُ ما تبقّى مِنَ الطعامِ.. وهكذا لم يبقَ لهم مِنَ الطعامِ شَيءٌ، فأفطَروا على الماءِ.. وقد آثَروا على أنفسِهم، رغم حاجَتِهم الى الطعامِ، واشتهائِهم لَهُ.. فَضَرَبوا بذلكَ المثلَ الأعلى في الايثارِ، وحبِّ الخيرِ.. فشكرَ اللهُ لهم ذلكَ، وعَظّمَ عَمَلَهُم، وخَلَّدَهُ في تلكَ الآياتِ الكريماتِ؛ لِيكونوا قُدوةً للبشريةِ، ومثلاً أعلى لِلمُسلمينَ.

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ٢٢

«هَلْ أَتَى عَلَى ٱلإِنْسانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيئاً مَذْكُوراً»..

إنَّ القُرآنَ يُريدُ مِنَ الانسانِ في هذهِ الآيةِ أنْ يتفكّرَ في تأريخِ نَشأةِ الجنسِ البَشري على هذهِ الأرضِ، فيسألُهُ: أَلَمْ يَمُرَّ عليكَ حينٌ مِنَ الدهرِ، وأنتَ غيرُ موجودٍ، ولم تكنْ شيئاً يُذكرُ، فأَوجَدَكَ اللهُ وسَوّاكَ.. لِيُعرِّفَهُ بِفضلِ الخالقِ، الذي أوجَدَهُ، ويُشعِرَهُ بِقدرةِ اللهِ، القادرِ على أن يَخلُقَ ما يَشاءُ مِنَ العَدَمِ؛ لِيَعرِفَ امكانيةَ البَعثِ والنُّشورِ، واعادةِ خَلقِ الانسانِ بَعدَ الموتِ، وامتزاجِهِ بِتُرابِ الأرضِ..

«إِنّا خَلَقْنا ٱلإِنْسانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَّبْتَليهِ فَجَعَلْناهُ سَميعاً بَصيراً * إِنّا هَدَيْناهُ ٱلسَّبيلَ إِمّا شاكِراً وَإِمّا كَفُوراً»..

---

(٥) يُقال: إنَّ فاطمة(ع) صَنعتْ لهم من طحينِ الشعيرِ طعاماً يُقالُ لَهُ الحَريرة، وهي: الحساءُ يُصنَعُ مِنَ الدَّسمِ والدقيقِ.

لقد بدأ اللهُ سبحانَهُ بخلقِ الانسانِ في رحمِ امِّهِ مِنْ اختلاطِ ماءِ الرجلِ بماءِ المرأةِ، مِنَ التمازُجِ بينَ حَيمَنِ[1] الرجلِ وبُويضةِ[2] المرأةِ.. ثمّ وَهبَهُ الحياةَ، وصورةَ الانسانيةِ، والقدرةَ على السمعِ والبصرِ.. ليكونَ مؤهلاً لِلامتحانِ والاختبارِ الالهي في هذهِ الحياةِ.. وكمْ هَوَ الفرقُ بينَ الانسانِ في المرحلةِ التي كانَ فيها نُطفةً.. وبينَ المرحلةِ التي صارَ فيها إنساناً كاملاً، يَسمَعُ، ويَرى، ويتكلّمُ.. إنّ كلَّ ذلكَ ليَدُلُّ على عظمةِ الخالقِ، الذي جعلَ النُّطفةَ إنساناً، يحملُ كُلَّ تلكَ الصفاتِ..

وهذا الانسانُ الذي أُعطِيَ السمعَ والبصرَ، الدّالَّينِ على العقلِ والتمييزِ بينَ الخيرِ والشّرِ، يَختبِرُهُ اللهُ، ويَمتحِنُهُ، بعدَ أن أوضحَ لهُ طريقَ الهُدى والحقِ والخيرِ..

وبعدَ أن اعطاهُ القُدرةَ على اختيارِ الطريقِ الذي يُريدُهُ.. لِيَجزِيَ كلَّ امرئٍ بِما اعتقَدَ وعَمِلَ، مِن هدىً وخيرٍ، أو ضَلالٍ وشَرٍّ.. فصارَ الناسُ بعدَ الاختيارِ فريقينِ، فريقٌ اختارَ الهُدى والصلاحَ، وفريقٌ اختارَ الضلالَ والفسادَ..

«إنّا اعتَدْنا لِلْكافِرينَ سَلاسِلَ وأَغْلالاً وَسَعيراً»..

إنَّ اللهَ سبحانَهُ، قد أعدَّ لِلكافِرينَ ألوانَ العَذابِ والعِقابِ مِنَ السلاسلِ التي يُربَطونُ بِها، والأغلالِ التي تُشَدُّ بها أيديهِم الى أعناقِهِم، عذاباً واهانةً لهم، ومِنَ النّارِ المُستَعِرةِ المؤلِمةِ العذابِ، جزاءَ كفرِهِم وجَريمَتِهِم..

كما أعَدَّ للأبرارِ[3] الجنّةَ.. وما فيها مِن نَعيمٍ، لم تَرَهُ عَينُ الانسانِ في الحياةِ الدنيا، ولم تَسمعْ بِهِ أُذُنُهُ.. فكلُّ ما فيها جديدٌ وغريبٌ، وإنْ تَشابَهَتْ أسماؤها معَ أسماءِ ما هو موجودٌ في الحياةِ الدنيا.. فَلَهُم فيها ما يَشتَهونَ، وما يَتَخَيّرونَ..

وكلُّ شيءٍ فيها يَجري وفقَ اشتهائِهِم، ورَغبَتِهِم..

---

(١) الحيَمَنُ أو الحيوانُ المَنَويُّ: هو الخليةُ التناسليةُ في الذَّكَرِ.

(٢) البويضةُ: الخليةُ التناسليةُ الانثويةُ، التي تخرجُ مِنَ المبيضِ، والتي بعدَ لُقاحِها بالخليةِ التناسليةِ الذكريةِ تنمو بالانقسامِ حتى تصيرَ كائناً حياً من نوعِ أبويها.

(٣) إنّ المقصودَ بالأبرارِ في هذه الآياتِ، هم: عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ وفضّةُ، وهي تنطبقُ على كلِّ من يعملُ عملَهُم، ويقتدي بِهِم من المؤمنينَ الى يومِ القيامةِ.

فاذا أرادوا شيئاً وجدوهُ حاضِراً عندَهم ..

والقرآنُ يَصِفُ في الآيةِ الكريمةِ : «**إنّ الأبرارَ يَشربونَ مِن كأسٍ كانَ مِزاجُها كافوراً ... الى ... انّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً**» ..

يصفُ جانباً مِنَ النعيمِ عندَ حديثِهِ عن عليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ وفضّةَ ، وتَسميتِهِمُ الأبرارَ .. فَيُحدّثُنا عن شرابِ أهلِ الجنّةِ .. ذلكَ الشرابُ اللذيذُ المَذاقِ .. السهلُ الشرابِ ، الذي مُزِجَ بِشرابٍ كافورٍ ، الطّيب العطرِ والنكهةِ .. وكافورٌ : اسمُ عينٍ تجري في الجنّةِ ، وفقَ ارادةِ أهلِها .. وهم عبادُ اللهِ ، الذينَ آمنوا بهِ ، وأخلَصوا العبادةَ لَهُ .. لِذلكَ سَمّاهم عبادَ اللهِ ..

ثم يصفُ الأبرارَ بأنهم يُوفونَ بالنّذرِ ، ويَخافونَ يومَ الحسابِ .. وما فيهِ من شَرٍّ مستطيرٍ عنيفٍ .. قَدِ انتَشرَ فَملأَ الأرجاءَ واستطالَ ، فلا يَنجو منه إلّا مَن رَحِمَ اللهُ ..

ومِن صفاتِ الأبرارِ : أنّهم يُطْعِمونَ الطعامَ ، لِكُلِّ مُحتاجٍ إليهِ ، فَيُؤثِرونَ على أنفسِهِم ، مَعَ حاجَتِهِم الى الطعامِ ، واشتهائِهم لهُ .. وهمْ لا يُريدونَ بِهذا الاحسانِ والمعروفِ غيرَ وجهِ اللهِ ، فلا يُريدونَ جَزاءً مِنَ الناسِ ، ولا شُكراً مِن احَدٍ .. وذلكَ علامةُ اخلاصِهِم ، وَحِبّهِم للهِ سبحانَهُ .. ولأنّهم يَخافونَ يَوماً مُكفَهِرّاً ، شديدَ الرّعبِ والعذابِ .. يَخافونَ اليومَ الذي تَكلَحُ فيهِ الوُجوهُ ، وَتعبسُ .. قد سيطرَ عليها الذّلُّ والخوفُ ..

لقد دفعَ اللهُ عنهم شرَّ ذلكَ اليوم ، وأفاضَ على وُجوهِهِمُ الحُسنَ والبَهاءَ ، والجمالَ ، وَمَلأَ قلوبَهُم بالفَرَحِ والسّرورِ ، وكافأَهُم بالجنّةِ ، وما فيها من النعيمِ ولباسِ الحريرِ ، جزاءَ صَبرِهِم في الحياةِ الدنيا على الابتلاءِ والفقرِ والحاجةِ والشدائدِ ..

انّهم يَتنعّمونَ مُتّكِئينَ على الأرائكِ في تلكَ الجِنانِ ، المُزهرةِ ، المُضيئةِ إضاءةً ذاتيةً ، فليسَ في الجَنّةِ شمسٌ ولا قمرٌ ، ولا حاجةَ لأهلِ الجنّةِ بِهما .. وهم لا يَجدونَ فيها حَرّاً ولا بَرداً .. قد تَدلّتْ عليهم ثِمارُها ، وَقَرُبَتْ مِنهُم ، يَتناولونَها بِسهولةٍ ، و يَستَمْتِعونَ بِطعمِها ، ومَنظَرِها الجميلِ .. يَنتقِلُ الخَدَمُ بَينَ مجالِسِهم ، وهمْ يَحملونَ

اليهم أكوابَ الشرابِ ، البديعةَ المَنظرِ والجمالِ ، أكوابٌ زجاجيةٌ صافيةٌ بيضاءُ يَظنُّها مَنْ يَنظُرُ اليها أنها صُنِعتْ من فضّةٍ لِشدّةِ بياضِها الفضّيّ ، فَيَرى ما في باطِنِها من خلالِ ظاهِرِها ، لِصفائِها وَشفّافِيَّتِها ..

انّ شرابَها مقدرٌ على قَدرِ حاجةِ الشارب وَرَيِّهِ ، فلا يَزيدُ ، ولا يَنقُصُ ، تَحقيقاً لِلمُتعةِ والاحترامِ .. إنهم يُسقَونَ فيها كأساً من شرابٍ حُلوٍ لَذيذٍ من عينٍ سَلسَبيلٍ .. ذلكَ الشرابُ قد مُزِجَ بالزنجَبيل المستطاب الطعمِ والمذاقِ(٥) ..

يَخدِمُهُمُ الولدانُ كأنّهمُ اللؤلُؤُ في جمالِهم وحُسنِ مَنظرِهم .. مُنتَشرينَ بينَ مجالِسِهم للخدمةِ ونقلِ الشرابِ .. كما يَنتشِرُ اللؤلُؤُ المنثورُ .. هنا وهناكَ ..

إنّ الناظرَ الى ذلكَ العالَمِ .. المتأمّلَ فيهِ يرى هناكَ النعيمَ الخالدَ .. والمُلكَ الكبيرَ .. الذي يَستولي على العقولِ بجمالِهِ و بَهائِهِ ، فَيَشدُّ النفوسَ ، ويُشَوِّقُ القلوبَ اليهِ ..

ولِباسُ أولئكَ الأبرارِ المُحسِنينَ مِنَ الحَريرِ الأخضَرِ الناعِمِ الرَّقيقِ والسميكِ ، حسبَ اشتهائِهم ، وجمالِ مناظِرِهم .. قد زُيِّنوا بِالأساورِ الفضيّةِ .. يَستمتِعونَ بِخَمرةِ الجَنّةِ الطَّهورِ ، التي لا قذارةَ فيها ولا نجاسةَ ..

وفي ظلالِ هذا النعيم يُخاطِبُ اللهُ عبادَهُ الأبرارَ الذينَ نزلَتْ هذه الآياتُ تتحدّثُ عن بِرِّهِم واحسانِهم كما يُخاطبُ كلَّ الأبرارِ المُحسنينَ .. يُخاطِبُهُم كلُّ ذلكَ كانَ لكُم جزاءً ، وكان عملُكُم الذي عمِلتمُوهُ في الدّنيا مَرْضياً عندَ اللهِ فَاستَحْقَقْتُمْ بهِ ذلكَ النعيمَ .

توجيه :

إنّ القرآنَ قد وَصَفَ لَنا الجنّةَ بأنّها صورةٌ من الحُسنِ والجَمالِ والبَهاءِ .. فَهي نيّرةٌ ، مُزهِرةٌ ، بِدونِ شَمسٍ تُشرِقُ أو قمرٍ يُضيءُ .. قد طابَ الجوُّ فيها ، فلا حرٌّ ولا

---

(٥) انّ القرآنَ قد ذكرَ في كثيرٍ من آياتِهِ اسماءَ الطعامِ والشرابِ واللباسِ والزينةِ أو أدواتِ التعذيبِ الذي يختصُّ بهِ أهلُ الجحيمِ .. كالضريعِ والزّقومِ والجحيمِ والسلاسِلِ والحبالِ .. والذي يتناولُهُ أهلُ النعيمِ .. كالفواكهِ ←

بَرْدٌ .. تَسقي أهلَها العيونُ الجاريةُ التي تَجري وفقَ مشيئَتِهم ، وعندَهُمُ الشرابُ الطَّهور الذي ينقلُهُ اليهمُ الولدانُ المُخلَّدونَ (٥) المنُتشرونَ انتِشارَ اللؤلُؤ بينَ مجالسِ أهلِ الجنَةِ ، المُتَّكئينَ على أسِرَّتِهم ..

الولدانُ الذينَ يَحملونَ الأكوابَ الزّجاجيةَ الفَريدَةَ المنظرِ والجمالِ ، الفضيةَ اللونِ التي يَرى الناظرُ ما في باطِنِها مِن شرابٍ من خلالِ شَفّافِيّتِها وَصَفائها ..

وَلِباسُ أهلِ الجنَةِ الذينَ يَعلو وجوهَهُمُ الحسُنُ والجَمالُ مِن حريرٍ أخضرَ ، قدَ تَزَيّنوا بالأساورِ الفضيّةِ التي تفوقُ الدُّرَرَ واللؤلُؤَ في جمالِها وصفاءِ لونِها ..

انّ هذا النعيمَ هو جزاءُ الأبرارِ .. أولئكَ الأبرارُ الذينَ تَقبَّلَ اللهُ أعمالَهُم لِصدقِهِم واخلاصِهِم .. الأبرارُ الذينَ ضَرَبَ أهلُ البيتِ (ع) ــ كما تحدّثنا ــ في هذهِ الآياتِ المثلَ الأعلى لَهُم .. إنّ القرآنَ عندَما يسوقُ لَنا هذا الوصفَ ، و يَضعُ أمامَنا تلكَ المَناظِرَ ، انّما يريدُ أن يُشوّقَنا الى ذلكَ النعيمِ الخالدِ ، والمُلكِ الكَبيرِ ، والعالَمِ المُذهلِ الحُسنِ والجَمالِ ؛ لِنتخلَّصَ مِنَ الارتباطِ بِعالمِ الدنيا ، والتّنازعِ عليها ، والانخداعِ بِزينتِها .. فكلُّ ما فيها مُتعٌ فانيةٌ ، وَلَذّةٌ لا تُساوي شيئاً اذا ما قِيست بِنَعيمِ الآخِرةِ .. **«فَما متاعُ الْحَياةِ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إلّا قَليلٌ»** ..

وَيَدعونا لأن نَقتدَيَ بأولئكَ الأبرارِ وَنتعلّمَ الدّروسَ العمليةَ مِن سيرَتهمُ الخالدةِ .

والزنجبيلِ والكافورِ والحريرِ ، وأمثالِ ذلكَ ، و يَنبغي الالتفاتُ الى أنّ ذلكَ الطعامَ والشرابَ أو الأدواتِ واللباسَ ، ليسَ هو هذا الذي نعرفُهُ في الدّنيا .. انّما هو مختلِفٌ عن ذلك .. بطبيعتِهِ التي تُناسِبُ عالَمَ الآخرةِ ، وانّما سمّاهُ القرآنُ بنفسِ الأسماءِ ؛ لِيَكونَ واضحاً لَدينا .

(٥) أشارَ العلامةُ الطباطبائيُّ في تفسيرِ الميزانِ الى قضيةٍ معنويةٍ رائعةٍ ، وهي أن القرآنَ لمْ يتحدّثْ في هذه الآياتِ عن الحورِ ، ذلك لأنّ التعظيمَ فيها للزهراءِ فاطمة بنتِ محمدٍ (ص) ، ولزوجِها وأبنَيها ، لذلك لم يتحدّثْ عن جمالِ الحورِ والتمتّعِ بها زيادةً في تَعظيمِ فاطمةَ .

طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

شرح المفردات

من الآية ٢٣ الى الآية ٣١

نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا : أنزلناه مُفرّقاً .. آيةً بعد آيةٍ ، ولم يُنَزِّلْهُ عليكَ مرّةً واحدةً .

بُكْرَةً : صباحاً . والمعنى أقبل على عبادةِ اللهِ والدعوةِ اليهِ .

أَصِيلًا : الأصيلُ : العَشِيُّ : أوّلُ الليلِ

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ : صَلِّ لِلهِ في بعضِ الليلِ .. وقيل : إنَّ القرآنَ يَعني صلاةَ المغربِ والعِشاءِ

وَسَبِّحْهُ لَيلاً طَويلاً : سَبِّحْهُ في ليلٍ طويلٍ .. أي أقِمْ صلاةَ الليلِ وهي صلاةُ التطوّع .

يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ و يَذَرُونَ وراءَهُمْ يوماً ثَقيلاً : يُفضّلونَ ، و يُؤثِرونَ مَلَذّاتِ الحياةِ الدنيا ومنافِعَها على ما في الآخرةِ مِن نعيمٍ .

شَدَدْنَا أسرَهُمْ : أحكَمْنا خَلقَهُم .. أي جَعلنا خَلْقَهم وتكوينَهُم قوياً متماسكاً .

واذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا : اذا شِئْنا اهلَكْناهُم .

أمثَالَهُمْ تَبدِيلا : وَخَلَقْنا بَشَراً مِثلَهُم ، بدلاً مِنهم .

فَمَنْ ساءَ اتَّخذَ الىٰ ربِّهِ سبيلاً : مَنْ أرادَ الهُدىٰ اتّخذَ الىٰ رضاءِ ربِّهِ طريقاً ، بأن يُطيعَهُ ، و يتقبّلَ ما يدعوهُ الرسولُ اليهِ .

وَما تَشاؤونَ اِلّا أنْ يَشاءَ اللّهُ : لا يتحققُ شيءٌ مما تريدونَهُ إلاّ بعدَ أن يشاءَ اللّهُ و يأذنَ بِهِ .

المعنى العام

للآية ٢٣ الى الآية ٣١

وبعدَ أنْ أخبَرَنا اللهُ سبحانَهُ بنَعيمِ الأبرارِ ، وعَذابِ الكافرينَ والعُصاةِ ، خاطبَ نبيَّهُ الكريمَ بقولِهِ : «**اِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ تَنْزيلاً** (*) **فاصْبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أوْ كَفُوراً**» ..

فَفي الآيةِ الأولى بيانٌ مِن اللهِ سبحانَهُ أنّهُ هو الذي شَرَّفَ محمداً (ص) وأكرَمَهُ بانزالِ القرآنِ عليهِ .. وأنّهُ أنزلَهُ مُجَزّءاً على مَدى ثلاثٍ وعِشرينَ سنةٍ ، ولم يُنَزِّلْهُ مرّةً واحدةً لِمصلحةٍ تَقتضيها الدّعوةُ والتبليغُ .. وأمَرَهُ في الآيةِ الثانيةِ أن يَصبرَ على تكذيبِ

(*) توضيح : ذكر المفسّرونَ أنّ الآياتِ الاولى مِن هذهِ السورةِ الى قولِهِ تعالى : «وكانَ سعيُكُم مَشكوراً» ، قد نزلتْ في المدينةِ المنوّرةِ ، في حين نزلت الآياتُ التي تَلَتْها مِن قولِهِ تعالى : «اِنّا نحنُ نزّلنا عليكَ القرآنَ» الى آخرِ السورةِ ، في مكةَ المكرمةِ .. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ في سورِ القرآنِ ، فتكونُ آياتُ السورةِ الواحدةِ أحياناً بعضُها مكيّ وبعضُها مدنيٌّ .

المشركينَ وأذاهُم ، وأن يُواصِلَ حملَ الرسالةِ ، والدّعوةَ الى الاسلامِ ، ولا يتوقّف عَن دَعوَتِهِ بسببِ مُعارَضَةِ المُحَرّفينَ والكاذِبينَ الذينَ يُعارضونَهُ ..

« وَٱذكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وأَصِيلاً(٥) ومِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحهُ لَيْلاً طَويلاً » ..

وكما أمرَ اللهُ نبيَّهُ بالصبرِ على الأذى وأساليبِ المُعارَضةِ لِدعوتِهِ ، والاستمرارِ على تبليغِ الرسالةِ والدعوةِ الى اللهِ سبحانَهُ ، أمرَهُ بالاستمرارِ على العبادةِ والطاعةِ ، وتبليغِ الدعوةِ والرسالةِ دونَما تراجعٍ أو تَوَقُّفٍ .. ثم وَجّهَ نَبيَّهُ الى عبادةِ اللهِ وأمرَهُ أن يُصلّيَ لِرَبِّهِ ويَسجُدَ له في الليلِ ، في بعضِ الليلِ الطويلِ ..

« إنَّ هٰؤُلاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعاجِلَةَ ويَذَرُونَ وراءَهُم يَوْماً ثَقيلاً » ..

انّ هؤلاءِ الآثِمينَ العُصاةَ والكافِرينَ الذينَ حَذّرَ اللهُ نَبيَّهُ من الخُضوعِ لِضغوطِهِم هُمْ أُناسٌ يُحبّونَ الحياةَ الدّنيا وَيَترُكونَ ما ينتَظِرُهُم مِنَ عَذابٍ وعِقابٍ في ذلكَ اليومِ الرهيبِ في عالَمِ الآخرةِ ..

« نَحنُ خَلَقْناهُم وَشَدَدْنا أسرَهُم واذا شِئنا بَدَّلْنا أمثالَهُم تَبديلاً » ..

انّ هؤلاءِ لَم يُعجزُوا اللهَ بِقوّتِهِم وجَريمَتِهِم ، فاللهُ هو الذي خَلَقَهُم وَمَنَحَهُمُ القوّةَ ، والترابطَ في أعضاءِ أجسادِهِم ، وجعلَ كيانَ أحدِهِم كِياناً إنسانِياً مُوحّداً ومُتماسِكاً ، فهو القادرُ على افنائِهِم واستبدالِهِم بأناسٍ أمثالِهِم في الخِلقَةِ والتكوينِ ..

« إنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ٱتَّخَذَ إلىٰ رَبِّهِ سَبيلاً » ..

انّ هذه السورةَ المباركةَ بما حَوَتْ من تذكيرٍ بالعَذابِ ، وتَعريفٍ بالنّعيمِ والثوابِ الخالدِ ، لَموعظةٌ للانسانِ ، وتَنبيهٌ لِوَعيهِ واحساسِهِ .. فَمَنْ أرادَ الهِدايةَ يستطيعُ أن يَسلُكَ الطريقَ المستقيمَ ، الذي يوصلُهُ الى طاعةِ اللهِ ، وهو طريقُ الاسلامِ ..

فالقرآنُ يقولُ لَنا إنَّ الانسانَ يَملِكُ الارادَةَ والقُدرةَ على اختيارِ طريقِ الخَيرِ أو الشَّرِّ ؛

---

(٥) قالَ بعضُ المُفَسرينَ : أنّ المقصودَ بقولِهِ تعالى : «واذْكُرِ ٱسمَ رَبِّكَ بُكرةً وأصيلاً» هو الصلاةُ في الصباحِ والعَشِيِّ .

لذلكَ يكونُ مسؤولاً عن اختيارِهِ :

« وَما تشاءونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللهُ إنَّ اللهَ كانَ عَليماً حكيماً * يُدخِلُ مَنْ يَشاءُ في رَحْمَتِهِ والظّالِمينَ أعَدَّ لَهُم عذاباً أليماً » ..

وهذا الانسانُ لا يستطيعُ أنْ يَقهَرَ إرادةَ اللهِ ، ويَتحدّى مَشيئَتَهُ بالارادةِ البشريةِ .. بَل هوَ يُحقّقُ اختيارَ طريقِ الهُدى بِمَشيئةٍ إلهيّةٍ .. فاللهُ يَشاءُ لهُ الهدايةَ اذا كانَ مُتّجِهاً نَحوها .. فاللهُ يعلَمُ حقيقةَ الانسانِ ، وهو حكيمٌ يضعُ كلَّ شيءٍ في موضعِهِ المناسِبِ .. فالّذي يَستَحِقُّ الهدايةَ يوفّقُهُ لَها ، والّذي يَستحِقُّ الضّلالةَ يُسقِطُهُ في الضّلالِ .. انّهُ يُدخِلُ في رَحمَتِهِ مَن يُريدُ إدخالَهُ ، ولا يُدخِلُ الاّ المُستحِقَّ لَها ، **« والظّالِمينَ أعَدَّ لهم عذاباً أليماً »** ، وهو يَحرمُهُم مِن رحمتِهِ ، لأنّ نفوسَهُم تَحمِلُ الشّرَّ والسوءَ .

سُورَةُ المُرسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

شرح المفردات

من الآية ١ الى الآية ٢٨

المرسَلاتِ : الملائكةِ التي أُرسِلت بِالوَحي .

عُرْفاً : مُتتابعةً ، يَتبعُ بعضُها بعضاً .. وتَعني كلمةُ عُرف : المعروف أيضاً .. ومعنى « وَالمرسَلاتِ عُرفاً » : اُقسِمُ بالجماعاتِ التي أرسلتُها مِنَ الملائكةِ الى الانبياءِ ، لِأجلِ تبليغِ المعروفِ ، الذي تضمّنتْهُ الرسالاتُ الالهيّةُ .

فالعاصفَاتِ عصفاً : يعني الملائكةَ ، المسرعاتِ في السَّيرِ ، لتنفيذِ أمرِ اللهِ تعالى ، كما تُسرعُ العواصِفُ في هُبوبِها .

والناشِراتِ نشْراً : الملائكةِ التي تَنشُرُ صحفَ الوحي لِلأنبياءِ ، فَتُبلِّغُهُم بِما فيها .

فالفارِقاتِ فرقاً : الملائكةِ المفرِّقاتِ بَينَ الحقِّ والباطِلِ .. بما تُنزلُ على الأنبياءِ مِن وحيٍ ورسالةٍ .

فَالمُلقِياتِ ذِكراً : الملائكةِ ، المُلقياتِ لِلوَحي على الأنبياءِ .

عُذراً أو نُذْراً : لأجل تحقيقِ العُذرِ لِلمُحِقّينَ ، و إنذارِ المُبطلينَ بالعذابِ .

إنَّما تُوعدونَ لَواقِعٌ : إنّ ما وَعدَكُمُ اللهُ بِهِ ، مِنَ البَعثِ ، والنُشورِ ، والعِقابِ ، والثَّوابِ ، لَكائنٌ مُتحقِّقٌ .

فإذَا النُّجومُ طُمِسَتْ : اُذْهِبَ ضَوؤها بِسَبب ما يَحدُثُ مِن تَغيّراتٍ فى عالَمِ الطبيعة ، وهو مِن علاماتِ القيامةِ .

فُرِجَتْ : شُقَّتْ .

نُسِفَتْ : قُلِعَت من مَكانِها ، وانتَشَرَتْ ذَرّاتُها في الفضاءِ .

وَإذَا الرّسلُ أُقّتَتْ : جُمِعَتْ في الوقتِ المُحدَّدِ ، وهويومُ القيامةِ لِلشهادةِ على الاُمَمِ .

لأيّ يومٍ اُجّلَتْ : لِأيِّ يَومٍ اُخِّرَتِ الرُّسُلُ ، وَحُدِّدَ الوقتُ لِجَمعِهم .. والمَقصودُ هو التَّعبيرُ عن هولِ يوم القيامةِ ، وإثارةِ العَجبِ في النفوسِ منهُ .

ليوم الفصلِ : لِيَوم القيامةِ ، اليوم الذي يحكمُ اللهُ فيهِ بين العبادِ .

ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين : الهلاكُ في ذلكَ اليوم للمُكذّبينَ بِيَوم القيامةِ .

ماءٍ مَهِينٍ : ماء مُحتَقَر .. وهو النطفة التي يتكوّنُ منها الانسان .. والذي يَملكُ صفاتِ الإنسانِ ، من العقل والسمع والبصر والتكلّم والارادةِ ... الخ ، فوضعَها اللهُ للانسانِ بعدَ تكوينِهِ انساناً .

في قرارٍ مَكين : في مكانٍ ثابتٍ ومُستقرٍّ .. وهو الرّحمُ .

الى قَدَرٍ معلومٍ : مقدارٍ مُحَدّدٍ مِنَ الوقتِ .. وهو مُدّةُ تكوُّنِ الانسانِ وتكامُلِهِ في رَحِمِ أمّهِ حتى ولادتِهِ .

فقدرنا : قَدّرْنا خَلقَهُ ، أي حدّدْنا شَكْلَهُ ، ولونَهُ ، وصِفاتِهِ ، وجِنسَهُ ... الخ .

فنعمَ القادرونَ : فاللهُ نِعْمَ الخالقُ المقدّرُ للأشياءِ .. بِعلمِهِ وَحِكمَتِهِ وقُدرَتِهِ ورحمتِهِ .. وقيلَ إنّ المعنى : قَدّرْنا على خَلقِهِ ، فاللهُ نِعمَ القادرُ على خَلقِهِ ، وتدبيرِ شُؤونِهِ .

ألَمْ نَجعلِ الأرضَ كِفاتاً أحياءً وأمواتاً : الكِفتُ : الضَّمُّ والجمعُ ، والمعنى : ألمْ يَجعلِ اللهُ الأرضَ .. كالوعاءِ للناسِ تَجمعُهُم وتجعلهم على ظهرِها ، وهمْ أحياءٌ ، كما تَضمُّهُم في باطِنِها وهم أمواتٌ .

رواسي : جِبالاً .

شامخاتٍ : عاليةً ، ثابتةً .

فُراتاً : عَذْباً .

المعنى العام

للآية ١ الى الآية ٢٨

في هذهِ الآياتِ المباركةِ : « **وَالمُرسَلاتِ عُرفاً ۞ فالعاصِفاتِ عَصْفاً ۞ وَالنّاشِراتِ نَشْراً ۞ فالفَارِقاتِ فَرْقاً ۞ فالمُلقياتِ ذِكراً ۞ عُذراً أو نُذراً** » ..

يُقسِمُ اللهُ سبحانَهُ بالملائكةِ التي أرسلَها مُتتابِعةً الى الأنبياءِ والرّسلِ ؛ لإيصالِ الوحي اليهم ، وتَبليغِهِمُ الهدى والمعروفَ ، ليبلّغوها الى الشعوبِ والأممِ .. الملائكةِ التي

تُسرعُ بتنفيذِ واجباتِها ، وتَنطلِقُ انطلاقَ الرياحِ العواصفِ فَتنشرُ صُحفَ الوحي للأنبياءِ ، والرّسلِ ، وبذا تُفرّقُ بينَ الحقِّ والباطِلِ ، والخيرِ والشّرِّ ، والهُدى والضلالِ ..

وذلكَ هوَ الذِّكرُ الذي تُلقيهِ الملائكةُ الى الأنبياءِ لِيُبَلِّغوهُ الى الشعوبِ والأممِ .. لِيكونَ عُذراً الى المؤمنينَ المُطيعينَ يُعذرونَ بهِ ، وانذاراً بالعقابِ للكافرينَ والعاصينَ [1] .

وفي هذه الآياتِ وصفَ اللهُ سبحانَهُ الملائكةَ بأنّها : (**المرسلاتُ** [2] ، **والعاصفاتُ** ، **والنّاشراتُ** ، **والفَارقاتُ** ، **والملقياتُ**) ، وأقسَمَ بها [3] إنّ يومَ الجَزاءِ متحقّقٌ لا شكَّ فيهِ ؛ لِذلكَ كانَ جوابُ قَسَمِهِ سبحانَهُ : « **إنّ ما توعدونَ لَواقعٌ** » ..

ومن خلالِ القَسَمِ بَيّنَ ما تقومُ بهِ مِن ايصالِ الرسالاتِ ، وبيانِها للأنبياءِ ، لتوضّحَ الى الناسِ ، فتكونُ حجةً عليهِم .. وبذا يكونُ وقوعُ الحِسابِ والعِقابِ والثوابِ أمراً يُعبّرُ عنِ العدلِ الالهي ؛ لأنّهُ جاءَ بعدَ بيانِ التكليفِ ، وايضاحِ المنهَجِ والطريقِ الموصِلِ الى الحقِّ والهُدى ..

ثم تحدّثَ القرآنُ لَنا عمّا يَحدُثُ من تغييراتٍ في الأرضِ والسماءِ والنجومِ ، يومَ القيامةِ ، الحتميِّ الوقوعِ ، وتَبَدُّلِ نظامِها ، بقولِهِ : « **فاذا النُّجُومُ طُمِسَت ۞ واذا السَّماءُ فُرِجَت ۞ وإذا الجبالُ نُسِفَتْ** » .. ففي ذلكَ اليوم يَحُلُّ الخرابُ والدّمارُ بِنظامِ الأرضِ والسماءِ .. فالنّجومُ تَفقدُ ضَوءَها ، وتتغيّرُ مواقِعُها وقوانينُ حَركتِها ، والسّماءُ تنشَقُّ ، وانشقاقُها عِبارةٌ عن تَغيُّرِ نظامِها وتَمزُّقِ بُنيتِها ، والجبالُ تُنسف ، فَتَتَبَعثرُ أجزاؤها ، وتتناثَرُ في الجَوِّ هباءً متطايراً ، كما يتناثَرُ الحبُّ في الفَضاءِ ، حينَ يُذرّى بِالمنسفِ ؛ لِيُعزَلَ عنهُ التِّبنُ ..

---

(١) وقيل انّ معنى : « عُذراً أو نُذراً » .. هو أنّ ما يُلقيهِ الملائكةُ مِن ذكرٍ للأنبياءِ هو عذرٌ يَعتذِرُ بهِ اللهُ الى عبادِهِ من وقوعِ العقابِ عليهم .. لأنّه أرسَلَ اليهم الرّسلَ و بَلّغوهُمُ الرسالاتِ ، وهي مثل قولِهِ تعالى : « لِئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ بعدَ الرّسلِ » (النساء / ١٦٥) .

(٢) قال بعضُ المفسرينَ : إنّ معنى المرسلاتِ هي الرياحُ القويةُ المتتابعةُ .

(٣) الواو في قولِهِ تعالى : « والمرسلاتِ عُرفا » هي للقسمِ .

وفي قوله تعالى : « وإذا الرُّسُلُ أقتَتْ » .. بيانٌ أنَّ ذلكَ اليومَ .. يومَ القيامةِ هو يومُ موعدِ إحضارِ الرّسُلِ والأنبياءِ ؛ ليَشهدوا على اُمَمِهم وشُعوبِهم ، بأنّهم بَلّغوا رسالاتِ اللهِ ، وقوبلوا مِنَ الطغاةِ والمُجرمينَ بالتكذيبِ والاستهزاءِ والمُحارَبةِ ..

وفي قوله تعالى : « لأيِّ يومٍ أُجّلَتْ ۞ ليومِ الفَصْلِ » .. توضيحٌ لِخطورةِ وأهوالِ وأهميةِ ذلكَ اليوم ، الذي تحضُرُ فيهِ الرّسلُ للشّهادةِ .. وقد كانَ حضورُهُم مؤجّلاً لِذلكَ اليومِ ، وهويومُ الحُكمِ بينَ الناسِ ، لِينَالَ كلُّ انسانٍ جزاءَ اعتقادِهِ وعملِهِ ..

« وما أدراكَ ما يومُ الفصلِ ۞ وَيْلٌ يَوْمئذٍ لِلْمُكَذِّبينَ » ..

انّهُ يومٌ عظيمٌ .. لا تَعرفونَ ما يَحوي ذلكَ اليومُ مِن هولٍ ورعبٍ .. فللمكذّبينَ بذلكَ اليوم الهلاكُ والدّمارُ والعذابُ ..

« أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخرينَ ۞ كَذلِكَ نَفْعلُ بالمُجْرمينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئذٍ لِلْمُكَذِّبينَ » ..

سؤالٌ مِنَ اللهِ سبحانَهُ لِتنبيهِ الناسِ الى سنَنِ اللهِ ؛ بِهَلاكِ المجرمينَ مِنَ الشعوبِ والأممِ ، في بدايةِ عصرِ النّبوّاتِ ، ثم هلاكِ مَن تَلاهُم مِنَ العُصاةِ والكافرينَ .. إنَّ تلكَ العُقوباتِ قانونٌ الهيٌّ ، يَنطبِقُ على كلِّ مُجرمٍ في كلِّ عَصرٍ ، بما فيهِمُ المجرمونَ في عَصرِ نبوّةِ مُحمدٍ (ص) ، وفي العصورِ الأخرى .. فانَّ الهلاكَ والعذابَ للمُكذّبينَ برسالاتِ اللهِ .

« أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَّهينٍ ۞ فَجَعَلْناهُ في قَرارٍ مَّكينٍ ۞ إلىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرنا فَنِعمَ الْقادِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئذٍ لِلْمُكَذِّبينَ » ..

في هذهِ الآياتِ يَسألُ القرآنُ لِيُنبّهَ عقولَهُم فَيُفكّروا في كيفيةِ خَلقِهِم .. يَسألُهُم : ألم يَبدأِ اللهُ خَلقَكُم مِن ماءٍ تافِهٍ حقيرٍ .. ؟ جَعَلَهُ مُستقِرّاً بقدرتِهِ في رَحمِ الأمّهاتِ .. الى أجلٍ محدودٍ ، حتى نما وتَشكّلَ إنساناً ، عاقِلاً ناطِقاً بِهَيئاتٍ وأشكالٍ مُختلِفةٍ ، فَمِنهُم : الطويلُ والقصيرُ ، والذكرُ والأنثى ، والأبيضُ والأسودُ .. الخ . بقدرةٍ وتقديرٍ إلهيين .. انّهُ نعمَ القادرُ والمقدّرُ ..

وانّ الذي بَدأ خَلقَكُم من تلكَ البدايةِ الحقيرةِ ، لَقادرٌ على أن يُعيدَ خَلقَكُم يومَ القيامةِ .. فَلِمَ تُكَذِّبونَ بذلكَ اليومِ .. ؟ الهلاكُ والعَذابُ للمُكذِّبينَ بِهِ ، المُنكِرينَ لَهُ ..

« أَلَمْ نَجْعَلِ الأرضَ كِفاتاً * أحياءً وأمواتاً * وجَعَلْنا فيها رواسِيَ شامِخاتٍ وأسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً * وَيْلٌ يَوْمَئذٍ لِلْمُكَذِّبينَ » ..

انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح المفردات

من الآية ٢٩ الى الآية ٥٠

انطلقُوا : إذهَبوا الى العَذابِ الذي كُنتم بِهِ تُكَذِّبونَ .

ظلٍّ : يعني به هنا نارَ جَهنَّمَ ، وسمّاها ظِلاً لِسوادِها .

ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ : مُتشَعِّبٍ لِكثافَتِهِ الى ثلاثِ شُعَبٍ .. وقيلَ إنّ المعنى : هو انّ دخانَ جهنَّمَ مُحيطٌ بالمجرم ، فَشُعبَةٌ منهُ فوق رَأسِهِ ، وشُعبةٌ عن يَمينِهِ ، وشُعبةٌ عن شمالِهِ .. يقفُ فيهِ حتى يَفرغَ من الحسابِ ، فَيُؤمَرُ بِهِ الى جَهنَّمَ .

لا ظَليلٍ : لا يَمنَعُ مِن لَهَبِ جهنَّمَ .

إنَّها تَرْمي بِشَررٍ : يَتطايرُ منها (مِن جهنَّمَ) الشَّررُ الى كلِّ جانبٍ .

كالقصْرِ : كَالجَملِ .. والمعنى : حَجمُ الشَّرارةِ الواحدةِ كَحَجمِ الجَملِ ، أو كَحَجمِ القَصْرِ ؛ وهوالبيتُ المبنيُّ من الصَّخرِ .

كأنَّهُ جمالَتٌ صُفْرٌ : إنّ الشَّررَ المتطايرَ مِنَ النارِ ، يُشبِهُ الجِمالَ الصُّفرَ ، بِلَونِهِ الأصفرِ المختلطِ بالسَّوادِ ، وتتابُعهُ عندَ التطايُرِ ..

فَإنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فكيدُونِ : إنْ كانتْ لكمْ حيلةٌ تَحتالونَ بي لِدَفعِ عَذابي وعِقابي عن أنفسِكُم فَافعَلوا .. والمعنىٰ : إنكم لا تملكونَ وَسيلةً ، لِدفعِ عذابِ اللهِ عن أنفسِكُم ، وقد كنتُم في الدُّنيا تَتَظاهرونَ بالقوّةِ ومحاربةِ الرُّسلِ وأتباعِهِم .

إنَّ المتَّقينَ في ظلالٍ وعُيُونٍ : إنَّ المُتَّقينَ يَستظِلّونَ في ظِلالِ أشجارِ الجنّةِ .. ويَشربونَ مِن عُيونِ الشَّرابِ اللّذيذِ العذبِ ، الذي يَستَمتعونَ بِهِ .

المعنى العام

للآية ٢٩ الى الآية ٥٠

ثم يَسألُ القرآنُ النّاسَ مرّةً أخرى ، لِيتَفكّروا في خَلقِ اللهِ ، ولِيَعرِفوا قُدرتَهُ على احياءِ الموتى ، وجَمعِهِم لِيَوم الحسابِ ، وخَلْقِ عالَمِ الآخِرةِ ، كما خَلَقَ عالَمَ الدنيا ..

يُسألُهُم : أَلَم يَجعلِ اللهُ الأرضَ وِعاءً للنّاسِ يَحويهِم ، و يَجمعُهُم أحياءً بالعيشِ والتحرّكِ على ظَهرِها ، وأمواتاً باحتوائِها لِاجسادِهم .. نعمْ إنّ اللهَ خَلَقَها كذلكَ .. فَلِمَ لا يَتفكّرُ الانسانُ ؟

انّ الّذي بدأ خلقَ الانسانِ مِن تُرابِ الأرضِ ، وجعلَهُ نُطفةً في رَحمِ أمِّهِ الى أجَلٍ مُحدّدٍ ، حتى نَما ، وتَكوّنَ إنساناً .. والّذي خلقَ الجبالَ الضخمةَ العاليةَ الثابتةَ .. والّذي خَلَقَ لَكُمُ الماءَ العذبَ لِتشربوا مِنه .. إنّهُ لَقادِرٌ على أن يُعيدَ خَلقَكُم يومَ القيامةِ ، وقادرٌ على أن يَخلُقَ عالَمَ الآخرةِ ، كما خَلَقَ عالَمَ الدّنيا .. الهلاكُ والعذابُ لِلمُكذّبينَ بذلكَ .. انه حقيقةٌ واقعةٌ .

« اِنْطَلِقُوا اِلى ما كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ اِنْطَلِقُوا الى ظِلٍّ ذي ثَلاثِ شُعَبٍ ۞ لا ظَليلٍ وَلا يُغني من اللَّهَبِ ۞ اِنَّها ترمي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفرٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ » ..

في هذه الآيةِ ينقُلُ لنا القرآنُ قولَ الملائكةِ ، الموكّلينَ بِجهنّمَ للمكذبينَ بيومِ الحسابِ .. انّهم يقولونَ لَهم : اِنتقلوا مِنَ المَحشرِ ، من غيرِ تَوقُّفٍ ، الى جهنّمَ التي كنتمْ لا تُصدّقونَ بِوجودِها في عالمِ الدّنيا ..

اِنتقِلوا الى دخانِ جهنّمَ الذي تَشَعَّبَ الى ثَلاثِ شُعَبٍ ، لِيُحيطَ بكم من فوقِكم ، ومِن حولِكم .. انّهُ دُخانٌ لا يَحميكم مِنَ الأذى ، ولا يَحجزُ عنكم لهيبَ جهنّمَ ..

ها هي جهنّمُ التي تَدخلونَها .. تَقذِفُ بالشَّررِ العظيمِ .. تَنطلِقُ الواحدةُ منها بِحجمِ (القصرِ) البيتِ الحَجَري .. اِنّها صفراءُ يُخالِطُها سوادُ الدّخانِ والحريقِ ، كلونِ الجِمالِ الصفرِ ، التي يُخالِطُ وَبَرَها السّوادُ ..

الهلاكُ والعذابُ والدّمارُ لِلمُكذّبينَ .. انهُ استحقاق عادلٌ ، وجزاءٌ حقٌّ ..

« هٰذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ۞ وَلا يُؤْذَنُ لَهُم فَيَعْتَذِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » ..

في ذلك اليوم يُسيطرُ عليهمُ الصمتُ الرهيبُ ، فلا أحدَ يَنطِقُ لِهولِ العَذابِ ، وخوفِ المُجرمينَ ، ولا يُسمَحُ لهم أن يَعتذِروا عن جَرائمِهم .. الويلُ والعذابُ لهم مِن ذلكَ اليوم ، وفي ذلكَ الموقفِ الرهيبِ ..

« هٰذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۞ فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » ..

هذا يومُ الحكمِ والقَضاءِ بينَ الناسِ .. لِيَأخُذَ كُلُّ ذي حقٍّ حَقَّهُ .. لقد جَمَعَ اللهُ المُكذّبينَ مِنَ الأمةِ التي عاصَرَتِ النّبيَّ محمداً (ص) معَ مُكذّبي الانبياءِ (ع) مِنَ الأممِ السابقةِ في ذلكَ اليوم ، وفي العذابِ .. فالكُلُّ لَهُمُ اليومَ العقابُ المهينُ ..

فَإنْ كانتْ لكم أيّها المُكذّبونَ وسائلُ ، أو حيلةٌ ، أو تدبيرٌ لِفعلِ شيءٍ ، فافعَلوهُ .. انّكم لا تَستَطيعونَ أن تَفعَلوا شيئاً مُقابلَ قُدرةِ اللهِ .. لقد كُنتم في الحياةِ الدنيا طُغاةً تَستَضعِفونَ الآخرينَ ، فأينَ طُغيانُكُم وقُوّتُكُم .. ؟ .. اِنّكمُ اليومَ في الخِزيِ والعَذابِ يُسيطِرُ عليكُمُ الصمتُ الرّهيبُ ، ولا يُؤذَنُ لكمْ بالاعتذارِ ..

وبعد أن حَدّثَنا القرآنُ عَن مَشاهدِ العَذابِ والاهانةِ التي تَنْصَبُّ على المكذّبينَ بيومِ الحسابِ .. تَحدّثَ لنا عن مقامِ المُتّقينَ الأخيارِ ، وما ينتظرُهُم مِنَ النعيمِ والتكريمِ ، فقالَ :

« اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ۞ وَفَواكِهَ مِمّا يَشْتَهُونَ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ۞ اِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » ..

اِنَّ المتقينَ يتنعّمونَ بِظلالِ الجِنانِ الهانِئةِ ، وشَرابِ العُيونِ الحُلوةِ العَذبةِ ، وفواكِهِ الجِنانِ المختلفةِ الطعمِ والألوانِ .. حسبَ اشتهائِهم .. يَأكلونَها خالصةً مِن المَنِّ والأذى جزاءَ تَصديقِهم بالرّسالةِ وعَمَلِ الإحسانِ .. انّ هذا جزاءُ المُحسنينَ .. والعذابُ والهلاكُ لِلمُكذّبينَ بِيَومِ الحسابِ ...

« كُلُوا وتَمَتَّعوا قَليلاً إنَّكُمْ مُجْرِمُونَ * ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ » ..

كُلُوا وتَمتَّعوا في دُنياكُم أيّها المُجرِمونَ .. فأنَّهُ متاعٌ قليلٌ سينتهي ، فَإنَّ جَهنَّمَ تنتظرُكُم بِما فيها مِن ألوانِ العَذابِ والمَهانةِ والحِرمانِ ..

« وإذا قِيلَ لَهُمُ ٱركَعُوا لا يَرْكَعُونَ * ويْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ * فَبِأيِّ حَديثٍ بعدَهُ يُؤمِنُونَ » ..

ثُم يتحدّثُ القرآنُ الكريمُ عَن عِصيانِ أولئكَ المُجرمينَ ، وَعدمِ ٱستِجابَتِهم لأمرِ اللهِ ودعوةِ الرسولِ (ص) عندما يُدعونَ الى الايمانِ والرّكوعِ لِخالِقِ الوجودِ .. الى الطاعةِ والصلاةِ .. فَيكفرونَ بِذلكَ معَ ما يَنتَظرُهم من الويلِ والعَذابِ ..

اِنَّهُم اِنْ لَمْ يُؤمنوا بهذا القرآنِ القائِمِ على أساسِ الحُجَّةِ والبرهانِ ، فلا يُؤمِنونَ ، وَلا يهتدونَ بغَيْرِهِ أبداً .

ـ والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ـ

4118

VETVS
NOVVM
TESTA
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Apr. - June 1996
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 057498725
BP130
.4
.B343
1990
juz'29

طبع منه عشرة آلاف نسخة
للتوزيع في سبيل الله تعالى

يهدى ولا يباع